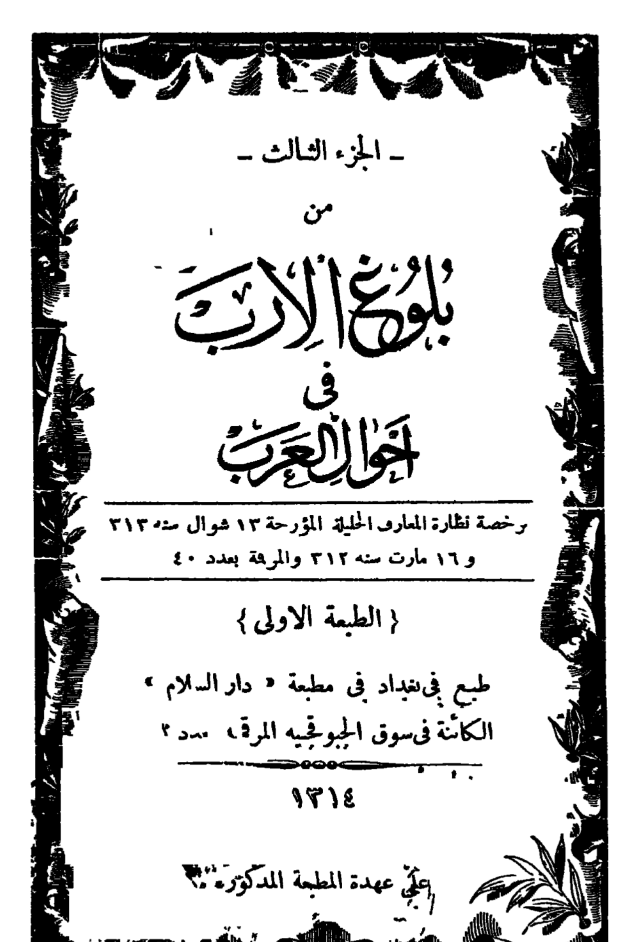
فهرس الجزء الثالث من كتاب بلوغ الارب

﴿ تم الفهرس بعون عناية الله تعالى ﴾



ـ الجزء الثالث ـ

من

بلوغ الأرب

في

أحوال العرب

رخصة نظارة المعارف الجليلة المؤرخة ١٣ شوال سنه ٣١٣
و ١٦ مارت سنه ٣١٢ والمرقمة بعدد ٤٠

﴿ الطبعة الاولى ﴾

طبع في بغداد في مطبعة « دار السلام »
الكائنة في سوق الجبوقجيه المرقمة بعدد ٢

١٣١٤

على عهدة المطبعة المذكورة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سبق فى اواخر الجزء الثانى من هذا الكتاب نبذة مما كان يعتقده بعض العرب من النكت الممتعة ولم نستوف ذكرها هناك ملاحظة ان يخرج حجم الجزء عن مشاكله امثاله فاقتضى ايراد تتمة ذلك البحث فى هذا المقام حرصاً على ماانطوى عليه من الادب فنقول متمسكين بحبل التوفيق .

(ماثبت عنهم فى الغائب اذا لم يقفوا على خبره)

كانوا اذا غم عليهم امر الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاؤا الى بئر عادية اى مظلمة بعيدة القعر وبالتشديد منسوبة الى عاد كناية عن قدمها او جاؤا الى حفر قديم ونادوا فيه يافلان اويا ابا فلان ثلاث مرات ويزعمون انه ان كان ميتاً لم يسمعوا صوتا وان كان حياً سمعوا صوتا وربما توهموه وهما اوسمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم قال بعضهم .

دعوت ابا المغوار فى الحفر دعوة * فما آض صوتى بالذى كنت داعيا

اظن ابا المغوار فى قعر مظلم * تجر عليه الذاريات السوافيا

ومعنى آض رجع وقعر مظلم كناية عن القبر . وقال آخر .

وكم ناديته والليل ساج * بعادى البئار فما اجابا

« وقال آخر »

الم تعلمي انى دعوت مجاشعا * من الحفر والظلماء باد كسورها
فجاوبني حتى ظننت بانه * سيطلع من جوفاء صعب حدورها
لقد سكنت نفسي وايقنت انه * سيقدم والدنيا عجاب امورها

والكسور الارض ذات صعود ونزول والجوفاء شجرة ذات جوف واراد بها البئر التي صاح ونادى فيها . ومعنى حدورها الانحدار اليها . وقال آخر .

دعوناه من عادية نضب ماؤها * وهدم جاليها اختلاف عصور
فرد جوابا ماشككت بانه * قريب الينا بالاياب بصير

اقوى في البيت الثاني وسكن نضب ضرورة كما قال «لو عصر منه البان والمسك انعصر» ومعنى جاليها جوانبها . وقال آخر .

غاب فلم ارج له ايابا * والحفر لا يرجع لي جوابا
وماقرأت مذ نأى كتابا * حتى متى استنشد الركابا
* عنه وكل يمنع الخطابا *

(ومن مذاهب العرب واعاجيبها) انهم كانوا في الحرب ربما اخرجوا النساء فبلن بين الصفين يرون ان ذلك يطفي نار الحرب ويقودهم الى السلم . قال بعضهم .

لقونا بابوال النساء جهالة * ونحن نلاقيهم ببيض قواضب

والبيض السيوف والقواضب القاطعات . وقال آخر .

بالت نساء بنى خراشة خيفة * منا وادبرت الرجال شلالا

« وقال آخر »

بالت نساؤهم والبيض قداخذت * منهم مآخذ يستشفى بها الكلب

وهذان البيتان يمكن ان يراد بهما ان النساء بلن خيفة وذعراً لا على المعنى الذى نحن فى ذكره فحينئذ لايكون فيهما دلالة على المراد .

« وقال الآخر »

هيهات رد الخيل بالابوال * اذا غدت فى صور السعالى

« وقال آخر »

جعلوا السيوف المشرفية منهم * بول النساء وقل ذاك غناء

(فاما مذهبهم فى الخرزات والاحجار والرقى والعزائم فمشهور)

(فمن خرزاتهم السلوانة) ويقال لها السلوة وهى خرزة يسقى العاشق منها فيسلو فى زعمهم وهى بيضاء شفافة . قال الراجز .

لواشرب السلوان ماسليت * مابى غنى عنكم وان غنيت

السلوان جمع سلوانة . وقال اللحيانى السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو . وقال عروة ابن حزام .

جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد انهما شفيانى

فقالا نعم نشفى من الداء كله * وقاما مع العواد يبتدران

فما تركا من رقية يعرفانها * ولا سلوة الا وقد سقيانى

« وقال آخر »

سقوني سلوة فسلوت عنها * سقى الله المنية من سقاني

اى سلوت عن السلوة واشتد بي العشق ودام . وقال الشمردل .

ولقد سقيت بسلوة فكأنما * قال المداوي للخيال بها ازدد

(ومن خرزاتهم الهنمة) وهى خرزة يجتلب بها الرجال ويستعطف بها قلوبهم فيما يزعمون . ورقيتها اخذته بالهنمة . بالليل زوج وبالنهار امة (ومنها الفطسة والقبلة والدرديس) وكلها لاستجلاب قلوب الرجال . قال الشاعر .

جمعن من قبل لهن وفطسة * والدرديس تمائما في منظم

فانقاد كل مشذب مرس القوى * لحبالهن وكل جلد شيظم

وقيل الدرديس خرزة سوداء يتحبب بها النساء الى بعولتهن توجد في القبور العادية ورقيتها . اخذته بالدرديس . تذر العرق البييس وتذر الجديد كالدريس . وانشد .

قطعت القيد والخرزات عني * فمن لي من علاج الدرديس

واصل الدرديس في اللغة الداهية ونقلت الى هذه الخرزة لقوة تأثيرها بزعمهم .

(ومن خرزاتهم القرزحلة) انشد ابن الاعرابي .

لاتنفع القرزحلة العجائزا * اذا قطعنا دونها المفاوزا

وهى من خرز الضرائر اذا لبستها المرأة مال اليها بعلها دون ضرتها (ومنها خرزة العقرة) تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل ذكر

ذلك ابن السكيت فى اصلاح المنطق (ومنها اليَنْجلب) ورقيتها اخذته باليَنْجلب . فلا يرم ولا يغب . ولا يزل عند الطنب . ومعنى لايرم لايبرح من مكانه وذكر الازهرى هذه الخَرزة فى الرباعى قال ومن خرزات الاعراب اليَنْجلب وهو الرجوع بعد الفرار والعطف بعد البغض (ومنها كرار) مبنية على الكسر . ورقيتها ياكرار كريه . ان اقبل فسريه . وان ادبر فضريه من فرجه الى فيه (ومنها الهمزة) ورقيتها ياهمزة اهمزيه . من استه الى فيه . وماله وبنيه (ومنها الخصمة) وهى خرزة للدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم اوفى زرّ القميص اوفى حمائل السيف . قال بعضهم .

يعلق غيرى خصمة فى لقائهم * ومالى عليكم خصمة غير منطق

(ومنها الوجيهة) وهى كالخصمة حمرآء كالعقيق (ومنها العطفة) وهى خرزة العطف . والكحلة خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم . والقبلة خرزة بيضاء تجعل فى عنق الفرس من العين . والفطسة خرزة يمرض بها العدو ويقتل .ورقيتها اخذته بالفطسة . بالثوبا والعطسة . فلايزل فى تعسه . من امره ونكسه . حتى يزور رمسه (ومن رقاهم للحب) هوابه هوابه . البرق والسحابه . اخذته بمركن . فحبه تمكن . اخذته بابره . فلا يزل فى عبره . جلبته باشفى . فقلبه لايهدى . جلبته بمبرد . فقلبه لايبرد . وترقى الفارك زوجها اذا سافر عنها فتقول . بافول القمر . وظل الشجر . شمال تشمله . ودبور تدبره .

ونكباء تنكبه . شيك فلا انتقش . ثم ترمى فى أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة . وتقول حصاة حصت أثره . ونواة نأت داره . وروثة راثت خبره . افعته ببعره . وقالت فارك فى زوجها . والفارك هى المبغضة لزوجها .

اتبعته اذ رحل العيس ضحى * بعد النواة روثة حيث انتوى
* الروث للريث وللنائى النوى *

« وقال آخر »

رمت خلفه لما رأت وشك بينه * نواة تلتها روثة وحصاة
وقالت نأت منك الديار فلا دنت * وراثت بك الاخبار والرجعات
وحصت لك الآثار بعد ظهورها * ولا فارق الترحال منك شتات

« وقال آخر يخاطب امرأته »

لا تقذفى خلفى اذا الركب اغتدى * روثة عير وحصاة ونوى
لن يدفع المقدار اسباب الرقى * ولا التهاويل على جن الفلا
هذا الرجز اورده الخالع فى هذا المعرض وهو بان يدل على عكس هذا المعنى اولى لان قوله .

لن يدفع المقدار اسباب الرقى * ولا التهاويل على جن الفلا

كلام يشعر بان قذف الحصاة والنواة خلفه كالعوذة له لا كما تفعله الفارك التى تمنى الفراق . وقد ابطل الشرع ذلك كله والاحجار لا تنفع ولا تضر فى مثل ماسبق من الامور ومثل ذلك النشر والتمائم . ففى سنن

ابى داود عن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه قال سئلنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن النشرة فقال هى من عمل الشيطان والنشرة ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن ان به مس الجن . وقيل سميت نشرة لانه ينشر بها عنه اى يحل عنه ماخامره من الداء . وعن الاصمعى قال النشرة من السحر . وانشد من قول جرير .

ادعوك دعوة ملهوف كأن به * مساً من الجن اوريحاً من النشر

وعن عبدالله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ماابالى ماآتيت ان انا شربت ترياقا اوتعلقت تميمة اوقلت الشعر من قبل نفسى . قال الخطابى ليس شرب الترياق مكروها من اجل ان التداوى محظور . وقد اباح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التداوى والعلاج فى عدة احاديث ولكن من اجل مايقع فيه من لحوم الافاعى وهى محرمة . والترياق انواع فاذا لم يكن فيه لحوم الافاعى فلا باس بتناوله والله اعلم « والتميمة » يقال انها خرزة كانوا يعلقونها يرون انها تدفع عنهم الافات . واعتقاد هذا الرأى جهل وضلال اذلا مانع ولا دافع غير الله سبحانه . ولا يدخل فى هذا التعوذ بالقرآن والتبرك والاستشفاء به لانه كلام الله سبحانه . والاستعاذة به ترجع الى الاستعاذة بالله سبحانه . ويقال بل التميمة قلادة تعلق فيها العوذ

« قال ابو ذويب »

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لاتنفع

« وقال آخر »

بلاد بها عق الشباب تميمي * واول ارض مس جلدى ترابها

وقد قيل ان المكروه من العوذ هو ماكان بغير لسان العرب فلا يفهم معناه ولعله قديكون فيه سحر ونحوه من المحظور وتمام الكلام فى الرقى والتعاويذ يطلب من كتب العقائد ونحوها والله اعلم .

(ومن مذاهب العرب فى الجاهلية الوشم)

وهو على ماذكره اهل اللغة انيغرز فى العضو ابرة ونحوها حتى يسيل الدم ثم يحشى بنورة اونحوها فيخضر وكانوا يقصدون بذلك التزين فينقشون به غالب ابدانهم انواعا من النقوش من صور حيوانات وغيرها وكذلك الشفاه فترى شفاه غالب نسائهم زرقا . واما الرجال منهم فكانوا يستعملون الوشم فى بعض المواضع من الجسد بزعم انه يقوى المفصل الذى وشم عليه . والاطفال منهم يوشمون فى بعض المحال من وجوههم لقصد الزينة . وهو مذهب باطل وعادة مستقبحة جداً ولذلك ابطلته الشريعة المحمدية لما فيه من تغيير خلق الله . فنى الحديث لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله . والمتنمصات جمع متنمصة . وحكى ابن الجوزى متنمصة وهى التى تطلب النماص والنامصة هى التى تفعله والنماص ازالة شعر الوجه بالمنقاش ويسمى المنقاش نماصاً لذلك وهى حديدة يؤخذ بها الشعر ويقال ان النماص مختص بازالة الشعر من الحاجبين ليرققهما اوليسويهما .

والمتفلجات جمع متفلجة والفلج تباعد مابين الثنايا والرباعيات بمبرد ونحوه والحاصل انكل مافيه تغيير خلق الله حرام .

﴿ ومن مذاهبهم النياحة على الهالك منهم والندب ونحو ذلك ﴾

كان العرب فى الجاهلية يوصون اهليهم بالبكاء والنوح عليهم اذا ماتوا وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم وهو موجود فى شعرهم كقول طرفة ابن العبد .

اذا مت فانعيني بما انا اهله * وشقي على الجيب يا ابنة معبد

وقال لبيد لابنتيه لما حضرته الوفاة .

تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما * وهل انا الا من ربيعة اومضر
فقوما وقولا بالذى تعلمانه * ولاتخمشا وجهاً ولاتحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لاصديقه * اضاع ولاخان الامين ولاغدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابهما فى كل يوم وتأتيان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تعولان فاقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا . ومعنى قوله وهل انا الخ ان جميع آبائى من ربيعة اومضر قدماتوا ولم يسلم احد منهم من الموت فكذلك انا لابدلى من الموت . وانما قال الى الحول لان الزمان ساعات وايام وجمع وشهور وسنون والسنون هى النهاية فالحول والسنة مدة هى نهاية الزمان فى التقسيم الى اجزائه ويمكن انيكون ذلك لما روى فى بعض الآثار ان ارواح

الموتى لاتنقطع من التردد الى منازلهم فى الدنيا الى سنة كاملة فكانه انما امرهما بما ذكر من الذكر والدعاء وغير ذلك ليشاهد ذلك منهما . ولذلك قال ومن يبك حولا الخ . وقال بعضهم انما وقت بالحول لانه مدة عزآء الجاهلية وهذا لايصح هنا لان قائله صحابى ومثل هذا كثير فى اشعارهم . وقد ابطلت ذلك السريعة . وفى الحديث ان الميت ليعذب ببكاء اهله . قال اهل الحديث الميت انما تلزمه العقوبة فى ذلك بما تقدم من امره اياهم بذلك وقت حيوته وان لم يأمرهم لايلحقه عقوبة ولا تزر وازرة وزر اخرى والوزر انما هو على من ناح واظهر الجزع من تلقاء نفسه . وفى الحديث ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . وفى الصحيحين عن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة . والصالقة هى التى ترفع صوتها بالنياحة . والحالقة هى التى تحلق شعرها عند المصيبة . وفى الصحيحين ايضاً عن أم عطية قالت اخذ علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى البيعة ان لاننوح وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة يرفعه اثنتان فى الناس هما بهم كفر الطعن فى النسب والنياحة على الميت. والنياحة رفع الصوت بالندب . والندب تعديد النادبة باعلى صوتها محاسن الميت وقيل هو البكاء مع تعديدها واما البكاء على الميت لرقة ورحمة خالياً عما ذكر فلا محذور فيه فان الله تعالى اودع الرحمة فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء

(ومن عوائدهم فى هذا الباب) ماحكاه الاصمعى قال كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر ركب راكب فرساً وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا اى انعه واظهر خبر وفاته وهى مبنية على الكسر مثل نزال وعلى ذلك قول المتنخل الهذلى .

اقول لما اتانى الناعيان به * لايبعد الرمح ذو النصلين والرجل
رمح لنا كان لم يفلل ننوء به * توفى به الحرب والعزاء والجلل
ربّاء شماء لايأوى لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسبل

اى هو ربّاء لاصحابه بالهمز اذا صار ربيئة لهم اى طليعة فوق شرف وموضع مرتفع والشماء مؤنث اشم من الشمم وهو الارتفاع اراد هضبة شماء فحذف الموصوف بدليل القلة وهى رأس الجبل . والهضبة الجبل المنبسط على وجه الارض . ومن المعلوم ايضاً ان التى لايأوى الى قلتها الا السحاب والمطر لاتكون الا هضبة . والاوب قال الخوارزمى هو المطر لانه بخار ارتفع من الارض ثم آب اليها اى رجع ولذلك سمى رجعاً فسموه اوبا ورجعاً تفؤلا ليرجع ويؤب . وقيل لان الله تعالى يرجعه وقتاً فوقتا واليه ذهب صاحب الكشاف عند قوله تعالى والسماء ذات الرجع وانشد هذا البيت على ان المطر يسمى رجعاً كما فى الاية واوبا كما فى البيت تسمية بمصدرى رجع وآب . وذلك ان العرب كانت تزعم ان السحاب يحمل الماء من البحر ثم يرجعه اليه . والسبل بفتحتين المطر المنسبل اى النازل .

(ومن مذاهبهم) انهم يقولون للميت اذا مات لايبعد .

« قال الخرنق »

لايبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

وفى كتاب اللب ان العرب قدجرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ولهم فى ذلك غرضان « احدهما » انهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل وكانهم لايصدقون بموته وقد بين هذا المعنى زهير ابن ابى سلمى بقوله .

يقولون حصن ثم تابى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والاديم صحيح

يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون ان ينطقوا بذلك ويقولون كيف يجوز ان يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث « والغرض الثانى » انهم يريدون الدعاء له بان يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته الا ترى الى قول الشاعر .

فاثنوا علينا لاابا لابيكم * بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثى يزيد بن يزيد الشيبانى .

فان تك افنته الليالى فاوشكت * فان له ذكرا سيفنى اللياليا

« وقال المتنبى واحسن »

ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * مافاته وفضول العيش اشغال

وقد بين مالك بن الريب المزنى مافى هذا من المحال من قصيدة تقدمت على غيرها .

يقولون لاتبعد وهم يدفنوني * واين مكان البعد الا مكانيا

« وقال الفرار السلمى »

ماكان ينفعنى مقال نسائهم * وقتلت دون رجالهم لاتبعد

(ومن مذاهبهم جز النواصى)

كانت العرب اذا انعمت على الرجل الشريف بعد اسره جزّوا ناصيته واطلقوه فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها والنواصى جمع ناصية وهى الشعر فى مقدم الرأس فوق الجبهة . قال بشر ابن ابى حازم الاسدى .

فاذجزت نواصى آل بدر * فادوها واسرى فى الوثاق

والا فاعلموا انا وانتم * بغاة مابقينا فى شقاق

وسبب هذا الشعران قوما من آل بدر الفزاريين جاوروا بنى لام من طىء فعمد بنو لام الى الفزاريين فجزوا نواصيهم وقالوا قدمننا عليكم ولم نقتلكم وبنو فزارة حلفاء بنى اسد فغضب بنو فزارة لاجل ماصنع بالبدريين فقال بشر هذين البيتين من قصيدة يذكر فيها ماصنع بنى بدر ويقول للطائيين فاذ قدجززتم نواصيهم فاحملوها الينا واطلقوا من قد اسرتم منهم وان لم تفعلوا فاعلموا انا نبغيكم ونطلبكم فان اصبنا

احداً منكم طلبتمونا به فصار كل واحد منا يبغى صاحبه فنبقى فى شقاق وعداوة ابدا . وربما جزت ناصية مطلق الاسير شريفاً كان ام لا واخذ للافتخار والعرب متفاوتون فى المذاهب . وقال زهير من قصيدة مدح بها هرم بن سنان المرى احد الاجواد فى الجاهلية .

حدب على المولى الضريك اذا * نابت عليه نوائب الدهر

عظمت دسيعته وفضله * جز النواصى من بنى بدر

ايام ذبيان مراغمة * فى حربها ودماؤها تجرى

ومرهق النيران يطعم فى * اللأواء غير ملعن القدر

الحدب المشفق والمولى ابن العم والضريك الفقير المحتاج والدسيعة العطية الجزيلة . وجز النواصى تقدم معناه وراغمهم نابذهم وهجرهم وعاداهم ومرهق النيران اى تغشى ناره يقال رهقت الرجل اذا غشيته واحطت به والمشدد للتكثير . يصف انه يوقد النار بالليل للطبخ واطعام الناس وليعشوا اليها الضيف والغريب وكثرة النيران للاخبار عن سعة معروفه واللأواء شدة الزمان والقحط . وقوله غير ملعن القدر اى لا يؤكل مافيها دون الضيف والجار واليتيم والمسكين فهو محمود القدر لا مذمومها واوقع اللعن على القدر مجازاً . وهو يريد صاحبها . وما احسن قول الخنساء فى هذا الباب . مفتخرة بقومها على الاصحاب .

جززنا نواصى فرسانها * وكانوا يظنون ان لا تجزا

ومن ظن ممن يلاقى الحروب * بان لا يصاب فقد ظن عجزا

نصيف ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذكراً وكنزا
ونلبس فى الحرب سرد الحديد * وفى السلم خزاً وعصباً وقزا

(ومن مذاهب العرب شد اللسان)

كان من مذاهب العرب انهم اذا اسروا اسيراً وكان شاعراً ربطوا لسانه بنسعة وعلى ذلك قول عبد يغوث القحطانى الحارثى اليمنى من قصيدة

اقول وقد شدوا لسانى بنسعة * امعشر تيم اطلقوا عن لسانيا
امعشر تيم قدملكتم فاسجحوا * فان اخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلونى تقتلوا بى سيدا * وان تطلقونى تحربونى بماليا

النسعة بكسر النون سير منسوج . واسجحوا بتقديم الجيم على الحاء المهملة بمعنى سهلوا ويسروا والبوآء السوآء اى لم يكن اخاكم نظيراً لى فاكون بوآءله وتحربونى تسلونى وتغلبونى . وبما ذكرنا من المذهب فسر البيت جمع وقالو انهم شدوا لسانه بنسعة حقيقة واليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين والاصفهانى فى الاغانى وحكاه ايضاً ابن الانبارى بانهم ربطوه بنسعة مخافة ان يهجوهم وكانوا سمعوه ينشد شعراً فقال اطلقوالى عن لسانى اذم اصحابى وانوح على نفسى فقالوا انك شاعر ونحذر ان تهجونا فعاهدهم ان لا يهجوهم فاطلقوا له عن لسانه «قال الجاحظ» وبلغ من خوفهم من الهجاء ان يبقى ذكرهم فى الاعقاب ويسب به الاحياء والاموات انهم اذا اسروا الشاعر اخذوا عليه المواثيق وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث ابن وقاص

الحارثي حين اسرته تيم يوم الكلاب • وفي تفسير شد اللسان قول آخر وهو ان هذا مثل وذهب اليه شراح ابيات الشعراء والقالي في اماليه وحكاه ابن الانباري في شرح المفضليات وقال لان اللسان لايشد بنسعة وانما اراد افعلوا بي خيراً لينطلق لساني بشكركم وانكم مالم تفعلوا فلساني مشدود لااقدر على مدحكم . والوجه ماتقدم فان الحقيقة هي الاصل .

(ومن مذاهبهم خضاب النحر)

كانت العرب في الجاهلية تعيش في الغالب بلحوم الصيد وكانت خيلهم لجودتهـا وعراقتها تسهل عليهم مايراه غيرهم من الصعوبة في ذلك وتعينهم على نيل مقاصدهم فكانت عندهم من اعز الاموال. تحفظ لديهم كما يحفظ العيال . وكان السابق منها يرفع له في الفخر رايات . وتوضع عليه لاجل المباهاة علامات . ولذلك كان من ديدنهم وعوائدهم انهم اذا ساقوا الخيل على الصيد واغاروها نحوه فالسابق على غيره في الوصول اليه يخضبون نحره بدم مايمسكونه من الصيد علامة على كونه لايدرك في الغارات . وانه سباق غايات . وقد بطلت بعد ظهور الاسلام هذه العادة ولم يعرفها سكان البوادي من العرب اليوم . غير ان لاعراب الحجاز عادة قريبة من ذلك وهي انهم اذا نزل بهم ضيف يعتني بشأنه ذبحوا له او نحروا فاذا سافر منهم وترحل عنهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم ماذبحوه على شكل المثلث ايذانا بانه

من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب ومن الاماجد الاعزة الحرى بان يعز .

(ومن مذاهبهم التعقية)

قال ابو العباس ثعلب التعقية سهم الاعتذار . وقال ابن الاعرابي اصل هذا ان يقتل الرجل رجلا من قبيلته فيطلب القاتل بدمه فيجتمع جماعة من الرؤساء الى اولياء المقتول بدية مكملة ويسألونهم العفو وقبول الدية فان كان اولياؤه ذوى قوى ابوا ذلك والا قالوا لهم بيننا وبين خالقنا علامة للامر والنهى فيقول الاخرون ماعلامتكم فيقولون ان نأخذ سهماً فنرمى به نحو السماء فان رجع الينا مضرجا بالدم فقد نهينا عن اخذ الدية وان رجع كما صعد فقد امرنا باخذها وحينئذ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية وكان مسح اللحية علامة للصلح . قال الاشعر الجعفى .

عقوا بسهم ثم قالوا سالموا * ياليتنى فى القوم اذ مسحوا اللحى

قال ابن الاعرابى مارجع ذلك السهم قط الا نقياً ولكنهم يعتذرون به عند الجهال . ومن شعر الهذلى انشده ابو عبيد البكرى فى شرح نوادر القالى .

لاينسىء الله منا معشراً شهدوا * يوم الاميلح لاعاشوا ولا مرحوا
عقوا بسهم فلم يشعر له احد * ثم استفاؤا وقالوا حبذا الوضح

قال البكرى هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع ابيه حجاجا يوم

قال وقوله لا ينسئ الله اى لا يؤخر الله موتهم من الانساء وهو التأخير وعقوا بضم القاف وفتحها لانه جاء من بابين فانه يقال عق بالسهم اذا رمى به نحو السماء وذلك السهم يسمى عقيقة بقافين ويقال له ايضاً سهم الاعتذار فعقوا بضم القاف. ويقال عق بسهمه تعقية اذا رماه فى الهواء فعقوا بفتح القاف. وكانت العرب تعيب على من يأخذ الدية ويرضى بها من درك ناره وشفاء غيظه كقول قائلهم يهجو من اخذ الدية من الابل.

وان الذى اصبحتم تحلبونه * دم غير ان اللون ليس باشقرا

وقال جرير يعير من اخذ الدية فاشترى بها نخلا .

الا ابلغ بنى حجر بن وهب * بان التمر حلو فى الشتاء

« وقال آخر »

خليان مختلف شكلنا * اريد العلاء وتبغى السمن

اريد دماء بنى مالك * ورأى المعلى بياض اللبن

ولهذا كان يأبى اولياء المقتول عن قبول الدية اذا كانوا اقوياء. وهذا وان كانت الشريعة قد ابطلته وجاءت بما هو خير منه واصلح فى المعاش والمعاد من تخيير الاولياء بين ادراك الثار ونيل التشفى وبين اخذ الدية فان القصد به ان العرب لم تكن تعير من اخذ بدل ماله ولم تعده ضعفاً ولا عجزاً البتة بخلاف من اخذ بدل دم وليه .

﴿ ومن مذاهبهم حمل الملوك على الاعناق اذا مرضوا ﴾

قال ابو عبيدة كانت ملوك العرب اذا مرض احدهم حملته

الرجال على اكتافها يتعاقبونه لانه عندهم اوطأ من الارض .

« قال النابغة الذبيانى »

الم اقسم عليك لتخبرنى * امحمول على النعش الهمام

فانى لا الومك فى دخول * ولكن ماوراءك ياعصام

فان يهلك ابو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام

ونأخذ بعده بذناب عيش * اجب الظهر ليس له سنام

ومن حديث هذه الابيات ان النابغة كان عند النعمان ملك العرب بالحيرة كبيراً عنده خاصاً به وكان من ندمائه واهل انسه فحسد على منزلته منه فاتهموه بامر فغضب عليه النعمان واراد البطش به وكان للنعمان بواب يقال له عصام بن شهبر الجرمى قال للنابغة ان النعمان موقع بك فانطلق فهرب النابغة الى ملوك غسان ملوك الشام فكان يمدحهم وترك النعمان فاشتد ذلك عليه وعرف ان الذى بلغه كذب فبعث اليه انك لم تعتذر من سخطة ان كانت بلغتك ولكنا تغيرنا لك عن شئ مما كنا لك عليه ولقد كان فى قومك ممتنع وحصن فتركته ثم انطلقت الى قوم قتلوا جدى وبينى وبينهم ماقد علمت وكان النعمان وابوه وجده قد اكرموا النابغة وشرفوه واعطوه مالا عظيما وبلغ النابغة ان النعمان ثقيل من مرض اصابه حتى اشفق عليه منه فاتاه النابغة فالفاه محمولا على رجلين ينقل مابين الغمر وقصوره التى من الحيرة فقال لبوابه عصام « الم اقسم عليك لتخبرنى » الابيات المذكورة فعافاه الله وعفا عن النابغة . قال حسان بن

ثابت وفدت الى النعمان فحسدت النابغة على ثلاث لاادری علی ایتهن کنت احسد اعلی ادناء النعمان له بعد المباعدة ومسايرته له واصغائه اليه او على جودة شعره او على ماية بعير من عصافيره امر له بها . قال ابو عبيدة قيل لابی عمرو امن مخافته امتدحه واتاه بعد هربه منه ام لغير ذلك قال لعمر الله ما لمخافته فعل ان كان الا آمنا من ان يوجه اليه النعمان جيشاً وما كان النابغة يأكل ويشرب الا فی آنية الذهب والفضة من عطايا النعمان وابيه وجده ولا يستعمل غير ذلك .

(ومن مذاهبهم فی دية الملوك وغيرهم)

كان عامة العرب يأخذون فی دية النفس مائة من الابل وكان هذا الحكم جاريا بين قبائلهم. وقد ذكرنا سابقاً اول من سن لهم ذلك ولما كان الملوك ممتازين عندهم فی كثير من الاحكام جعلوا دية احدهم اذا قتل الف بعير . قال قراد بن حنش الصاردی .

ونحن رهنا القوس ثمت نوديت * بالف على ظهر الفزاری اقرعا
بعشر مئين للملوك سعى بها * ليوفی سيار بن عمرو فاسرعا

قال ابن عبد ربه فی العقد الفريد ان سيار بن عمرو بن جابر الفزاری احتمل للاسود ابن المنذر دية ابنه الذی قتله الحارث بن ظالم الف بعير وهی دية الملوك ورهنه بها قوسه فوفی. وكان هذا قبل قوس حاجب بن زرارة . وقال ابو عبيدة فی مقاتل الفرسان ان اخا سيار لامه الحارث بن سفيان الصاردی تكفلها للاسود فقام ...

ثم مات فرهن سيار قوسه على المأنين الباقيتين لاغير فلما مدح قراد ابن حنش بنى فزارة حمل الحمالة كلها لسيار . ومثل هذا ماقاله الفرزدق من قصيدة طويلة .

فدى لسيوف من تميم وفى بها * ردائى وحلت عن وجوه الاهاتم
شفين حزازات الصدور ولم تدع * علينا مقالا فى وفاء للائم
ابأنا بهم قتلى وما فى دمائهم * وفاء وهن الشافيات الحوائم
جزى الله قومى اذا راد خفارتى * قتيبة سعى الافضلين الاكارم
هم سعوا يوم المحصب من منى * ندائى اذا التفت رقاق المواسم

وقصة رداء الفرزدق رواها ابو عبيدة قال كان الفرزدق بالمدينة حين جائت وقعة وكيع . وحج سليمان بن عبد الملك فبلغه بمكة وقعه وكيع بقتيبة فخطب الناس بمسجد عرفات فذكر غدر بنى تميم ووثوبهم على سلطانهم واسراعهم الى الفتن وانهم اصحاب فتن واهل غدر وقلة شكر فقام اليه الفرزدق فقال وفتح رداءه ياامير المؤمنين هذا ردائى رهن لك بوفاء بنى تميم والذى بلغك كذب فقال الفرزدق فى ذلك حيث جائت بيعة وكيع لسليمان تلك الابيات يعنى بالاهاتم الاهتم ابن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فعرف ان الاهتم ليس لقباً لسنان بن خالد والحوائم العطاش التى تحوم حول الماء .

(ومن مذاهبهم تحريم الخمر على نفوسهم الى ان يأخذوا بثارهم)

كانت العرب تحرم الخمر على انفسهم في مدة طلبهم لانها مشغلة لهم عن كريم الاخلاق والاقبال على الشهرة . قال الشنفرى يرثى خاله تأبط شرا ويذكر ادراكه ثاره من قصيدة له .

فادركنا الثار فيهم ولما * ينج من الحيان الا الاقل
حلت الخمر وكانت حراما * وبلأى ما المت تحل

وفي كتاب مساوى الخمر غزا امرؤ القيس بني اسد ثائراً بابيه وقد جمع جموعا من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها وهرب بنو اسد من بين يديه حتى انضوا الابل وحسروا الخيل ولحقهم فظفر بهم وقتل بهم مقتلة عظيمة وابار حلة بن اسد ومثل في عمرو وكاهل ابني اسد . وذكر الكلبي عن شيوخ كندة انه جعل يسمل اعينهم ويحمي الدروع فيلبسهم اياها . وروى ابو سعيد السكرى مثل ذلك وانه ذبحهم على الجبل ومزج الماء بدمائهم الى ان بلغ الحضيض واصاب قوما من حذام كانوا في بني اسد . وفي ظفره ببني اسد يقول .

قولا لدودان عبيد العصا * ماغركم بالاسد الباسل

« الى ان قال »

لاتسقيني الخمر ان لم يروا * قتلى فئاما بابي الفاضل
حتى ابير الحي من مالك * قتلا ومن يشرف من كاهل
ومن بني غنم بن دودان اذ * يقذف اعلاهم على السافل
نعلوهم بالبيض مسنونة * حتى يروا كالخشب الشائل

حلت لى الخمر وكنت امرأ * من شربها فى شغل شاغل
فاليوم اشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغل

قوله قولا لدودان الخ دودان بالضم هو ابن اسد بن خزيمة واراد القبيلة وكان ابو امرئ القيس اذا غضب على احد منهم ضربوه بالعصا فسموا عبيد العصا اى يعطون على الضرب والهوان. واراد بالاسد الباسل اباه. والفئام بكسر الفاء بعدها همزة ممدودة الجماعة. وابن افنى. ومالك هو ابن اسد واراد بمن يشرف من كاهل علباء بن الحارث من بنى كاهل بن اسد. وقوله يقذف اى يرمى بعضهم على بعض اذا قتلوا. والمسنونة المحدودة. والشائل الساقط. وقوله حلت لى الخمر الخ. قال السعدى فى مساوى الخمر انما قال هذا لانه لم يكن حضر قتل ابيه وكان ابوه اقصاه لانه كره منه قول الشعر وانما جاءه الاعور العجلى بخبره وهو يشرب فقال ضيعنى صغيراً. وحملنى ثقل الثار كبيراً. اليوم خمر. وغداً امر. لاصحو اليوم ولا سكر غداً. ثم شرب سبعاً. ثم لما صحا حلف انلا يغسل رأسه ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثاره فذلك قوله. حلت لى الخمر. وهذا معنى مازالت العرب تطرقه. قال اسمعيل بن هبة الله الموصلى فى كتاب الاوائل اول من اخترع هذا المعنى امرؤ القيس فى هذا الشعر. وقوله فاليوم اشرب الخ المستحقب المكتسب واصله من استحقب اى وضع فى الحقيبة وهى خرج يربط بالسرج خلف الراكب.

وأثماً مفعول مستحقب كأن شربها بعد وفاء النذر لا اثم فيه بزعمه والواغل الذى يأتى شراب القوم من غير ان يدعى اليه وهو مأخوذ من الوغول وهو الدخول ومعناه انه وغل فى القوم وليس منهم . والله اعلم بحقائق الامور .

﴿ ومن مذاهبهم فى الخليع والرجل اللعين ﴾

كانت العرب فى الجاهلية اذا قال قائل منهم هذا ابنى قد خلعته كان لا يؤخذ بجريرته وذنبه . وقال الفاضل الزوزنى فى شرح معلقة امرئ القيس عند الكلام على قوله .

وواد كجوف العير قفر قطعته * به الذئب يعوى كالخليع المعيل

الخليع الذى قد خلعه اهله لخبثه . وكان الرجل منهم يأتى بابنه الى الموسم ويقول الا انى قد خلعت ابنى هذا فان جر لم اضمن وان جر عليه لم اطلب فلا يؤخذ بجرائره انتهى . وفى كتاب فتح البارى الخليع فعيل بمعنى مفعول يقال تخالع القوم اذا نقضوا الحلف فاذا فعلوا ذلك لم يطالبوا بجنايته فكأنهم خلعوا اليمين التى كانوا لبسوها معه ومنه سمى الامير اذا عزل خليعاً ومخلوعا . وقال ابو موسى فى المعين خلعه قومه اى حكموا بانه مفسد فتبرؤا منه ولم يكن ذلك فى الجاهلية يختص بالحليف بل كانوا ربما خلعوا الواحد من القبيلة ولو كان من صميمها اذا صدرت منه جناية تقتضى ذلك وهذا مما ابطله الاسلام من حكم الجاهلية . وفى البخارى وقد كانت هذيل خلعوا حليفاً لهم فى الجاهلية

فطرق اهل بيت من اليمن بالبطحاء فانتبه له رجل منهم فحذفه بالسيف فقتله فجاءت هذيل فاخذوا اليمانى فرفعوه الى عمر بالموسم وقالوا قتل صاحبنا فقال انهم قدخلعوه فقال يقسم خمسون من هذيل ماخلعوا قال فاقسم منهم تسعة واربعون رجلا وقدم رجل منهم من الشام فسألوه ان يقسم فافتدى يمينه منهم بالف درهم فادخلوا مكانه رجلا آخر فدفعه الى اخى المقتول فقرنت يده بيده . قال قالوا فانطلقنا والخمسون الذين اقسموا حتى اذا كانوا بنخلة اخذتهم السماء فدخلوا فى غار فى الجبل فانهجم الغار على الخمسين الذين اقسموا فماتوا جميعاً وافلت القرينان واتبعهما حجر فكسر رجل اخى المقتول فعاش حولا ثم مات . وحاصل القصة ان القاتل ادعى ان المقتول لص وان قومه خلعوه فانكروا هم ذلك وحلفوا كاذبين فاهلكهم الله بحنث القسامة وخاص المظلوم وحده . وهذيل القبيلة المشهورة وهم ينتسبون الى هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر . ويسمى الخليع الرجل اللعين ايضاً . قال ابوعبيد البكرى فى شرح امالى القالى كان الرجل فى الجاهلية اذا غدر واخفر الذمة جعل له مثال من طين ونصبه وقيل الا ان فلانا قدغدر فالعنوه كما قال الشاعر .

فلنقتلن بخالد سرواتكم * ولنجعلن لظالم تمثالا

فالرجل اللعين هو هذا التمثال . وبعضهم يقول الرجل اللعين هو نفس الخليع . وقد اختلف اهل اللغة فى المراد بقول الشماخ بن ضرار

في مدح عرابة بن اوس من قصيدة .

وماء قد وردت لوصل اروى * عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

فقالوا يريد بقوله ذعرت به القطا الخ انه جاء الى الماء متنكراً وذعرت خوفت ونفرت ونفيت طردت وخص الذئب والقطا لان القطا اهدى الطير والذئب اهدى السباع وهما السابقان الى الماء قال شارح الديوان اى ذعرت القطا بذلك الماء ونفيت عن ذلك الماء مقام الذئب اى وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحيته عنه اراد مقام الذئب كالرجل اللعين المنفي المقصى انتهى . فاللعين على هذا بمعنى الطريد وهو وصف للرجل . وهو ماذهب اليه ابن قتيبة في ابيات المعاني قال اللعين المطرود وهو الذي خلعه اهله لكثرة جناياته . وقال بعض شراح ابيات المفصل اللعين المطرود الذي يلعنه كل احد ولا يؤويه اى هذا الذئب خليع لامأوى له كالرجل اللعين . وقال صاحب الصحاح الرجل اللعين شئ ينصب في وسط الزرع يستطرد به الوحوش وانشد هذا البيت . وقد سبق قول ابي عبيد البكري في شرح امالي القالي في ذلك وقد اغرب فانه لم يظهر للبيت معنى على قوله . وعلى كل حال فهذا المذهب للعرب يدل على انهم قد بلغوا في الجاهلية الى غاية الغايات . في ميلهم لمحاسن الاخلاق وجميل الصفات . حتى انهم تجاوزوا الحد في ذلك فبلغوا الى درجة العقوق . وعدم

المبالاة بما يجب للاقارب والبنين من الحقوق . حثاً على اجتناب كل مايشين من الاخلاق الذميه . وزجراً عن تعاطى سفاسف الامور والجرائم العظيه . والخلعاء كانوا قدخلعوا عنهم لباس المروة والانصاف . وتردوا باردية الجور والظلم والاعتساف . فلذلك عوملوا بهاتيك المعامله . ولم تراع فيهم عهود الموافقة والمسالمه . ولماكان كل امر تجاوز الحد . انقلب بما يستنتج من المفاسد الى الضد . نهى الشرع عن كل مايستوجب المفاسد . وامر والحمد لله تعالى بما يستحق المحامد من المقاصد .

(ومن مذاهب العرب المعاقرة)

وهو ان يتبارى الرجلان كل واحد منهما يجادل صاحبه فيعقر هذا عدداً من ابله ويعقر صاحبه فايهما كان اكثر عقراً غلب صاحبه ونفره . وفى شرح سنن ابي داود للخطابى عند الكلام على قوله نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معاقرة الاعراب وكره اكل لحومها لئلا يكون مما اهل لغير الله . ثم قال وفى معناه ماجرت به عادة الناس من ذبح الحيوان بحضرة الملوك والرؤساء عند قدومهم البلدان واوان حدوث نعمة تجدد لهم ونحو ذلك من الامور انتهى. وقد وقعت معاقرة عظيمة فى صدر الاسلام من غالب ابى الفرزدق الشاعر الشهير وذلك فى خلافة الامام على كرم الله تعالى وجهه . واليها الاشارة بقول جرير من قصيدة يهجو بها الفرزدق .

تعدون عقر النيب افضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا
يعني انكم تعدون عقر الابل المسنة التي لاينتفع بها ولا يرجى نسلها
افضل مجدكم هلا تعدون قتل الشجعان . ومنازلة الاقران . وقضية
عقر الابل هذه مشهورة في التواريخ محصلها انه اصاب اهل الكوفة
مجاعة فخرج اكثر الناس الى البوادي. وكان غالب ابو الفرزدق رئيس
قومه فاجتمعوا في اطراف السماوة من بلاد كلب على مسيرة يوم
من الكوفة فعقر غالب لاهله ناقة صنع منها طعاما واهدى الى قوم
من تميم جفانا واهدى الى سحيم جفنة فكفأها وضرب الذي اتى بها
وقال انا مفتقر الى طعام غالب ونحر سحيم لاهله ناقة . فلما كان من الغد
نحر غالب لاهله ناقتين ونحر سحيم ناقتين . وفي اليوم الثالث نحر
غالب ثلاثا فنحر سحيم ثلاثا . فلما كان اليوم الرابع نحر غالب مائة ناقة
ولم يكن لسحيم هذا القدر فلم يعقر شيئاً . ولما انقضت المجاعة ودخل
الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم جردت علينا عار الدهر . هلا
نحرت مثل مانحر غالب وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر
ان ابله كانت غائبة ونحر نحو ثلثماية ناقة . وكان في خلافة علي ابن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه فمنع الناس من اكلها . وقال انها مما اهل
لغير الله به ولم يكن الغرض منه الا المفاخرة والمباهاة فجمعت لحومها
على كناسة الكوفة فاكلها الكلاب والعقبان والرخم . وقد اورد
القالي هذه الحكاية في ذيل اماليه بابسط مما ذكرناه واورد ماقيل فيها

من اشعار ما مدح به غالب وهجى به سحيم والله اعلم .

(ومن مذاهبهم تفرد العزيز منهم بالحمى)

كان من عوائد العرب فى الجاهلية ان ينفرد العزيز منهم بالحمى لنفسه كالذى كان يفعله كليب بن وآئل فانه كان يوافى بكلب على نشاز من الارض وهو المكان المرتفع . ثم يستعويه ويحمى ماانتهى اليه عواؤه من كل الجهات ويشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله . وفيه يقول العباس بن مرداس من قصيدة .

كما كان يبغيها كليب بظلمه * من العز حتى طاح وهو قتيلها

على وآئل اذ يترك الكلب نابحا * واذ يمنع الافناء منها حلولها

« قال الميدانى » فى تفسير المثل الدائر على السنة العرب اعز من كليب وائل . هو كليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير وكان سيد ربيعة فى زمانه وقد بلغ من عزه انه كان يحمى الكلاء فلا يقرب حماه ويجير الصيد فلا يهاج . وكان اذا مر بروضة اعجبته اوغدير ارتضاه كنع كليباً ثم رمى به هناك فحيث بلغ عوآؤه كان حمى لا يرعى . وكان اسم كليب ابن ربيعة وائلا فلما حمى كليبه المرمى الا كلاء قيل اعز من كليب وائل ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظ وه اسمه . وكان من عزه . لا يتكلم احد فى مجلسه ولا يحتبى احد عنده . ولذلك قال اخوه مهلهل بعد موته

نبئت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا فى امر كل عظيمة * لو كنت شاهدهم بها لم ينبسوا

وفيه ايضاً يقول معبد بن سعنة التميمي .

كفعل كليب كنت خبرت انه * يخطط اكلاء المياه ويمنع
يجير على افناء بكر بن وائل * ارانب ضاح والظباء فترتع

وكليب هذا هو الذي قتله جساس بن مرة الشيباني انتهى . وقال الامام الخطابي في شرح سنن ابي داود عند الكلام على قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحمى الا لله ولرسوله . قال ابن شهاب بلغني ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حمى النقيع . قال الخطابي قوله لاحمى الا لله ولرسوله يريد لاحمى الا على معنى ماأباحه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الوجه الذي حماه . وفيه ابطال ماكان اهل الجاهلية يفعلونه من ذلك . وكان الرجل العزيز منهم اذا انتجع بلداً مخصباً اوفى بكلب على جبل اوعلى نشز من الارض ثم استعوى الكلب ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء فحيث انتهى صوته حماه من كل ناحية لنفسه ومنع الناس منه . فاما ماحماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لمهازيل الصدقة واضعفي الخيل كالنقيع وهو مكان معروف مستنقع للمياه ينبت فيه الكلاء . وقد يقال انه مكان ليس بحد واسع يضيق بمثله على المسلمين المرعى فهو مباح . وللائمة ان يفعلوا ذلك على النظر مالم تضق منه على العامة المراعي والله اعلم . وهذا الكلام الذي سقته معنى كلام الشافعي في كتبه انتهى كلام الخطابي . وقد علم منه ان الشريعة ابطلت هذا المذهب الذي كان عليه اهل الجاهلية وان

المشروع ماكان على عهد الرسول عليه الصلوة والسلام . وفى كتاب الاحكام السلطانية للامام الماوردى اتم تفصيل لهذه المسئلة . فقد قال قد حمى رسول الله صلى تعالى عليه وسلم بالمدينة وصعد جبلا بالنقيع قال ابو عبيد النقيع بالنون . وقال هذا حماى واشار بيده الى القاع وهو قدر ميل فى ستة اميال حماه لخيل المسلمين اوللفقرآء والمساكين ففى جوازه قولان «احدهما» لايجوز ويكون الحمى خاصاً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين حمى النقيع قال لاحمى الا لله ورسوله «والقول الثانى» ان حمى الائمة بعده جائز كجوازه له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان يفعل ذلك لصلاح المسلمين لا لنفسه فكذلك من قام مقامه فى مصالحهم . قد حمى ابوبكر رضى تعالى عنه بالربذة لاهل الصدقة واستعمل عليه مولاه ابا سلامة . وحمى عمر رضى الله تعالى عنه من السرف مثل ماحماه ابو بكر من الربذة وولى عليه مولى له يقال له هنى . وقال ياهنى ضم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة . واياك ونعم ابن عفان وابن عوف فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع وان رب الصريمة ورب الغنيمة يأتيانى بعيالهما فيقولان ياامير المؤمنين افتاركهم انا لا ابالك فالكلاء اهون على من الدينار والدرهم. والذى نفسى بيده لولا المال الذى احمل عليه فى سبيل الله ماحميت عليهم من بلادهم شبرا . فاما قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحمى

الا لله ورسوله . فمعناه لاحمى الا على مثل ماحماه الله تعالى ورسوله للفقراء والمساكين . ولمصالح كافة المسلمين . لاعلى مثل ماكانوا عليه في الجاهلية . ثم قال واذا جرى على الارض حكم الحمى استبقاء لمواتها سابلا ومنعا من احيائها ملكا روعي حكم المحمي فان كان للكافة تساوى فيه جميعهم من غني وفقير ومسلم وذمي في رعي كلائه بخيلهم وماشيتهم . فان خص به المسلمون اشترك فيه اغنياؤهم وفقراؤهم ومنع منه اهل الذمة . وان خص به الفقراء والمساكين منع منه الاغنياء واهل الذمة ولا يجوز ان يخص به الاغنياء دون الفقراء ولا اهل الذمة دون المسلمين . وان خص به نعم الصدقة اوخيل المجاهدين لم يشركهم فيه غيرهم . ثم يكون الحمى جاريا على مااستقر عليه من عموم وخصوص فلو اتسع الحمى المخصوص لعموم الناس جاز ان يشتركوا فيه لارتفاع الضرر عمن خص به . ولو ضاق الحمى العام عن جميع الناس لم يجز ان يختص به اغنياؤهم . وفي جواز اختصاص فقرائهم به وجهان . واذا استقر حكم الحمى على الارض فاقدم عليها من احياها ونقض حماها روعي الحمى . فان كان مما حماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الحمى ثابتاً والاحياء باطلا والمتعرض لاحيائه مردوعا من جورا لاسيما اذا كان سبب الحمى باقيا لانه لايجوز ان يعارض حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنقض ولا ابطال . وان كان من حمى الائمة بعده ففي اقرار احيائه قولان « احدهما » لايقر ويجرى

عليه حكم الحمى كالذى حماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه حكم نفذ بحق « والقول الثانى » يقر الاحياء ويكون حكمه اثبت من الحمى لتصريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من احيا ارضاً مواتا فهى له . ولا يجوز لاحد من الولاة ان يأخذ من ارباب المواشى عوضاً عن مراعى موات اوحمى لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون شركاء فى ثلاث فى الماء والنار والكلاء انتهى. والمقصود من هذه النقول ان ما كان عليه اعزاء العرب واقوياؤهم من التفرد بالحمى على الوجه الذى ذكرنا مما ابطله الشرع وهدمه .

﴿ مذهب العرب فى البحيرة والسائبة ايام الجاهلية ﴾

اعلم ان هذا المذهب من مبتدعات عمرو بن لحى الخزاعى ايضا حمل العرب على التدين به فى جملة ماأحدث من المنكرات التى لم يكونوا يعلمونها من شريعة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وقد ابطلته الشريعة الاسلامية . قال تعالى ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لايعقلون (اما البحيرة) فهى فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق والتاء للنقل الى الاسمية اولحذف الموصوف . قال الزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها وشقوها وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع عن مرعى وهى البحيرة . وعن قتادة انها اذا نتجت خمسة ابطن نظر فى الخامس

فان كان ذكراً ذبحوه واكلوه وان كان انثى شقوا اذنها وتركوها ترعى ولا يستعملها احد فى حلب وركوب ونحو ذلك . وقيل البحيرة هى الانثى التى تكون خامس بطن وكانوا لايحلون لحمها ولبنها للنساء . فان ماتت اشترك الرجال والنساء فى اكلها . وعن محمد بن اسحق ومجاهد انها بنت السائبة وسنأتى ان شاء الله تعالى قريباً وكانت تهمل ايضا . وقيل هى التى ولدت خمساً اوسبعاً وقيل عشرة ابطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة . وعن ابن المسيب انها التى منع لبنها للطواغيت فلا تحلب . وقيل هى التى ولدت خمس اناث فشقوا اذنها وتركوها هملا . وجعلها فى القاموس على هذا القول من الشاء خاصة وكما تسمى بالبحيرة تسمى بالغزيرة ايضا . وقيل هى السقب الذى اذا ولد شقوا اذنه وقالوا اللهم ان عاش فعيّ وان مات فذكيّ فاذا مات اكلوه . وقيل هى التى تترك فى المرعى بلا راع ولما كان مذهب العرب مختلفاً فيها اختلف ائمة اللغة فى تفسيرها . وكل قول يرجع الى مذهب وبذلك يجمع بين الاقوال (واما السائبة) فهى فاعلة من سيبته اى تركته واهملته فهو سائب وهى سائبة اوبمعنى مفعول كعيشة راضية . واختلف فيها فقيل هى الناقة تبطن عشرة ابطن اناث فتهمل ولا تركب ولايجز وبرها ولايشرب لبنها الاضيف ونسب الى محمد ابن اسحق . وقيل هى التى تسيب للاصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا ابناء السبيل ونحوهم . وروى ذلك

عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم . وقيل هى البعير يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب .وقيل كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد اونجت دابته من مشقة اوحرب قال هى سائبة اوكان ينزع من ظهرها فقارة اوعظماً وكانت لاتمنع عن ماء ولا كلاء ولا تركب وكأنه كان هذا نذراً من نذورهم اذا قدم الرجل منهم من سفر اوشفى من مريض وهذا الوجه مروى عن ابى عبيدة . وقيل هى ماترك ليحج عليه . وقيل هى التى تركت لآلهتهم فقد كان الرجل يجئ بماشية فيتركها عندها ويسبل لبنها . وقيل هى العبد يعتق على ان لايكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث وهو وجه غريب (واما الوصيلة) فهى فعيلة بمعنى فاعلة وقيل مفعولة والاول اظهركما ينبئ عن ذلك بيان المراد بها واختلف فيه فقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة ابطن عناقين عناقين واذا ولدت فى آخرها عناقا وجدياً قيل وصلت اخاها فلا يشرب ابن الام الا الرجال دون النساء وتجرى مجرى السائبة وقال الزجاج هى الشاة اذا ولدت ذكراً كان لآلهتهم واذا ولدت انثى كانت لهم وان ولدت ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وقيل هى الشاة تلد ذكراً ثم انثى فتصل اخاها فلا يذبحون اخاها من اجلها واذا ولدت ذكراً قالوا هذا قربان لآلهتنا . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى الشاة تنتج سبعة ابطن فان كان السابع انثى لم ينتفع النساء منها بشئ الا ان تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكراً وانثى

قالوا وصلت اخاها فترك معه ولا ينتفع بها الا الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها. وقال ابن قتيبة ان كان السابع ذكراً ذبح واكلوا منه دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على ازواجنا وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكراً وانثى فكقول ابن عباس رضي الله تعالى عنه . وقال محمد بن اسحق هي الشاة تنتج عشر اناث متواليات في خمسة ابطن فما ولدت بعده للذكور دون الاناث فاذا ولدت ذكراً وانثى معاً قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوه لمكانها . وقيل هي الشاة تنتج خمسة ابطن اوثلاثة فان كان جديا ذبحوه وان كان انثى ابقوها وان كان ذكراً وانثى قالوا وصلت اخاها وقال بعضهم الوصيلة من الابل وهي الناقة تبكر فتلد انثى ثم تثني بولادة انثى اخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لالهتهم ويقولون قد وصلت انثى بانثى ليس بينهما ذكر. وقيل هي الناقة انثى وصلت بين عشرة ابطن لاذكر بينها (واما الحام) فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه ايضا فقال الفراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون قد حمى ظهره فيهمل ولا يطرد عن ماء ولا مرعى . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وابن مسعود وهو قول ابي عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة ابطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ومرعى . وعن الشافعي انه الفحل يضرب في مال صاحبه عشر سنين وقيل هو الفحل ينتج له سبع اناث متواليات فيحمى ظهره . وجمع بين الاقوال المتقدمة

فى كل من تلك الانواع بان العرب كانت تختلف افعالهم فيها كما سبق (ومعنى الاية السابقة) ماجعل الله من بحيرة الخ ماشرع . ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون مايفعلون ويقولون الله سبحانه وتعالى امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحى فانه فى المشهور اول من فعل تلك الافاعيل الشنيعة . اخرج ابن جرير وغيره عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاكثم ابن الجون يااكثم عرضت على النار فرأيت فيها عمرو بن لحى بن قمعة ابن خندف يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلا اشبه برجل منك به ولا به منك فقال اكثم اخشى ان يضرنى شبهه يارسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاانك مؤمن وهو كافر انه اول من غير دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامى. وجاء فى خبر آخر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ووصل الوصيلة . واخرج عبد الرزاق وغيره عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لاعرف اول من سيب السوائب ونصب النصب واول من غير دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام قالوا من هو يارسول الله قال عليه الصلوة والسلام عمرو ابن لحى اخو بنى كعب لقد رايته يجر قصبه فى النار يؤذى اهل النار ريح قصبه وانى لاعرف اول من بحر البحائر قالوا من هو يارسول الله قال عليه الصلوه والسلام رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع

اذانهما وحرم البانهما وظهورها وقال هاتان لله ثم احتاج اليهما فشرب البانهما وركب ظهورها فلقد رأيته في النار وهما تقضمانه بافواههما . واستدل بالاية على تحريم هذه الامور وهو ظاهر . واستنبط منه تحريم جميع تعطيل المنافع . واستدل ابن الماجشون بها على منع ان يقول الرجل لعبده انت سائبة وقال لايعتق بذلك. وجعل بعض العلماء من صور السائبة ارسال الطير ونحوه وصرح بعض العلماء انه لاثواب في ذلك ولعل الجاعل لايكتفي بهذا القدر ويدعي الاثم فيه والناس عن ذلك غافلون واكثرهم لايعقلون ان ذلك افتراء باطل فما تقدم فعل الرؤساء وهذا شأن الاتباع وهم المراد بالاكثر. وظاهر سياق النظم الكريم انهم المقلدون لاسلافهم المفترين من معاصري رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم. والحاصل ان المراد بالاية ردما ابتدعه اهل الجاهلية وابطاله .

(مذهبهم في الفرع والعتيرة)

(اما الفرع) فهو اول النتاج وهو بفتح الفاء والراء بعدها مهملة . وفي المحكم الفرع اول نتاج الابل والغنم كان اهل الجاهلية يذبحونه لاصنامهم ثم يأكلونه ويلقي جلده على الشجر وقال ان الفرع ذبح كانوا اذا بلغت الابل ماتمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت مائة يعتر منها بعيراً كل عام ولا يأكل منه هو ولا اهل بيته ويطلق

ايضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالخرس للولادة . وفى كتاب ضروب الامثال للميدانى عند الكلام على قولهم اول الصيد فرع مانصه الفرع اول ولد تنتجه الناقة كانوا يذبحونه لآلهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول اذا اتمت ابلى كذا نحرت اول نتيج منها وكانوا اذا ارادوا نحره زينوه والبسوه ولذلك قال اوس يذكر ازمة فى شدة البرد .

شبه الهيدب العبام من ال * اقوام سقباً مجللا فرعا

الهيدب العبام العى الثقيل والسقب الذكر من ولد الناقة قال ابو عمرو ويضرب عند اول مايرى من خير فى زرع اوضرع وفى جميع المنافع . ويروى اول الصيد فرع ونصاب . وذلك انهم يرسلون اول شئ يصيدونه يتيمنون به ويروى اول صيد فرعه اى اراق دمه يضرب لمن يرى منه خير قبل فعلته هذه انتهى . ولعل هذا الاختلاف مبنى ايضاً على اختلاف مذاهب العرب فيه فانهم قلما يتوافقون فى العوائد والاعمال (واما العتيرة) فهى بفتح المهملة وكسر المثناة بوزن عظية ذبيحة كانوا يذبحونها فى الجاهلية فى رجب يتقربون بها لاصنامهم وهى الرجبية قال ابو عبيد . وقال غيره العتيرة نذر كانوا ينذرونه من بلغ ماله كذا ان يذبح من كل عشرة منها فى رجب . وفى الصحاح العتيرة هى ان الرجل كان يقول فى الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترت منها عتيرة فى رجب . ونقل ابو داود تقييدها بالعشر الاول من رجب

وروى الحميدى انها الشاة التى تذبح عن اهل بيت فى رجب وسميت بذلك لذبحها وهو العتر فهى فعيلة بمعنى مفعولة . واعلم ان الشريعة الاسلامية قد ابطلت كلا من الفرع والعتيرة . ففى الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة . وهذا النهى محمول على ما اذا كان الذبح لغير الله تعالى كصنيع الجاهلية فانهم كانوا يذبحونه لطواغيتهم . واما اذا كان الذبح لله تعالى فهو جائز جمعاً بين هذا الحديث وبين حديث « الفرع حق » روى الحاكم انه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الفرع فقال الفرع حق وان تتركه حتى يكون بنت مخاض او ابن لبون فتحمل عليه فى سبيل الله او تعطيه ارملة خير من ان تذبحه يلصق لحمه بوبره وتوله ناقتك . وفى حديث آخر نادى رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا كنا نعتر عتيرة فى الجاهليه فما تأمرنا قال اذبحوا لله فى اى شهر كان . قال انا كنا نفرع فى الجاهلية قال فى كل سائمة فرع تغذوه ماشيتك حتى اذا استحمل ذبحته فتصدقت بلحمه فان ذلك خير . ففى هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبطل الفرع والعتيرة من اصلهما وانما ابطل صفة من كل منهما فمن الفرع كونه يذبح اول ما يولد . ومن العتيرة خصوص الذبح فى شهر رجب وكون الذبح فى كل منهما لغير الله تعالى .

﴿ ومن مذاهب العرب فى الجاهلية الوأد ﴾

يقال وأد الموؤدة يئدها دفنها حية والموؤدة اسم كان يقع على

من كانت العرب تدفنها حية من بناتها وهو وائد وهي وئيد ووئيدة وموؤدة . انشد ابن الاعرابي .

وما لقي الموؤد من ظلم امه * كما لقيت ذهل جميعا وعامر

وبعضهم يقول الموؤدة من الوأد وهو الثقل كانها سميت بذلك لانها تثقل بالتراب حتى تموت . وقيل الوأد مقلوب الاود وحكاه المرتضى في درره عن بعض اهل اللغة وهو غير مرضي عند ابي حيان لانه لم ينقل عن احد من ائمة اللغة . ذكر الهيثم بن عدي على ماحكاه عنه الميداني ان الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة فجاء الاسلام. وقد قل ذلك فيها الا من بني تميم فانهم تزايد فيهم ذلك قبل الاسلام وكانت مذاهب العرب مختلفة في الوأد وقتل الاولاد (فنهم) من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من اجلهن وهم بنو تميم وكندة وقبائل آخرون . قال الميداني وكان السبب في ذلك ان بني تميم منعوا الملك ضريبة الاتاوة التي كانت عليهم فجرد اليهم النعمان اخاه الريان مع دوسر « ودوسر احدى كتائبه» وكان اكثر رجالها من بكر بن وائل فاستاق نعمهم وسبي ذراريهم . وفي ذلك يقول ابو المشمرج اليشكري .

لما رأوا راية النعمـــان مقبلة * قالوا الا ليت ادنى دارنا عدن
ياليت ام تميم لم تكن عرفت * مرأ وكانت كمن اودى به الزمن
ان تقتلونا فاعيـــار مجدعة * اوتنعموا فقديمـــاً منكم المنن

ووفدت وفود بني تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري فحكم النعمان بان يجعل الخيار في ذلك الى النساء فاية امرأة اختارت زوجها ردت عليه فاختلفن في الخيار وكانت فيهن بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس بن عاصم ان يدس كل بنت تولد له في التراب فوأد بضع عشرة بنتاً وبصنيع قيس بن عاصم واحيائه هذه السنة نزل القرأن في ذم وأد البنات . وروى ان اول قبيلة وأدت من العرب ربيعة وذلك انهم اغير عليهم فنهبت بنت لامير لهم فاستردها بعد الصلح فخيرت رضى منه بين ابيها ومن هي عنده فاختارت من هي عنده و آثرته على ابيها فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم ومخافة ان يقع لهم بعد مثل ماوقع وشاع في العرب غيرهم والله تعالى اعلم بصحة ذلك . وغالب قبائل العرب كان غرضهم من الوأد ماذكر . وكيفية الوأد كما ذكر غير واحد ان الرجل منهم كان اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف اوشعر ترعى له الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض . وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتاً رمت

بها فى الحفرة واذا ولدت ولداً حبسته (ومنهم) من كان يئد من البنات من كانت زرقاء اوشيماء اوبرشاء اوكسحاء تشؤما منهم بهذه الصفات . ومن هذا حديث سودة بنت زهرة بن كلاب وذلك انها لما ولدت على بعض هذه الصفات ورأها ابوها كذلك امر بوأدها فارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر واراد دفنها سمع هاتفاً يقول لاتئد الصبية . وخلها البرية . فالتفت فلم ير شيئاً فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى المعنى فرجع الى ابيها فاخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة ان فيكم نذيرة اوتلد نذيراً فاعرضوا على بناتكم فعرضن عليها فقالت فى كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرض عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة اوستلد نذيراً فى خبر طويل ذكره ابو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم ولم يكن اسمها مسموعا عندهم يومئذ فقالوا لها وما جهنم فقالت سيخبركم عنها النذير . وفى السيرة الحلبية الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبدالله ان سودة بنت زهرة الكاهنة وهى عمة وهب والد آمنة كان من امرها انها لما ولدت رأها ابوها زرقاء شيماء اى سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة اى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة مع ذل وكآبة . وذكر الخبر السابق . وهذا المذهب كان عليه قليل من قبائل العرب ولم يأخذ

به جمهورهم (ومنهم) من كان يقتل اولاده خشية الانفاق وخوف الفقر وهم الفقراء من بعض قبائل العرب وفيهم نزل قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأً كبيراً . وظاهر لفظ الاية النهي عن جميع انواع قتل الاولاد ذكوراً كانوا او اناثا مخافة الفقر والفاقة . لكن روى ان من اهل الجاهلية من كان يئد البنات مخافة العجز عن النفقة عليهن فنهى في الاية عن ذلك فيكون المراد بالاولاد البنات وبالقتل الوأد والخشية في الاصل خوف يشوبه تعظيم . قال الراغب اكثر مايكون ذلك عن علم بما يخشى منه . والاملاق الفقر كما روى عن ابن عباس وانشد له قول الشاعر .

واني على الاملاق ياقوم ماجد * اعد لاضيافي الشواء المصهبا

وقوله سبحانه نحن نرزقهم واياكم ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بابطال موجبه في زعمهم اي نحن نرزقهم لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على علمكم بعجزهم عن تحصيل رزقهم . وقوله سبحانه ان قتلهم كان خطأً كبيرا . تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم لما فيه من قطع التناسل وقطع النوع والخطء كالاثم لفظاً ومعنى . وكان كثيراً من عقلاء العرب لايرتضي هذا الفعل . وكان جمع منهم يفتدون هذا النوع من الموؤدة من اهلها . وفي صحيح البخاري ان زيد بن عمرو ابن نفيل كان يحيي الموؤدة يقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لاتقتلها انا اكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها

اليك وان شئت كفيتك مؤنتها والاحياء هنا مجاز والمراد باحيائها ابقاؤها. وكان صعصعة بن ناجية يشترى البنت ممن يريد وأدها خشية الاملاق فاحيا ستاً وتسعين موؤدة الى زمن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وفى ذلك يقول الفرزدق مفتخراً .

منا الذى اختير الرجال سماحة * وخيرا اذا هب الرياح الزعازع
ومنا الذى قاد الجياد على الوجى * لنجران حتى صبحتها النزائع
ومنا الذى اعطى الرسول عطية * اسارى تميم والعيون دوامع
ومنا خطيب لايعاب وحامل * اغر اذا التفت عليه المجامع
ومنا الذى احيا الوئيد وغالب * وعمرو ومنا حاجب والاقارع
اولئك آبائى فجئنى بمثلهم * اذا جمعتنا ياجرير المجامع

ورأيت فى بعض كتب السير ان صعصعة بن ناجية بن عقال كان يفدى الموؤدة من القتل ولما اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يارسول الله انى كنت اعمل عملا فى الجاهلية افينفعنى ذلك اليوم قال وماعملك فاخبره بخبر طويل فيه انه حضر ولادة امرأة من العرب بنتاً فاراد ابوها ان يئدها قال فقلت له اتبيعها قال وهل تبيع العرب اولادها قال قلت انما اشترى حياتها ولا اشترى رقها فاشتراها منه بناقتين عشراوين وجمل وقد صارت لى سنة فى العرب على ان اشترى مايئدونه بذلك ففدى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موؤدة وقد انقذتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاينفعك ذلك

لانك لم تبتغ به وجه الله وان تعمل في اسلامك عملا صالحاً تثب عليه . واخرج الطبراني عن صعصعة بن ناجية المجاشعي قال قلت يارسول الله اني عملت اعمالا في الجاهلية فهل فيها من اجر احييت ثلاثمائة وستين من الموؤدة اشترى كل واحدة منهن بناقتين عشراوين وجمل فهل لي في ذلك من اجر فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لك اجره اذ من الله تعالى عليك بالاسلام وهذه الرواية اصح من الرواية الاولى وقد ذكر الفرزدق احياء جده الموؤدة في كثير من شعره . كما قال .

ومنا الذى منع الوائدات * واحيي الوئيد فلم يوأد

« ومنهم » من كان ينذر اذا بلغ بنوه عشرة نحر واحداً منهم كما فعله عبدالمطلب في قصته المشهورة واليها اشار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله انا ابن الذبيحين يعني اباه عبد الله وجده اسمعيل عليه الصلوة والسلام . قال الامام الماوردى في كتاب اعلام النبوة . حكى الزهري ويزيد بن رومان وصالح بن كيسان ان عبد المطلب بن هاشم نذر انه متى رزق عشرة اولاد ذكوراً ورآهم بين يديه رجالا ان ينحر احدهم للكعبة شكراً لربه حين علم ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام امر بذبح ولده تصوراً انه من افضل قربة . فلما استكمل ولده العدد وصاروا له من اظهر العدد . قال لهم يابني كنت نذرت نذراً اعلمتموه قبل اليوم فما تقولون قالوا الامر لك واليك . ونحن بين يديك . فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم

اتوه بالقداح فاخذها وجعل يرتجز ويقول .

عاهدته وانا موف عهده * والله لايحمد شئ حمده

اذكان مولاى وكنت عبده * نذرت نذراً لااحب رده

* ولا احب ان اعيش بعده *

ثم دعا بالامين الذى يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرك ولا تعجل وكان احب ولد عبد المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم على عبد الله فاخذ عبد المطلب الشفرة واتى بعبد الله واضجعه بين اساف ونائلة وانشأ مرتجزاً يقول .

عاهدته وانا موف نذره * والله لايقدر شئ قدره

هذا بنى قد اريد نحره * وان يؤخره يقبل عذره

وهم بذبحه فوثب اليه ابنه ابوطالب وكان اخا عبد الله لابيه وامه وامسك يد عبد المطلب عن اخيه وانشأ مرتجزاً يقول .

كلاورب البيت ذى الانصاب * ماذبح عبد الله بالتلعاب

ياشيب ان الريح ذوعقاب * ان لنا مرة فى الخطاب

* اخوال صدق كأسود الغاب *

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من ابى طالب وكانوا اخواله قالوا صدق ابن اختنا ووثبوا الى عبد المطلب فقالوا ياابا الحارث انا لانسلم ابن اختنا للذبح فاذبح من شئت من ولدك غيره فقال انى نذرت نذراً وقد خرج القدح ولابد من ذبحه قالوا كلا لايكون ذلك ابداً وفينا ذوروح

وانا انفديه بجميع اموالنا من طارف وتالد وانشأ المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم مرتجزاً يقول .

يا عجبا من فعل عبد المطلب * وذبحه ابناً كتمثال الذهب
كلا وبيت الله مستور الحجب * ماذبح عبد الله فينا باللعب
* فدون مايبغي خطوب تضطرب *

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطلب فقالوا ياابا الحارث ان هذا الذي عزمت عليه لعظيم وانك ان ذبحت ابنك لم تتهن بالعيش من بعده ولكن لاعليك انت على رأس امرك تثبت حتى نصير معك الى كاهنة بني سعد فما امرتك من شئ فامتثله . فقال عبد المطلب لكم ذاك وكانوا يرون الكهانة حقاً. ثم خرج في جماعة من بني مخزوم نحو الشام الى الكاهنة فلما دخلوا عليها اخبرها عبد المطلب بما عزم عليه من ذبح ولده وارتجز يقول .

يارب اني فاعل لما ترد * ان شئت الهمت الصواب والرشد
ياسائق الخير الى كل بلد * قد زدت في المال واكثرت العدد

فقالت الكاهنة انصرفوا عني اليوم فانصرفوا وعادوا من الغد فقالت كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلدكم وقدموا هذا الغلام الذي عزمتم على ذبحه وقدموا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل القداح فان خرج القدح على الابل فانحروها وان خرج على صاحبكم فزيدوا على الابل عشرة

عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة واقبلوا عليه يقولون ياابا الحارث ان لك فى ابراهيم اسوة فقد علمت ماكان من عزمه فى ذبح ابنه اسمعيل وانت سيد ولد اسمعيل فقدم مالك دون ولدك . فلما اصبح عبد المطلب غدا بابنه عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة من الابل ثم دعا بامين القداح وجعل لابنه قدحا وقال اضرب ولا تعجل فخرج القدح على عبدالله فجعلها عشرين فضرب فخرج القدح على عبدالله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها اربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبدالله فجعلها تسعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة وضرب فخرج القدح على الابل فكبر عبدالله وكبرت قريش وقالت ياابا الحارث انه قدانتهى رضاء ربك وقد نجا ابنك من الذبح فقال لاوالله حتى اضرب عليه ثلاثا فضرب الثانية فخرج على الابل فضرب الثالثة فخرج على الابل فعلم عبدالمطلب انه قدانتهى رضاء ربه فى فداء ابنه فارتجز يقول .

دعوت ربى مخلصا وجهرا * يارب لاتنحر بنى نحرا
وفاد بالمال تجد لى وفرا * اعطيك من كل سوام عشرا
عفواً ولا تشمت عيونا حزرا * بالواضح الوجه المغشى بدرا

فالحمد لله الاجل شكرا * فلست والبيت المغطى سترا

مبدلا نعمة ربى كفرا * مادمت حيا اوازور القبرا

ثم قربت الابل وهى مائة من جلة ابل عبد المطلب فنحرت كلها فداء لعبدالله وتركت فى مواضعها لايصد عنها احد ينتابها من دب ودرج فجرت السنة فى الدية بمائة من الابل الى يومنا هذا وانصرف عبد المطلب بابنه عبد الله فرحا فكان عبد الله يعرف بالذبيح . ولذلك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن الذبيحين يعنى اسمعيل ابن ابراهيم عليهما الصلوة والسلام واباه عبد الله بن عبد المطلب (ومنهم) من كان يقول الملائكة بنات الله سبحانه عما يقولون فالحقوا البنات به تعالى فهو عز وجل احق بهن . والى هؤلاء القوم وردهم يشير قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب الاساء مايحكمون. ولله در التنزيل مااعلى شأنه . واظهر برهانه . فقد ابطل هذا المذهب الفاسد . والاعتقاد الكاسد . بلفظ موجز اى ايجاز . ودليل واضح اقعد اهل الالحاد على الاعجاز . ففى التفسير ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله تعالى . وكأنهم لجهلهم زعموا تأنيثها وبنوتها. وقال الامام اظن انهم اطلقوا عليها البنات لاستتارها عن العيون كالنساء ولهذا لما كان قرص الشمس يجرى مجرى

المستتر عن العيون بسبب ضوئه الباهر . ونوره القاهر . اطلقوا عليه لفظ التأنيث . ولا يرد على ذلك ان الجن كذلك لانه لايلزم فى مثله الاطراد . وقيل اطلقوا عليها ذلك للاستتار مع كونها فى محل لاتصل اليه الاغيار فهى كبنات الرجل اللاتى يغار عليهن فيسكنهن فى محل امين . ومكان مكين . والجن وان كانوا مستترين لكن لاعلى هذه الصورة . وهذا اولى مما ذكره الامام . واما عدم التوالد فلا يناسب ذلك . سبحانه تنزيه وتقديس له تعالى شأنه عن مضمون قولهم ذلك او تعجيب من جراتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة وهو فى المعنى الاول حقيقة . وفى الثانى مجاز . ولهم مايشتهون . يعنى البنين . واذا بشر احدهم بالانثى اى اخبر بولادتها . ظل وجهه مسوداً من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والفكرة والنفرة التى لحقته بولادة الانثى قيل اذا قوى الفرح انبسط روح القلب من داخله ووصل الى الاطراف لاسيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فيرى الوجه مشرقا متلألئاً واذا قوى الغم انحصر الروح الى باطن القلب ولم يبق له اثر قوى فى ظاهر الوجه فيربد ويتغير ويصفر ويسود ويظهر فيه اثر الارضية فمن لوازم الفرح استنارة الوجه واشراقه ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد ولو قيل بالمجاز لم يبعد . وهو كظيم اى مملوء غيظاً واصل الكظم

مخرج النفس يقال اخذ بكظمه اذا اخذ بمخرج نفسه ومنه كظم الغيظ لاخفائه وحبسه عن الوصول الى مخرجه . والظاهر ان ذلك الغيظ على المرأة حيث ولدت انثى ولم تلد ذكراً. ويؤيده ماروى الاصمعي ان امرأة ولدت بنتاً سمتها الذلفاء فهجرها زوجها فانشدت .

مالابي الذلفاء لايأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
يحرد ان لانلد البنينا * وانما نأخذ مايعطينا

يتوارى من القوم يستخفي من قومه . من سوء مابشر به عرفا وهو الانثى والتعبير عنها بما لاسقاطها بزعمهم عن درجة العقلاء . ويروى ان بعض الجاهلية يتوارى في حال الطلق فان اخبر بذكر ابتهج اوبانثى حزن وبقي متواريا اياما يدبر فيها مايصنع . ايمسكه ايتركه ويربيه. على هون اي ذل . ام يدسه اي يخفيه . في التراب والمراد يئده ويدفنه حياً حتى يموت والى هذا ذهب السدي وقتادة وابن جريج وغيرهم. وقيل المراد اهلاكه سوآء كان بالدفن حياً ام بامر آخر فقد كان بعضهم يلقي الانثى من شاهق روى ان رجلا قال يارسول الله والذي بعثك بالحق مااجد حلاوة الاسلام منذ اسلمت وقد كانت لي في الجاهلية بنت وامرت امرأتي ان تزينها واخرجتها فلما انتهيت الى واد بعيد القعر القيتها فقالت ياابت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شئ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مافي الجاهلية فقد هدمه الاسلام ومافي الاسلام يهدمه الاستغفار وكان بعضهم يغرقها وبعضهم يذبحها الى غير ذلك

ولما كان الكل اماتة تفضى الى الدفن فى التراب قيل ام يدسه فى التراب .
وقيل المراد اخفاؤه عن الناس حتى لايعرف كالمدسوس فى التراب .
الا ساء مايحكمون حيث يجعلون لمن تنزه عن الصاحبة والولد ماهذا
شأنه عندهم والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين
فمدار الخطاء جعلهم ذلك لله تعالى شأنه مع ابآئهم اياه لاجعلهم البنين
لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه وجوز ان يكون مداره التعكيس
كقوله تعالى تلك اذاً قسمة ضيزى . وقال ابن عطية هذا استقباح منه
تعالى شأنه لسوء فعلهم وحكمهم فى بناتهم بالامساك على هون اوالوأد مع
ان رزق الجميع على الله تعالى فكأنه قيل الاساء مايحكمون فى بناتهم وهو
خلاف الظاهر جداً. وروى الاول عن السدى وعليه الجمهور والاية
ظاهرة فى ذم من يحزن اذا بشر بالانثى حيث اخبرت ان ذلك فعل
الكفرة . وقد اخرج ابن جرير وغيره عن قتادة انه قال فى قوله سبحانه
واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم . هذا صنيع
مشركى العرب اخبركم الله تعالى بخبثه فاما المؤمن فهو حقيق ان يرضى
بما قسم الله تعالى له وقضاء الله تعالى خير من قضاء المرء لنفسه. ولعمرى
ماندرى اى خير لرب جارية خير لاهلها من غلام وانما اخبركم
الله عزوجل بصنيعهم لتجتنبوه وانتهوا عنه (والحاصل) ان هذا
الفعل الشنيع على اختلاف انواعه قد ابطلته الآيات القرآنيه .
والاحاديث النبويه . وابلغ النصوص الواردة فى ذلك قوله سبحانه واذا

الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت حيث دل على ان السؤال انما توجه اليها لاظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كأنه لايستحق ان يخاطب ويسأل عن ذلك وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد بصرف الخطاب عنه واسقاطه عن درجة الاعتبار فان المجنى عليه اذا سئل بمحضر الجانى ونسبت اليه الجناية دون الجانى كان ذلك بعثاً للجانى على التفكر فى حال نفسه وحال المجنى عليه فيرى برائة ساحته وانه هو المستحق للعتاب والعقاب وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله. وهذه الطريقة افظع فى ظهور جناية القاتل والزام الحجة عليه. وعد من الوأد العزل . فقد اخرج الامام احمد ومسلم وابو داود وغيرهم انه سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن العزل فقال ذلك الوأد الخفى وفى حديث آخر تلك الموؤدة الصغرى . وفيه تفصيل محله كتب الفقه والتفسير . ومن الايات الواردة فى هذا الباب قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون . ومنها قوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين . الى غير ذلك مما يطول ذكره . وهكذا الاحاديث الصحيحة الواردة فى ابطال هذا العمل وشهرتها تغنى عن ذكرها وايرادها فى هذا المحل .

(ومن مذاهب العرب فى الجاهلية الميسر)

الميسر القمار وهو مصدر ميمى كالموعد والمرجع من يسر ييسر يقال يسرته اذا قمرته . واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب . اومن اليسار لانه سلب يساره . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان الرجل فى الجاهلية يخاطر على اهله وماله . قال الشاعر .

اقول لهم بالشعب اذ ييسرونى * الم تعلموا انى ابن فارس زهدم

اى يفعلون بى ما يفعل الياسرون بالميسور . وقيل من يسروا الشئ اذا اقتسموه وسمى المقامر ياسراً لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور . وقال الواحدى من يسر الشئ اذا وجب والياسر الواجب بسبب القدح . وكان الميسر من مفاخر العرب لانهم كانوا يفعلونه فى ايام الشدة وعدم اللبن وايام الشتاء . قال شاعرهم .

واذا تعذرت السواعد والتوت * جال المفدى وسطها المضبوع

اغلى به رخو الازار معذل * فغدا يمار له دم مسفوح

السواعد مجارى اللبن فى الضرع يقول اذا تعذر اللبن جال المفدى يعنى القدح والمضبوح الذى ضبح وهو أثر النار لانه يقوّم بالنار . واغلى به من الغلاء اى اخذ به اى بالقدح سهاما كثيرة لكثرة فوزه ولذلك سمى المفدى لما يتكرر له من الفوز . ومعذل اى يعذل كثيراً على الانفاق فغدا يعنى القدح يمار له دم الناقة التى قامر عليها . وقال

لبيد بن ربيعة فى معلقته الشهيرة يفتخر بلعب الميسر ونجاحه فيه على غيره وكرمه .

وجزور ايسار دعوت لحتفها * بمغالق متشابه اجسامها
ادعو بهن لعاقر اومطفل * بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الجنيب كأنما * هبطا تبالة مخصباً اهضامها

الايسار جمع يسر وهو صاحب الميسر والمغالق سهام الميسر سميت بها لانها بها يغلق الخطر وهو السبق الذى يراهن عليه من قولهم غلق الرهن يغلق غلقاً اذا لم يوجد له تخلص وفكاك . يقول ورب جزور اصحاب ميسر دعوت ندمائى لنحرها وعقرها بازلام متشابهة الاجرام وسهام الميسر يشبه بعضها بعضاً حيث جعلت على قدر واحد . وتحرير المعنى رب جزور اصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر الايسار عليها دعوت ندمائى لهلاكها اى لنحرها بسهام متشابهة .قال الائمة يفتخر بنحره اياها من صلب ماله لامن كسب قماره والابيات التى بعده تدل عليه وانما اراد السهام ليقرع بها بين ابله ايها ينحر لندمائه . ومعنى البيت الثانى انه يقول ادعو بالقداح لنحر ناقة عاقر اوناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران اى انما اطلب القداح لانحر مثل هاتين وذكر العاقر لانها اسمن وذكر المطفل لانها انفس . ومعنى البيت الثالث ان الاضياف والجيران الغرباء عندى كأنهم نازلون وادى تبالة وهو من اخصب اودية اليمن فى حال كثرة اماكنه المطمئنة

شبه ضيفه وجاره فى الحصب والسعة بنازل هذا الوادى فى ايام الربيع
وقال عمرو بن قميئة صاحب امرئ القيس .

يودل ماقومى على ان تركتهم * سليمى اذا هبت شمال وريحها
اذا النجم امسى مغرب الشمس رائباً * ولم يك برق فى السماء يليحها
وغاب شعاع الشمس فى غير جلبة * ولاهبوة الا وشيكا مصوحها
وهاج غمام مقشعر كأنه * نقيلة نعل بان منها سريحها
اذا عدم المحلوب عادت عليهم * قدود كثير فى القدور قديحها
يثور اليها كل ضيف وجانب * كما رد دهداء القلاص نضيحها
بايديهم مقرومة ومغالق * يعود بارزاق العيال منيحها

قوله يودل الخ يريد يودل ياسليمى وما ز آئدة على انك تركتهم وفارقتهم وسليمى امرأته وكانت ارادت منه فراق قومه ورآئباً اى مرتفعاً والنجم الثريا واشد البرد عند طلوع الثريا اول الليل ويليحها يظهرها ويضيئها والجلبة السحابة وكذلك الجاب والوشيك السريع والمصوح الذهاب والهبوة الغبرة ومقشعر لاماء فيه والنقيلة النعل البالية من النعال التى ينعل بها الابل اذا حفيت وجمعها نقال والسريح السيور التى تشد بها النعل الواحد سريحة والقديح المعروف والجانب الاجنبى الغريب والدهداء صغار الابل سميت بذلك لان الابل اذا وردت الماء دهدهتها ودحرجتها والنضيح الحوض والمقرومة يعنى القداح بها علامات وليس المنيح ههنا القدح الذى لاسهم له على

ماسيجيء وانما المنيح ههنا الممنوح منها المعطى وهو القدح الفائز ويجوز ان يعود الهاء في منيحها على العباد ويكون المنيح بمعنى الفاعل اى تمنحهم هذه القداح ما اصابوه من قمرها . وقال شاعر آخر وهو ابن مقبل .

يا بيت آل هشام هل علمت اذا * امسى المراضيع في اعناقها خضع
انى اتمم ايسارى بذى اود * من فرع شحاط ضاح ليطه قرع
يحدو قتائله بيض غطارفة * شم الانوف مغاليق الضحى خلع
اولو الوفاء ولو ادّوا قداحهم * ولا يزال لهم من لحمها قنع

قوله بذى اود يعنى القدح واذا كان ذا اود كان اسرع لخروجه وشحاط ارض وضاح ليطه ظاهر جلده وما ضحى منه للشمس اى برز والقتائل الاشباه وهذا قتل هذا اى شبهه والجمع اقتال. ويقال ايضاً فلان قتل فلان اى عدوه فقول ابن مقبل يحدو قتائله اى قتائل قدحى ومغاليق الضحى اى يغلقون الرهن والخطر وخلع معناه يسلبون الرجال بالقمار ويخلعونها . واولو الوفاء اى يؤدون ما يلزمهم وفاؤه ولو لم يبق الا قداحهم لادّوها . والقنع الزيادة والكثرة ويقال هو ذو قنع اى كثير المال جواد . وقال آخر وقد مدح قوما بابيات منها قوله .

اعداء كوم الذرى ترغو اجنتها * عند المجازر بين الحى والحجر
لا يفرحون اذا ما فاز فائزهم * ولا يضيق عليهم ازبة العسر
هم الخضارم والايسار ان ندبوا * اذ لا تجيل قداحا راحتا يسر

الكوم جمع كوماء وهى الناقة العظيمة السنام وهم اعداؤها لانهم

يحرونها يعنى انها تحر وهى حوامل فيخرج الجنين حياً يرغو . وقوله لايفرحون الخ . يقول اذا فازوا لم يفرحوا بذلك ولا يبطرهم الفوز ومنه قول الله عز وجل ان الله لايحب الفرحين والازبة الشدة اى لايبالون بالغرم وان كانوا معسرين والخضارم الاسخياء والواحد خضرم واصل الخضرم البحر . وقال الاعشى .

وجزورايسارجزرت الى الندى * ونياط مقفرة اخاف ضلالهـا

والشعر الذى فيه تفاخرهم بالميسر وتمدحهم لايمكن استيعابه فى مثل هذا المقام (وصفة الميسر) ان يجتمع الفتيان منهم وذوو اليسار ويشترون جزوراً بما بلغت ويدعون الجزار ويسمونه القدار على وزن همام فينحرها ويجعلها عشرة اجزاء فاذاقسمت الجزور على ماتقدم حضر الايسار وهم القوم المجتمعون على الميسر وواحدهم يسر وجئ بالقداح وهى عيدان من نبع قدنحتت وملست وجعلت سواء فى الطول والنبع شجر للقسى وللسهام ينبت فى قلة الجبل والنابت منه فى السفح اى اصل الجبل يقال له الشريان وفى الحضيض اى القرار فى الارض وهو المطمئن منها يقال له الشوحط وقولهم لواقتدح بالنبع لاورى ناراً مثل فى جودة الرأى . وكما يقال لها القداح يقال لها الازلام والاقلام . وهى عشرة الفذ والتوأم والرقيب والحاس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد. وقدنظم اسمائها جمع من اعيان ائمة اهل الادب منهم الامام ابو الحسن على بن محمد الهمدانى فقال.

يلى الفذ منها توأم ثم بعده * رقيب وحلس بعده ثم نافس
ومسبلها ثم المعلى فهذه الـ * سهام التى دارت عليها المجالس

وقد نظمها الشيخ ابن الحاجب على ترتيب انصبائها ايضاً فقال .

هى فذ وتوأم ورقيب * ثم حلس ونافس ثم مسبل
والمعلى والوغد ثم منيح * وسفيح هذى الثلاثة تهمل
ولكل مما سواها نصيب * ضعفه ان عددت اول اول

« ونظمها بعضهم ايضاً فقال »

كل سهام الياسرين عشره * فاودعوها صحفا منشره
لها فروض ولها نصيب * الفذ والتوأم والرقيب
والحلس يتلوهن ثم النافس * وبعده مسبلهن السادس
ثم المعلى كاسمه المعلى * صاحبه فى الياسرين الاعلى
والوغد والسفيح والمنيح * غفل فما فيها يرى ربيح

فللاول وهو الفذ سهم ان فاز وفوزه خروجه وعليه غرم سهم ان خاب اى لم يخرج وكذلك باقيها على الترتيب فيما له وعليه الى المعلى وهو السابع له سبعة وعليه سبعة يفرض فى كل سهم منها بحسب ماله وعليه حز . وتكثر هذه السهام بثلاثة اخر اغفال ليس فيها حزوز ولا لها علامات ليكون ذلك انفى للتهمة وابعد من المحاباة وهى المنيح والسفيح والوغد. فاذا حضرت القداح وحضر الايسار اخذ كل منهم من القداح على قدره وقدرته وطاقته ورياسته فمنهم من لا يبلغ حاله

اكثر من الفذ فاخذه له فان خاب غرم سهماً ورأى ذلك سهلاً . وان فاز اخذ سهماً ورأى ذلك كافياً . ومنهم من يأخذ المعلى ولا يبالى بالغرم ان خاب وينال النصيب الاوفر ان فاز . ومنهم من يأخذ المعلى وسهماً ان لم يحضر من يتمم السهام فيأخذ مافضل من القداح ويقول للايسار قد تممتكم . وفى ذلك يقول متمم بن نويرة فى اخيه مالك .

اذا حضر القوم القداح واوقدت * لهم نار ايسار كفى من تضجعا

يقول من تضجع من الفتيان ولم يأخذ مابقى اخذ هو مابقى حتى يتممهم والتضجع التكاسل والاعراض عن العمل . وقال الغنوى .

اذا شهد الايسار اوغاب بعضهم * كفى الحى وضاح الجبين اريب

وتسمى القداح مغالق لانها تغلق الرهن اذا ضربوا بها على ماسبق (والتجزية) التى يقسمها القدار هى ان يجعل الكتفين جزئين كل واحد منهما جزء والصدر جزءاً وهو الزور. وقال فى القاموس الزور وسط الصدر اوما ارتفع منه الى الكتفين اوملتقى اطراف عظام الصدر. والعضدان جزأن ويقال لهما ابنا ملاط . والكاهل جزء وهو ابن مخدش . وفى القاموس هو كمنبر ومحدث كاهل البعير. والملحاء وهو مابين السنام الى العجز جزء والعجز جزء . والفخذان كل واحد منهما جزء ويزاد على الفخذين خرزات العنق والطفاطف وهى جمع طفطفة ويكسر الخاصرة اواطراف الجنب المتصلة بالاضلاع اوكل لحم مضطرب اوالرخص من مراق البطن وهو الشئ الناعم .ثم يقسم على الاجزاء

العشرة مافضل من الجنبين والسنام والكبد ومن قطع اللحم حتى تستوى فاذا استوت الاجزاء العشرة كلها بقى العظم الذى لايصلح ان يكون على واحد من الاجزاء . فان شاء الجزار اخذه والا كان لاهل الفاقة والفقر من العشيرة ولا يأخذه احد من الايسار لان ذلك عندهم عيب وعار . ويسمى ذلك العظم الريم . قال فى الصحاح الريم عظم يبقى بعد مايقسم الجزور . وانشد ابن السكيت .

وكنتم كعظم الريم لم يدر جازر * على اى بدأى مقسم اللحم يوضع

البدء والبدأة النصيب من الجزور والجمع ابداء وبدوء مثل جفن واجفان وجفون . قال طرفة بن العبد .

وهم ايسار لقمان اذا * اغلت الشتوة ابداء الجزور

وغير يعقوب يروى بدل يوضع يجعل . وقال ابن الاعرابى الريم القبر وقال

اذا مت فاعتادى القبور وسلمى * على الريم اسقيت الغمام الغواديا

وابو العلاء ايضاً فسر الريم فى هذا البيت بالقبر . واظن انه اراد الشاعر العظم الباقى من الجسد مجازاً . وبه قال ابو الحسن على ابن احمد السخاوى . ثم يبقى الرأس والقوائم يأخذها الجزار فى اجرته وتسمى الثنيا وتسمى الجزارة ايضاً . ثم اتسعوا فى ذلك فسموا الرأس والقوائم جزارة قال ذو الرمة من قصيدة تسمى المذهبة فى وصف نعامة .

شخت الجزارة مثل البيت سائره * من المسوح خدب شوقب خشب

وقد ذكر كثير من ابيات هذه القصيدة فى كتاب مناهج الفكر . ومباهج

العبر. وهو على اقسام قسم منه فى الطبايع الحيوانية. والابيات فى مبحث النعامة . اى ان الظليم المذكور هو دقيق القوآئم وجسمه كثير الشعر كبيت الاعراب وهو اسود كالمسح وهو البلاس والخسب الضخم والشوقب الطويل والخشب الجافى . فاذا اخذ كل واحد من الايسار قدحه دفعوا جميعها الى رجل ويسمونه الحرضة . قال فى الصحاح وهو الذى يضرب للايسار بالقداح ولا يكون الا ساقطاً برما . وفسر فى القاموس انه امين المقامرين . ومن شأنه المعروف له انه لم يأكل لحماً قط بثمن انما يأكله عند غيره اويهدى له الايسار . وكانوا اكثر مايجتمعون على الميسر بالليل ويوقدون ناراً لذلك ثم يؤخذ ثوب شديد البياض فيلف على يد الحرضة ويسمى ذلك الثوب المجول وانما يجعل ذلك الثوب على يده ليغشى بصره فلايعرف قدح زيد دون عمرو وهذا بعد ان يلف كفه بقطعة من جراب لئلا يجد مس قدح يكون له مع صاحبه محاباة فاذا اخذ القداح لم ينظر اليها وبعضهم يقول يجعلها فى الربابه وهى خريطة ويجلس خلفه آخر ويسمى الرقيب ويسمى ايضاً رابئ الضرباء يقعد خلف ضارب قداح الميسر يرتبى لهم فيما يخرج من القداح فيخبرهم به ويعتمدون على قوله فيه وهو مأخوذ من ربيئة القوم وهو طليعتهم. والضرباء جمع ضريب ككريم وكرماء وهو الذى يضرب بالقداح وهو الموكل بها ويقال له الضارب ايضاً. ثم يجلس الايسار حوله دائرين به . ثم يفيض بالقداح فاذا نشز

اى ارتفع منها قدح استسله الحرضة من غير ان ينظر اليه ثم ناوله
الرقيب فينظر الرقيب لمن هو فيدفعه الى صاحبه فيأخذ من اجزاء
الجزور على قدر نصيب القدح منها وذلك هو الفوز . فان شاء بعد
ذلك امسك . وان شاء اعاد السهم على خطار آخر وهو جمع خطر
وجمع الجمع خطر وهو السبق يراهن عليه وهو مايوضع بين اهل
السباق جمعه اسباق واعادة السهم تسمى التثنية وهو مراد النابغة فى قوله
انى اتمم ايسارى وامنحهم * مثنى الايادى واكسو الجفنة الادما
قال ابو عبيد مثنى الايادى هى الانصباء التى كانت تفضل من الجزور
فى الميسر فكان الرجل الجواد يشتريها فيعطيها . وقال ابو عمرو مثنى
الايادى ان يأخذ القسم مرة بعد مرة . وانشد بيت النابغة وهذا
هو المعول عليه . فان خرج الفذ اخذ صاحبه نصيبه وله جزء واحد
كما تقدم ثم ضربوا بالقداح الباقية على التسعة الاجزاء الباقية. وان
خرج التوأم اخذ صاحبه جزئين وقعد ان شاء وضربوا بباقى القداح
على السبعة الاجزاء الباقية فان خرج المعلى اخذ صاحبه الاجزاء
السبعة التى بقيت . ووقع الغرم اعنى ثمن الجزور على من لم يخرج
سهمه وهم اربعة اصحاب الرقيب والحلس والنافس والمسبل . وجملة
هذه القداح ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً
ويلزم كل صاحب قدح من هذه القداح مثل ما كان نصيبه من اللحم
لو فاز قدحه . فان لم يخرج الفذ ولا التوأم وخرج الرقيب اخذ

صاحبه ثلاثة اجزاء . ثم ضربوا ثانية فخرج المعلى اخذ صاحبه السبعة الاجزاء الباقية وهى تمة الجزور وكانت الغرامة على من لم يخرج قدحه وهم اصحاب القداح الخمسة التى خابت وهى الفذ والتوأم والحلس والنافس والمسبل ومجموع سهامها ثمانية عشر . فان خرج المعلى اخذ صاحبه سبعة اجزاء الجزور واحتاجوا الى نحر جزور اخرى لان فى القداح التى خابت المسبل وله ستة اجزاء . ولم يبق من اللحم الا ثلاثة اجزاء ومن خاب قدحه فى الجزور الاولى لم يأكل منها شيئاً وذلك عندهم قبيح يعاب . فاذا نحروا الجزور الثانية وضربوا عليها بالقداح فخرج المسبل اخذ صاحبه ستة اجزاء منها الثلاثة التى بقيت من الجزور الاولى ولزمه الغرم فى الجزور الاولى ولم يلزمه فى الثانية شئ لان قدحه قد فاز فيها وصار غرم الجزور الثانية على من لم يخرج قدحه على ماسبق من الحساب . وبقى من الجزور الثانية سبعة اجزاء يضرب عليها القداح من بقى . فان خرج النافس اخذ صاحبه خمسة اجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً ولزمه الغرم فى الاولى وبقى جزآن من اللحم وقد بقى من القداح الحلس وله اربعة اجزاء فاحتاجوا الى نحر اخرى لتتمة الاجزاء الاربعة ولا يأكل من خاب فى الجزور الثانية منها شيئاً فان نحروا الجزور الثالثة وفاز الحلس اخذ صاحبه اربعة اجزاء منها جزآن من الثانية وجزآن من الثالثة ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً لانه قد فاز وكان ثمنها على من خاب

قدحه وبقي من الجزور الثالثة ثمانية اجزاء فيضرب عليها بالقداح من بقي حتى تخرج قداحهم موافقة لاجزاء الجزور . فان كانت اجزاء اللحم موافقة لاجزاء القداح لم يحتاجوا الى نحر شيء فان اعاد من فاز قدحه مرة ثانية فخاب غرم من ثمن الجزور التي خاب قدحه فيها على هذا الحساب . فان فضل من اجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلها كانت تلك الفاضلة لاهل الوبد من العشيرة . وهم اهل الضعف وسوء الحال وشدة العيش . ويقال رجل وبد اى سيء الحال ويستوى في الوصف به الواحد والجمع كما تقول رجل عدل ويجمع على اوباد كما يقال عدل وعدول . ومنه قول عمرو بن عداء الكلبي

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا * فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

لاصبح الحي اوباداً ولم يجدوا * عند التفرق في الهيجا جمالين

انشدهما ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي في امثاله وقال استعمل معاوية ابن ابي سفيان ابن اخيه عمرو بن عتبة ابن ابي سفيان على صدقات كلب فاعتدى عليهم . فقال عمرو بن العداء هذا الشعر . وسعى في الموضعين من سعى الرجل على الصدقة اى الزكاة يسعى سعياً عمل في اربابها . وعقالا وعقالين منصوبان على الظرف اراد مدة عقال ومدة عقالين والعقال صدقة عام . والسبد بفتحتين الشعر والوبر قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب اذا قيل ماله سبد ولا لبد فمعناه ماله ذو سبد وهي الابل والمعز ولا ذو لبد وهي الغنم . ثم كثر ذلك

حتى صار مثلا مضروبا للفقر فقيل لكل من لا مال له اىّ شئ كان يقول تولى هذا الرجل علينا سنة فى اخذ الزكاة منا فلم يترك لنا شيئاً لظلمه ايانا فلو تولى سنتين علينا على اىّ حال كنا نكون . وقوله لاصبح الحى الخ الحى القبيلة والاوباد جمع وبد بفتحتين . قال الجوهرى الوبد بالتحريك شدة العيش وسوء الحال مصدر يوصف به فيستوى فيه الواحد والجمع ثم يجمع فيقال اوباد كما يقال عدل وعدول على توهم النعت الصحيح وانشد البيت . وقال ابن برى الوجه ان يكون جمع وبد وهو السيّئ الحال كفخذ وافخاذ وثنى الجمال لانه جعلها صنفين صنفاً لترحلهم يحملون عليها اثقالهم وصنفاً لحربهم يركبونه اذا جنبوا خيلهم . وقد افرد ابن قتيبة للميسر كتابا بين فيه مذاهب العرب بيانا شافياً ولم تكن نسخته عندى وما ذكرته كاف فى المقصود وقد خلا عن مثله كثير من الكتب ولله تعالى الحمد على ذلك (وقد حرمته الشريعة الاسلامية وابطلته) وفى حكم ذلك جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما حتى ادخلوا فيه لعب الصبيان بالجوز والكعاب والقرعة فى غير القسمة وجميع انواع المخاطرة والرهان وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر . وفى ذلك ورد قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما . فمنافع الميسر ان اهل الثروة والاجواد من العرب كانوا فى شدة البرد وكلب الزمان ييسرون اى يتقامرون

بالقداح فاذا قمر احدهم جعل اجزآء الجزور لذوى الحاجة واهل المسكنة واستراش الناس وعاشوا. وكانت العرب تمدح من يأخذ القداح وتعيب من لا ييسر وتسميه البرم . قال متمم بن نويرة يرثى اخاه مالكا

ولا برما تهدى النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

(واما مفاسده) فكثيرة منها ان فيه اكل الاموال بالباطل وانه يدعو كثيراً من المقامرين الى السرقة وتلف النفس واضاعة العيال وارتكاب الامور القبيحة والرذائل الشنيعة والعداوة الكامنة والظاهرة وهذا امر مشاهد لاينكره الا من اعماه الله تعالى واصمه. وفى كتاب فتح البارى والحكمة فى تحريم الميسر مافيه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر واستجلاب العداوات المفضية الى سفك الدماء وهتك الحرم وغير ذلك من المفاسد التى لايقابلها مايترتب على الميسر من المنفعة كمصير الشئ الى الانسان من غير تعب ولا كد وما يحصل من السرور والاريحية عند ان يصير له منها سهم صالح . وقد ذكر الله سبحانه فى آية اخرى مافيه من المفاسد الدنيوية والدينية اما الدنيوية فما يوقعه الشيطان فى البين من العداوة والبغضاء فقد يقامر الرجل حتى لايبقى له شئ وتنتهى به المقامرة الى ان يقامر بولده واهله على ماسبق فيؤدى به ذلك الى ان يصير اعدى الاعدآء لمن قمره وغلبه . واما المفاسد الدينية فهى الصد عن ذكر الله وعن الصلوة وغير ذلك من افعال الخير . فان الميسر ان كان اللاعب به غالباً انشرحت نفسه ومنعه

حب الغلب والقهر والكسب عما ذكر . وان كان مغلوبا حصل له من الانقباض والقهر مايحثه على الاحتيال لان يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك . وقد شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالنرد والشطرنج ونحوهما يجرى بينهم من اللجاج والحلف الكاذب والغفلة عن الله تعالى وغير ذلك من الامور المنكرة مايخل بالمروة ويزرى بذوى العقول السليمة ومن عوفى من ذلك فليحمد مولاه . ومن ابتلى به فليسأل من الطافه سبحانه ان ينجيه من بلواه .

﴿ ومن مذاهبهم المشهورة الاستقسام بالازلام ﴾

كانت العرب فى الجاهلية اذا ارادوا سفراً او تجارة او نكاحا او اختلفوا فى نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظيمة جاؤا الى هبل وهو اعظم صنم لقريش بمكة وكان فى الكعبة ومعهم مائة درهم فاعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم وكانت ازلامهم سبعة قداح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها وهى مستوية فى المقدار عليها اعلام وكتابة قد كتب على واحد منها امرنى ربى وعلى واحد منها نهانى ربى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل اى ليس عليه شئ فاذا ارادوا الوقوف على مستقبل الامر الذى قصدوا له ومعرفة عاقبته اخير هو ام شر استقسم لهم امين القداح بقدحى الامر والنهى فان خرج قدح الامر ائتمروا وباشروا فيما قصدوا له من حرب او سفر او زواج او ختان او بناء

او نحو ذلك مما يتفق لهم وان خرج قدح النهى اخروا ذلك العمل الى سنة فاذا انقضت اعادوا الاستقسام مرة اخرى . ويروى ان هذين القدحين قد كتب على احدهما نعم وعلى الآخر لا . فاذا ظهر للعجيل قدح نعم مضوا فيما قصدوه من العمل واذا ظهر قدح لا توقفوا سنة على ماسبق من البيان . والمقصود من الروايتين واحد . واذا وقعت منازعة فى نسب احد منهم استقسم لهم امين القداح بالازلام الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان ظهر منكم اعزّوا ذلك الرجل الذى اشتبهوا فى نسبه وتنازعوا فى امره واحترموه غاية الاحترام وان ظهر من غيركم نفروا عنه وتجنبوه وان ظهر ملصق بقى ذلك الرجل مجهول النسب عندهم على ماكان عليه قبل فما ظهر من هذه الازلام وجب العمل بموجب ماظهر فيه واعتمدوا عليه كل الاعتماد . واذا تنازعوا فى العقل وهى دية المقتول بان اشتبه عليهم القاتل احضروا من اتهم بالقتل بالقدحين الموسومين بالعقل والغفل واستقسم لهم الامين فمن خرج عليه العقل تحمل الدية وان خرج الغفل اجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه . وحكى ابوفرج الاصبهانى انهم كانوا يستقسمون عند ذى الخاصة ايضاً وان امرأ القيس لما خرج يطلب بثار ابيه استقسم عنده فخرج له مايكره فسب الصنم ورماه بالحجارة . وانشد .

لوكنت ياذا الخاص الموتورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

قال فلم يستقسم عنده احد بعد حتى جاء الاسلام . والذى تحصل

من كلام اهل النقل الثقاة ان الازلام كانت عند العرب على ثلاثة انحاء
احدها قداح الميسر العشرة وقد سبق تفصيلها على الوجه الاكمل.
وثانيها اكل احد وهي ثلاثة على احدها مكتوب افعل وعلى الثاني
لاتفعل والثالث غفل . وقال الفراء كان على احدها امرني ربي
وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل . فاذا اراد احدهم الامر
جعلها في خريطة وهي الربابة وادخل يده فيها واخرج واحداً فان
طلع الآمر فعل اوالناهي ترك اوالغفل اعاد . وثالثها الاحكام وهي
التي عند الكعبة ذكر ابن اسحق ان اعظم اصنام قريش كان هبل
وكان في جوف الكعبة يتحاكمون عنده فيما اشكل عليهم فما خرج منها
رجعوا اليه . وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك وكانت
سبعة مكتوب عليها ماسبق . ومعنى الاستقسام طلب معرفة ماقسم
لهم دون مالم يقسم بالازلام . وقد حرمه الله تعالى في جملة ماحرم
فقال عز اسمه حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا
ماذكيتم وماذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق
(واستشكل) تحريم ماذكرناه من جملة التفاؤل وقد كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم يحب الفال (واجيب) بانه كان استشارة مع الاصنام
واستعانة منهم كما يشير الى ذلك ماروى عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه انهم اذا ارادوا ذلك اتوا بيت اصنامهم وفعلوا مافعلوا

فلهذا صار حراما . وبعض العلماء يقول ان سبب تحريم الاستقسام
بالازلام انه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه
وافتراء على الله تعالى ان اريد بربي في قولهم امرني ربي الله وجهالة
وشرك ان اريد به الصنم. قال الجد في تفسيره ناقلا عن كتاب الاحكام
للجصاص ان الاية تدل على بطلان القرعة في عتق العبيد لانها في معنى
ذلك بعينه اذ كان فيها اثبات مااخرجته القرعة من غير استحقاق كما
اذا اعتق احد عبيده عند موته على مابين في الفقه. ولا يرد ان القرعة
قد جازت في قسمة الغنائم مثلا وفي اخراج النساء .لانا نقول انها فيما
ذكر لتطييب النفوس والبرائة من التهمة في ايثار البعض ولو اصطلحوا
على ذلك جاز من غير قرعة . واماالحرية الواقعة على واحد من العبيد
فيما نحن فيه فغير جائز نقلها عنه الى غيره وفي استعمال القرعة النقل
وخالف الشافعي في ذلك فجوز القرعة في العتق كما جوزها في غيره
وظواهر الادلة معه وتحقيق ذلك في موضعه .قال والحق عندي ان
الاستقسام الذي كان يفعله اهل الجاهلية حرام بلاشبهة كما هو نص
الكتاب وان حرمته ناشئة من سوء الاعتقاد وانه لايخلو عن تشاؤم
وليس بتفاؤل محض وان مثل ذلك ليس من الدخول في علم الغيب
اصلا بل هو من باب الدخول في الظن انتهى ماهو المقصود من كلامه.
ولابن القيم كتاب سماه الطرق الحكمية ذكر فيه القرعة وجعلها احد
طرق الاحكام الشرعية واستدل على ذلك بقوله تعالى ذلك من انباء

الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل
مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون. قال روى عن قتادة كانت مريم
عليها السلام ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل فاقترعوا
عليها بسهامهم ايهم يكفلها فقرع زكريا وكان زوج اختها فضمها اليه.
وعن ابن عباس لما وضعت مريم فى المسجد اقترع عليها اهل المصلى
وهم يكتبون الوحى فاقترعوا باقلامهم ايهم يكفلها. وبقوله تعالى
وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فساهم فكان
من المدحضين. اى فقارع فكان من المغلوبين . قال وقد احتج الائمة
الاربعة بشرع من قبلنا ان صح ذلك عنهم. وبعد ان اورد عدة احاديث
صحيحة قال فهذه السنة كما ترى قد جاءت بالقرعة كما جاء بها الكتاب
وفعلها اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده . قال
البخارى فى صحيحه ويذكر ان قوما اختلفوا فى الاذان فاقرع بينهم سعد.
وقد صنف ابوبكر الخلال مصنفاً فى القرعة وهو فى جامعه. قال احمد
فى رواية الفضل بن عبد الصمد القرعة فى كتاب الله والذين يقولون
القرعة قمار قوم جهال . وقد اطال ابن القيم فى الاستدلال على
كون القرعة من الطرق الحكمية والدلائل الشرعية بما لايسعه المقام
«ثم بين» كيفية القرعة فى فصل مستقل فقال انه يجب من القرعة ما نقل
عن سعيد بن المسيب انه كان يأخذ خواتيمهم فيضعها فى كمه فمن اخرج
اولا فهو القارع . وقال ابوداود قلت لابى عبد الله فى القرعة تكتبون

رقاعا قال ان شاؤا رقاعا وان شاؤا خواتيمهم . وقال ابو منصور قلت
لاحمد كيف يقرع قال بالخاتم وبالشئ . وقال اسحق بن راهويه فى القرعة
يؤخذ عود شبيه بالقدح فيكتب عليه عبد وعلى الآخر حر . وقال
بكير بن محمد عن ابيه سألت ابا عبد الله كيف تكون القرعة قال يلقى
خاتم .وعن الاثرم قلت لابى عبدالله كيف القرعة فقال سعيد بن جبير
يقول بالخواتيم اقرع بين اثنين فى ثوب فاخرج خاتم هذا وخاتم هذا
قال ثم يخرجون الخواتيم ثم ترفع الى رجل فيخرج منها واحداً قلت
لابى عبد الله فان مالكا يقول تكتب رقاع وتجعل فى طين قال
وهذا ايضاً . وقيل لابى عبد الله ان الناس يقولون القرعة هكذا
يضم الرجل اصابعه الثلاث ثم يفتحها فانكرها وقال ليست هكذا
انتهى . ومن احب الوقوف على تفصيل هذا البحث ومعرفة مواضع
القرعة فعليه بهذا الكتاب فان فيه الكفاية . وعند الحكومة اليوم
للقرعة طريق آخر فانهم يستعملونها فى بعض الامور لاحاجة لنا
الى بيانها . والله مدبر الامور .

﴿ ومن مذاهب العرب المشهورة النسئ ﴾

اعلم ان سنى العرب كانت موافقة لسنى الفرس فى الدخول
والانسلاخ فحدث فى احوالهم انتقالات فسدعليهم بها الكبس الى اوان
السنة السادسة من ملك اغسطس . وذلك بعد ذى القرنين بمائتين
وثمانين سنة واربعين يوما فسنوا كبس الربع من اليوم فى كل سنة

فصارت سنوهم بعد ذلك الوقت محفوظة المواقيت . ويقال ان العرب كانت فى جاهليتها على رسم ابراهيم واسمعيل عليهما السلام لاتكبس سنيها الى ان جاورتهم اليهود فى يثرب فاراد العرب ان يكون حجهم فى اخصب وقت من السنة واسهلها للتردد فى التجارة ولا يزول عن مكانه فتعلموا الكبس من اليهود . ويقال ان عمرو بن لحى الخزامى اول من نسأ الشهور وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام واول من دعى الناس الى عبادة الاصنام وقد سبق تفصيل ذلك على اتم وجه. ومعنى النسيء تأخير حرمة شهر الى آخر . واصله من نسأت الشيء اذا اخرته فانهم يعتقدون ان من الدين تعظيم الاشهر الحرم وهى اربعة محرم ورجب وذوالقعدة وذوالحجة فكانوا يتحرجون فيها من القتال . وكانت قبائل منهم يستبيحونها فاذا قاتلوا فى شهر حرام حرموا مكانه شهراً آخر من اشهر الحل ويقولون نسيء الشهر فيستحلون المحرم ويحرمون صفراً فان احتاجوا ايضاً احلوه وحرموا ربيعاً الاول . وهكذا كانوا يفعلون حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها وكانوا يعتبرون فى التحريم مجرد العدد لاخصوصية الاشهر المعلومة . وربما زادوا فى عدد الشهور بان يجعلوها ثلاثة عشر اواربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حراما ايضاً . ولذلك نص على العدد المعين فى الكتاب والسنة وكان يختلف وقت حجهم لذلك . وكان فى السنة التاسعة من الهجرة التى حج

بها ابو بكر رضى الله تعالى عنه بالناس فى ذى القعدة . وفى حجة الوداع فى ذى الحجة وهو الذى كان على عهد ابراهيم عليه السلام ومن قبله من الانبياء عليهم السلام . ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . زعم يوسف بن عبد الملك فى كتابه تفضيل الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى شهر مارس . وهو آذار وهو برمهات بالقبطية وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل والمراد بالزمان السنة . ومعنى كهيئته اى استدار استدارة مثل حالته الاولى . والمراد باستدارته وقوع تاسع ذى الحجة فى الوقت الذى حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار . واضاف رجب الى مضر لانهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال ان ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل فى رجب وشعبان ماذكر فى المحرم وصفر فيحلون رجباً ويحرمون شعبان . ووصفه بكونه بين جمادى وشعبان تأكيداً . وفى رواية انهم كانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين وفى المحرم عامين . وهكذا ووافقت حجة الصديق فى ذى القعدة من سنتهم الثانية . وكانت حجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوقت الذى كان من قبل ولذا

قال ماقال . وحكى ابن اسحق صاحب السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلوة والسلام ان اول من نسأ الشهور على العرب واحل منها ما احل وحرم ماحرم القلمس وهو حذيفة بن فقيم بن عامر بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ثم قام على ذلك بعده ولده عباد ثم قام بعد عباد ابنه قلع ثم قام بعد قلع ابنه امية ثم قام بعد امية ابنه عوف ثم قام بعد عوف ابنه ابو ثمامة جنادة وعليه قام الاسلام فكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت عليه بمنى فقام فيها على جبل عند جمرة العقبة . وقال باعلى صوته اللهم انى لاعاب ولا اخاب ولا مرد لما قضيت اللهم انى احللت شهر كذا ويذكر شهراً من الاشهر الحرم وقع اتفاقهم على شن الغارة فيه وانسأته الى العام القابل اى اخرت تحريمه وحرمت مكانه شهر كذا من الاشهر البواقى فكانوا يحلون ما احل ويحرمون ما حرم . وفى رواية عن الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت انا الذى لاعاب ولا اخاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهراً يغزون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا . وعن الضحاك انه جنادة بن عوف الكنانى وكان مطاعا فى الجاهلية وكان يقوم على جمل فى الموسم فينادى باعلى

صوته ان آلهتكم قداحلت لكم المحرم فاحلوه . ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قدحرمت عليكم المحرم فحرموه . واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كانت النسأة حى من بني مالك بن كنانة وكان آخرهم رجلا يقال له القلمس وهو الذي انسأ المحرم وكان ملكا في قومه. وانشد شاعرهم (ومنا ناسئ الشهر القلمس) وقال عمير بن قيس احد بني فراس بن غنم بن مالك ابن كنانة يفخر بالنسأة على العرب . ويروى ان القائل الكميت .

لقد علمت معدّ ان قومي * كرام الناس ان لهم كراما
فايّ النـاس فاتونا بوتر * وايّ الناس لم نعلك لجاما
ونحن الناسئون على معد * شهور الحل نجعلها حراما

« وقال آخر »

اتزعم اني من فقيم بن مالك * لعمري لقد غيرت ماكنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وفي القاموس ان الناسئ كان يقول اللهم اني ناسئ الشهور وواضعها مواضعها ولا اعاب ولا اخاب اللهم اني قداحللت احد الصفرين وحرمت صفر المؤخر وكذلك في الرجبين يعني رجب وشعبان انفروا على اسم الله وذلك قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر . وحكى السهيلي في الروض الانف ان نسئ العرب كان على ضربين . احدهما تأخير شهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات

والثانى تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام احد عشر يوما حتى يدور الدور فيه الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته . فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة حج بالناس ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فوافق حجه فى ذى القعدة ثم حج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى العام القابل فوافق عود الحج الى وقته فى ذى الحجة كما وضع اولا فلما قضى حجه خطب فكان مما قال فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث يعنى ان الحج قد عاد فى ذى الحجة . وقال العسقلانى فى فتح البارى كانت العرب فى الجاهلية على انحاء . منهم من يسمى المحرم صفراً فيحل فيه القتال ويحرم القتال فى صفر ويسميه المحرم . ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا . ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا . ومنهم من يؤخر صفر الى ربيع الاول وربيعاً الى ما يليه . وهكذا الى ان يصير شوال ذا القعدة وذوا القعدة ذا الحجة . ثم يعود فيعيد العدد على الاصل انتهى . وقد استنبط بعض العلماء دليلا على ان مواقيت الحج لا يجرى على حساب السنة الشمسية الذى كانت الجاهلية تعتمده من قوله سبحانه يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج فانه جل شأنه خص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالاوقات تأكيداً لاعتباره بالاهلة . وما احسن ما فصل ابو اسحق الصابى بين السنة الشمسية والقمرية بما يختص به

كل واحدة منهما دون الاخرى . فقال واما العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية . وورثها ثمرات مساعيها النافعة . واجرى شهور صيامها . ومواقيت اعيادها . وزكوة اهل ملتها . وجزية اهل ذمتها . على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الهلال ارادة منه ان يكون مناهجها واضحة . واعلامها لائحة . فيتكافى فى معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص والعام . والناقص الفطنة والتام . والذكر والانثى وذو الصغر والكبر . فحينئذ يجبون فى سنى الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الاراضى الممسوحة ويحسبون فى سنة الهلال الجوالى والصدقات . والارحاء والمقاطعات . وسائر مايجرى على المشاهرات انتهى . ومن النصوص الواردة فى ابطال النسيء قوله عز اسمه ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين . انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين وما سبق من الكلام يوضح معنى الآية والدين القيم المستقيم . وهو دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم حتى ان الرجل يلقى فيها قاتل ابيه واخيه فلا يهيجه ويسمون رجب

الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا . والمراد بظلم الانفس فيهن هتك حرمتهن وارتكاب ماحرم فيهن . ومعنى كون النسيء زيادة في الكفر الذى هم عليه لانه تحريم ماحل الله تعالى وقد استحلوه واتخذوه شريعة وذلك كفر ضموه الى كفرهم . وقيل لانه تحريم مااحله الله وتحليل ماحرمه . وقيل انه معصية ضمت الى الكفر وكما يزداد الايمان بالطاعة يزداد الكفر بالمعصية . ومعنى ليواطؤا عدة ماحرم الله ليوافقوا عدة ماحرم الله من الاشهر الاربعة اى فعلوا مافعلوا لاجل موافقة ذلك فيحلوا ماحرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة . والحاصل انه كان الواجب عليهم العدة والتخصيص فحيث تركوا التخصيص فقد استحلوا ماحرم الله كل ذلك اتباعا لشهوات انفسهم . وطلباً لمزيد راحتهم وانسهم .

(الشهور العربية ومأخذ اسمائها)

الشهور العربية قسمان قسم غير مستعمل وهو الذى وضعته العرب العاربة . وقسم مستعمل وهو الذى وضعته العرب منها بالاسم الذى وضع له عند استهلال هلاله . فاما القسم الغير المستعمل فاسماء شهور كانت العرب العاربة اصطلحوا عليها وهى مؤتمر وناجر وحوان بالحاء المهملة والخاء المعجمة وصوان ويقال فيه ربصان وزبى وايدة والاصم وعاذل وناطل وواغل وورنه وبرك . وفى هذه الاسماء خلاف عند اهل اللغة . فان منهم من يقول هى ناتق ونقيل وطليق واسخ وانخ وحلك

وكسع وزاهر ونوط وحرف وبغش . فناتق هو المحرم وثقيل هو صفر وهكذا مابعده على سرد الشهور . وكانت ثمود تسميها موجب وموجر ومور وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وذيمر وداير وحيقل ومسيل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدؤن بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون اول شهور السنة عندهم . وبعض اولئك العرب يسميها بالاسماء الاول مع مغايرة يسيرة . ويقول هى مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا والاصم وعادل ونافق ودعل وهواع وبرك . ومعنى المؤتمر انه يأتمر بكل شئ مما تأتى به السنة من اقضيتها . وناجر من النجر وهو شدة الحر . وخوان على وزن فعال من الخيانة . وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه . ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم داغل وباطل وعادل وورنه وبرك . فالبائد من القتال اذ كان يبيد فيه كثير من الناس . وجرى المثل بذلك فقالوا العجب كل العجب بين جمادى ورجب . وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام . ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح . والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه . وذلك لانه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر فى شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج . وباطل هو مكيال

الخمر سمى به لافراطهم فيه بالشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال. واما العادل فهو من العدل لانه من اشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل. واما الزبا فلان الانعام كانت تزب فيه لقرب النحر. واما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر. وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول نصار وربيع الاخر خوان وجمادى الاولى حنتن وجمادى الاخرى الرنه ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتار فيه وتمير اهلها وكان يأمن بعضهم بعضاً فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال واغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه ايضاً ابروك وكانوا يسمونه الميمون (واما القسم المستعمل) فالمحرم وصفر وربيعان وجماديان ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذوالقعدة وذوالحجة وهذه الاسماء وضعت على هذه الشهور باتفاق حال وقعت فى كل شهر منها فسمى ذلك الشهر بها عند ابتداء الوضع فسموا المحرم محرما لانهم كانوا يغيرون فاتفق ان اغاروا فى هذا الشهر فلم ينجحوا فحرموا القتال فيه فسموه محرما وسموا صفراً لصفر بيوتهم فيه منهم عند خروجهم الى الغارات. وقيل لانهم كانوا يغيرون الصفرية وهى بلاد. وشهرا ربيع لانهم كانوا يخصبون فيها بما اصابوا فى صفر والربيع الخصب. وقيل غير ذلك والذى ذكر اليق بالتعليل حكاه ابن النحاس فى كتاب صناعة الكتاب وجماديان من جمد الماء

لان الوقت الذى سميا فيه بهذه التسمية كان الماء جامداً . ورجب لتعظيمهم له والترجيب التعظيم وقيل رجب لانه وسط السنة مشتق من الرواجب وهى انامل الاصبع الوسطى . وقيل ان العود رجب النبات فيه اى اخرجه فسمى بذلك . وكذلك تشعب العود فى الشهر الذى يليه فسمى شعبان . وقيل سمى بذلك لتشعبهم فيه للغارات . وسمى رمضان اى شهر الحرّ مشتق من الرمضاء وقد صادف ذلك وقت التسمية . وشوال من شالت الابل اذنابها اذا حالت اومن شال يشول اذا ارتفع وذوالقعدة لقعودهم فيه عن القتال اذ هو من الاشهر الحرم وذوالحجة لان الحج اتفق فيه فسمى به . ويقال ان اول من سماها بهذه الاسماء كلاب بن مرة . ومن مجموع هذه الاشهر اربعة حرم ثلاثة سرد وهى ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم . وواحد فرد وهو رجب مضر على الاضافة لان ربيعة كانت تحرم رمضان وهذا الترتيب رواه الاصمعى عن العرب . واختار غيره ان يبدأ فى العدد بالمحرم ثم رجب وذى القعدة وذى الحجة لتكون الاربع كلها معدودة فى سنة واحدة . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه . وابدى بعضهم لترتيب الاشهر الحرم على هذا الوجه مناسبة لطيفة حاصلها ان للاشهر الحرم مزية على ماعداها فناسب ان يبدأ بها العام وان تتوسطه وان تختم به . وانما كان الختم بشهرين لوقوع الحج ختام الاركان الاربعة لانها تشتمل على عمل مال محض وهو الزكوة وعمل بدن محض

وذلك تارة يكون بالجوارح وهو الصلوة. وتارة بالقلب وهو الصوم لانه كف عن المفطرات . وتارة عمل مركب من مال وبدن وهو الحج فلما جمعهما ناسب ان يكون له ضعف مالواحد منها فكان له من الاربعة الحرم شهران . وكانوا يعظمون هذه الاشهر ويحرمون القتال فيها حتى ان الرجل منهم لولقى قاتل ابيه اوقاتل اخيه لم يكلمه . وهم يعظمون اول يوم من رجب اوفر تعظيم حسبما يخطر بالبال . ومن سنتهم فيه ان يصالح بين من كان بينه وبين غيره موجدة . ومن هذه الاشهر اربعة لاتكاد العرب تنطق بها الا مضافة وهى شهرا ربيع وشهر رجب وشهر رمضان . والاشهر المتفقة او آئلها المحرم مثله شوال . صفر مثله رجب . ربيع الاول مثله ذوالحجة . ربيع الاخر مثله رمضان . جمادى الاخرة مثله ذوالقعدة . والشهور الغير المتفقة جمادى الاولى وشعبان والله ولى التوفيق وهو المستعان . وقد اوردنا من افعالهم واعمالهم التى جبها الاسلام وابطلها الشرع المحمدى مافيه الكفاية فى هذا المقام . واما استيعابها فيحتاج الى كتب مفصلة ويكفى من القلادة ماحاط بالجيد . ومن تتبع كتب المتقدمين . وشروح دواوين الجاهليين . امكنه ان يقف على اكثر مما ذكرنا .

﴿ ذكر ماكان للعرب فى الجاهلية من العلوم والمعارف ﴾

قد اسلفنا فى اوائل الكتاب ان العرب كانوا على اقسام مختلفة. واصناف متباينة . وان البائدة منهم كعاد وثمود وطسم وجديس

الى غير ذلك من الامم قد انقرضوا وانقطعت عنا اخبارهم وتفاصيل احوالهم . وان غير البائدة وهم موضوع الكتاب قد تفرعوا من عدنان وقحطان . اما قحطان وهم عرب اليمن فقد كانوا على احسن مايكون من التمدن والغالب منهم سكن البلاد المعمورة . وبنوا القصور المشهورة . وشيدوا الحصون المذكورة . وكانت لهم مدن عظيمة قد شرح حالها اهل الاخبار على اتم وجه . هذه سبا قد ذكرها الله تعالى فى كتابه الكريم فقال عز اسمه . لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . وكان لهم ملوك واقيال دوخوا البلاد واستولوا على كثير من اقطار الارض كل ذلك يدل على كمال وقوفهم على العلوم التى لابد منها فى حفظ النظام وعليها مدار المعاش والانتعاش وسياسة المدن وتدبير المنزل والجيوش وتأسيس المدن واجراء المياه وغير ذلك مما لايمكن وجوده مع الجهل وعدم المعرفة وكانت لهم اديان مختلفة وقد ارسل الله تعالى لهم من بلغهم ما اراد من الاوامر والاحكام فامن من آمن وكذب من كذب كحال كغيرهم من الامم وكانت لهم اليد الطولى فى كثير من الصناعات وكان للتبابعة والجبابرة منهم مذاهب فى احكام النجوم وغيرها كل ذلك من المسلمات التى لايمكن لاحد التوقف فى قبولها ولا التردد فى الاذعان لها وقد نطق متواتر الاخبار الصحيحة بها . واما بنو عدنان ومن جاورهم من عرب اليمن بعد

ان فرقتهم حادثة سيل العرم . فكانوا على شريعة موروثة وعلم منزل من السماء وهو ما جاء به ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الى ان اختل امرهم . وتغير حالهم . بمرور العصور . وتطاول الدهور . فاهملوا ماكانوا عليه من الدين . وتركوا سديد القوانين . ودانوا بما وضع لهم الخزاعى وابتدعه لاغوائهم من الاحكام الباطلة واقتدوا باقواله وافعاله . فمن ذلك اليوم فشا الجهل بينهم وقل العلم فيهم واضاعوا صنائعهم وتشتتوا فى الاطراف والاكناف . ووقع التنازع والتشاجر بين القبائل وتكاثرت البغضاء بينهم . فلم يبق عندهم علم منزل ولا شريعة موروثة من نبى ولاهم ايضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب والحساب ونحوهما انما علمهم ماسمحت به قرائحهم من الشعر والخطب اوما حفظوه من انسابهم وايامهم اوما احتاجوا اليه فى دنياهم من الانواء والنجوم اومن الحروب ونحو ذلك . وكانوا يقال لهم الامة الامية قال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . فان المراد من الاميين العرب والامى منسوب الى امة العرب . ولما كانت علومهم الفطرية ومعارفهم الطبيعية . مما تدل على حدة اذهانهم . وغزارة فطنتهم وكمال استعدادهم وانها تدل على [illegible] . احببت ان اذكر نبذة منها مع تعريفها وتوضيحها [illegible] من الاخبار التى صحت بها الرواية . وثبتت

عن الثقاة من اهل الدراية .

(فن علومهم علم الشعر والقريض)

اعلم ان الشعر اكثر علم العرب . واوفر حظوظ الادب . واحرى ان تقبل شهادته . وتمتثل ارادته . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان من الشعر لحكمة . وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته فيستنزل بها الكريم . ويستعطف بها اللئيم . مع ما للشعر من عظم المزية . وشرف الابية . وعز الانفة . وسلطان القدرة (وفي عمدة ابن رشيق) العرب افضل الامم . وحكمتها اشرف الحكم . كفضل اللسان على اليد . والبعد من امتهان الجسد . اذ خروج الحكمة عن الذات . بمشاركة الآلات . فانه لابد للانسان من ان يتولى ذلك بنفسه . او يحتاج فيه الى آلة اومعين من جنسه . وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور ولكل نوع منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديئة . فاذا اتفق الطبقتان في القدر وتساويا في القيمة ولم يكن لاحدهما فضل على الاخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لان كل منظوم احسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة . الا ترى ان الدر وهو اخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه اذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب . ومن اجله انتخب . وان كان اعلى قدراً واغلى ثمناً فاذا نظم كان اصون له من الابتذال .

واظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال . وكذلك اللفظ اذا كان منثوراً تبدّد فى الاسماع . وتدحرج عن الطباع . ولم يستقرّ منه الا المفرطة فى اللفظ وان كانت اجمله . والواحدة من الالف وعسى ان لا تكون افضله . فان كانت هى اليتيمة المعروفة . والفريدة الموصوفة . فكم فى سقط الشعر من امثالها ونظائرها لا يعبأ به مثلا ولا ينظر اليه . فاذا اخذ سلك الوزن وعقدة القافية تألفت اشتاته . وازدوجت فرائده وبناته . واتخذه اللابس جمالا . والمدخر مالا . فصار قرطة الاذان . وقلائد الاعناق . واما فى النفوس . واكاليل الرؤس . يقلب بالالسن ويخبا فى القلوب . مصونا باللب . ممنوعا من الرقة والغصب . وقد اجتمع الناس على ان المنثور فى كلامهم اكثر واقل جيداً محفوظاً . وان الشعر اقل واكثر جيداً محفوظاً لان فى ادناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب جيد المنثور . وكان الكلام كله منثوراً . فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم اخلاقها . وطيب اعراقها . وذكر ايامها الصالحة واوطانها النازحة . وفرسانها الانجاد . وسمحائها الاجواد . لتهز انفسها الى الكرم . وتدل ابنائها على حسن الشيم . فتوهموا اعاريض جعلوها موازين الكلام . فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لانهم [illegible] به اى فطنوا . وزعم الرواة ان الشعر كله انما كان رجزاً [illegible] على عهد هاشم بن عبد مناف . وكان اول من [illegible] . وبينهما وبين مجيء الاسلام مائة

ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمحى وغيره . واول من طول الرجز وجعله كالقصيد الاغلب العجلى شيئاً يسيراً وكان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم اتى العجاج فافتن فيه . فالاغلب العجلى والعجاج فى الرجز كامرئ القيس ومهلهل فى القصيد. وسئل ابوعمرو ابن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم ليسمع منها. قيل هل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها. ويستحب عندهم الاطالة عند الاعذار والانذار والترغيب والترهيب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة ومن شابههما. والا فالقطع اطير فى بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة

(احتفاء القبائل بشعرائها)

ومن مذاهب العرب ان القبيلة منهم كانت اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمعت النساء يلعبن كما يصنعن بالاعراس وتباشروا به لانه حماية لاعراضهم وذب عن احسابهم وتخليد لمآثرهم. واشادة لذكرهم . وكانوا لا يهنؤن الا بغلام يولد اوفرس تنتج اوشاعر ينبغ فيهم . فمن حمى قبيلته زياد الاعجم. وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه لا تعجل فانى مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده هجو وهو هذا .

ما ترك الهاجون لى ان هجوتهم * مصحا اراه فى اديم الفرزدق

ولا تركوا عظماً يرى تحت لحمه * لكاسره ابقوه للمتعرق
سا كسر ماابقوا له من عظامه * والمك مخ الساق منه فانتقى
فانا وما تهدى لنا ان هجوتنا * لكالبحر مهما تلق فى البحر يغرق
فلما بلغته الابيات كف عما اراده وقال لاسبيل الى هجاء هؤلاء ماعاش هذا فيهم. وهجا ابن الزبعرى السهمى بنى قصى فدفعوه برمته الى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مفلقاً شديد المعارضة قذع الهجاء . فلما وصل عبد الله بن الزبعرى اليهم اطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه . فقال عبد الله .
لعمرك ماجاءت بنكر عشيرتى * وان صالحت اخوانها لا الومها
فود جناة الشر ان سيوفنا * بايماننا مسلولة مانشيمها
فان قصيا اهل عز ونجدة * واهل فعال لايرام قديمها
هم منعوا يومى عكاظ نساءنا * كما منع الشول الهجان قرومها
وكان الزبير غائباً بالطائف فلما وصل الى مكة وبلغه الخبر قال .
فلولا نحن لم يلبس رجال * ثياب اعزة حتى يموتوا
ثيابهم شمال اوطمار * بها وسم كما وسم الحميت
لكن حلائلنا اذ خلتنا * لذا الحبرات والمسك الفتيت
والاخبار فى هذا الباب لايحيط بها الاستقصاء والحساب . وقد عمل به العرب الى صدر الاسلام . ولولا خوف التطويل لاوردنا نبذة منه فى هذا المقام .

(تنقل الشعر فى القبائل)

ذكر ابو عبدالله محمد بن سلام الجمحى فى كتاب الطبقات وغيره من المؤلفين ان الشعر كان فى الجاهلية فى ربيعة . وكان منهم مهلهل ابن ربيعة واسمه عدى . وقيل امرؤ القيس وسمى مهلهلا لهلهلة شعره اى رقته وخفته وقيل لاختلافه . وقيل بل سمى بذلك لقوله .

لما توقل فى الكراع شريدهم * هلهلت اثأر جابرا اوصنبلا

ويروى (لما توعر فى الكلاب هجينهم) قال ابو سعيد الحسن بن الحسين يعنى بقوله امرأ القيس بن حمام الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول .

عوجا على الطلل المحيل لاننا * نبكى الديار كما بكى ابن حمام

وكان مهلهل تبعه يوم الكلاب ففاته ابن الحمام بعد ان تناوله بالرمح وقد كان ابن الحمام اغار على بنى تغلب مع زهير بن خباب فقتل جابراً وصنبلا . وروى لاننا بمعنى لعلنا وهى لغة فيما زعم بعض المؤلفين . وكان مهلهل اول من قصد القصائد . قال الفرزدق (ومهلهل الشعراء ذاك الاول) وهو خال امرئ القيس بن حجر وجد عمرو بن كلثوم لامه . ومنهم المرقشان والاكبر منهما عم الاصغر والاصغر عم طرفة ابن العبد واسم الاكبر عوف بن سعد وعمرو بن قميئة ابن اخته . ويقال انه اخوه . واسم الاصغر حرملة وقيل ربيعة بن سفيان وهذا اعرف . ومنهم سعد بن مالك الذى يقول .

يابؤس للحرب التي وضعت * اراهط فاستراحوا

وطرفة بن العبد بن سفيان وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة والمتلمس وهو خال طرفة . واسمه جرير بن عبد المسيح والاعشى واسمه ميمون ابن قيس بن جندل . وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير (ثم تحول الشعر فى قيس) فنهم النابغتان وزهير ابن ابى سلمى وابنه كعب لانهم ينسبون فى بنى عبدالله بن غطفان . واسم ابى سلمى. ربيعة ولبيد والحطيئة والشماخ واسمه معقل بن ضرار واخوه مزرد واسمه جزء ابن ضرار . وقيل يزيد وجزء وكان مزرد شريراً يهجو ضيوفه وهجا قومه عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال .

تعلم رسول الله انا كأنما * افاتنا بانمار ثعالب ذى ضحل

تعلم رسول الله لم ار مثلهم * اجرّ على الادنى واحرم للفضل

الضحل الماء القليل على الارض لاعمق له جمعه اضحال . ومنهم خداش ابن زهير وكان له السبق فى الشعر فى وقته (ثم استقر الشعر فى تميم) ومنهم اوس بن حجر شاعر مضر فى الجاهلية ولم يتقدمه احد منهم حتى نشأ النابغة وزهير فاخملاه وبقى شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع وكان الاصمعى يقول اوس اشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه وكان زهير راوية اوس . وكان اوس زوج ام زهير . وسئل حسان ابن ثابت من اشعر الناس فقال رجلا ام حيا قال حيا فقال اشعر الناس حيا هذيل . وقال ابن سلام الجمحى . واشعر هذيل ابو ذويب غير

مدافع. وقال الاصمعي قال ابو عمرو بن العلاء افصح الناس لسانا واعربهم اهل السروات وهن ثلاث وهن الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فاولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة السراة الوسطى. وقد شركتهم ثقيف في ناحية اخرى منها ثم سراة الازد ازد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد وقال ابو عمرو افصح الناس عليا تميم وسفلى قيس . وقال ابو زيد افصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعني عجز هوازن قال ولست اقول قالت العرب الا ما سمعت منهم والا لم اقل قالت العرب. واهل العالية اهل المدينة ومن حولها ومن يليها ومن دنا منهم ولغتهم ليست بتلك عندهم وقوم يرون تقدمة الشعر لليمن في الجاهلية بامرئ القيس وفي الاسلام بحسان بن ثابت. وفي المولدين بابي نواس واصحابه مسلم بن الوليد وابي الشيص ودعبل كلهم من اليمن . وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين ابو تمام والبحتري ويختمون الشعر بابي الطيب وهو خاتم الشعر آء لامحالة وكان ينتسب في كندة وهي رواية ضعيفة . وانما ولد في كندة بالكوفة فيما حكاه ابن جني. والا فكان غامض النسب فيقولون بدئ الشعر بكندة يعنون امرأ القيس وختم بكندة يعنون ابا الطيب . وزعم بعض المتأخرين انه جعفي. وقوم منهم الصاحب بن عباد يقولون بدئ الشعر بملك وختم بملك . يعنون امرأ القيس وابا فراس الحارث بن سعيد ابن حمدان . وقال آخرون بل رجع الشعر الى ربيعة فختم بها كما

يدىء بها يريدون مهلهلا وابا فراس واشعر اهل المدر باجماع من الناس حسان بن ثابت . وقال ابو عمرو بن العلاء ختم الشعر بذى الرمة والرجز بروبة بن العجاج . وزعم يونس ان العجاج اشعر اهل الرجز والقصيد قال وانما هو كلام واجودهم كلاما اشعرهم . وان العجاج ليس فى شعره شيء يستطيع احد ان يقول لو كان مكانه غيره كان اجود وذكر انه صنع ارجوزته (قد جبر الدين الا له فجبر) فيها نحو مائتى بيت وهى موقوفة مقيدة . قال ولو اطلقت قوافيها وتباعد فيها الوزن كانت منصوبة كلها. وقال ابو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب اوشاتم اوفاخر حتى كان العجاج اول من اطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة كما فعل الشعراء بالقصيد . فكان فى الرجاز كامرىء القيس فى الشعراء . وقال غيره اول من طول الرجز الاغلب العجلى وهو قديم . وزعم الجمحى وغيره انه اول من رجز وما اظن ذلك صحيحاً الا انه انما كان على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نجد الرجز اقدم من ذلك . وكان ابو عبيدة يقول افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بابن هرمة ولم ار احدا من الذى قال اشعر الناس من انت فى شعره .

(انفة شعراء العرب من التكسب بالشعر)

كانت العرب لا تتكسب بالشعر وانما يصنع احدهم ما يصنع فكاهة

اومكافاة عن يد لايستطيع على ادآء حقها الا بالشكر اعظاما لها .
قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بنى تيم رهط المعلى .

اقر حشى امرئ القيس بن حجر * بنو تيم مصابيح الظلام

لان المعلى اجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء فقيل لبنى تيم مصابيح الظلام ببيت امرئ القيس . وقال ايضاً لسعد بن الضباب .

سأجزيك الذى دافعت عنى * وما يجزيك عنى غير شكرى

فاخبره ان شكره هو الغاية فى مجازاته . حتى نشأ النابغة الذبيانى فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر . وخضع للنعمان بن المنذر وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته اومن سار اليه من ملوك غسان فسقطت منزلته وكسب مالا جزيلا حتى كان اكله وشربه فى صحاف الذهب والفضة واوانيهما من عطايا الملوك . وتكسب زهير ابن ابى سلمى يسيراً مع هرم بن سنان . فلما جاء الاعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلاد وقصد حتى ملك العجم فاثابه واجزل عطيته لعلمه بقدر مايقول عند العرب واقتدآء بهم فيه على ان شعره لم يحسن عنده حين فسر له بل استخف به واستهجنه لكنه حذا حذو ملوك العرب . واكثر العلماء يقولون انه اول من سأل بشعره وقد علمنا ان النابغة اسن منه واقدم شعرا وقد ذكر عنه بالتكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مافيه قبح من مجاعلة الحاجب ودس الندماء على ذكره بين يديه وما اشبه ذلك . وذكر ان ابا عمرو بن العلاء سئل لم خضع للنعمان النابغة قال رغب

فى عطاياه وعصافيره . واما زهير ابن ابى سلمى فما بلغ الطائى قط معرفة باجتداء من يمدحه ويدلك على ذلك ماقاله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابنة زهير حين سألها مافعلت حلل هرم بن سنان التى كساها اباك قالت ابلاها الدهر قال لكن ماكسا ابوك هرما لم يبله الدهر . وقال لبعض ولد هرم بن سنان انشدنى ماقال فيكم زهير فانشده فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن قال ياامير المؤمنين انا كنا نعطيه فنجزل قال ذهب مااعطيتموه وبقى مااعطاكم. ثم ان الحطيئة اكثر من السئوال بالشعر وانحطاط الهمة فيه حتى مقت وذل اهله وهلم جرا الى ان حرم السائل وعدم المسؤل. واما اكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الانفة من السئوال بالشعر وقلة التعرض به لما فى ايدى الناس الا فيما لايزرى بقدر ولا مروة مثل الفاتة النادرة . والمهمة العظيمة. ولهذا قال عمر رضى الله تعالى عنه نعم ماتعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته. الا ترى ان لبيد بن ربيعة لما بعث اليه الوليد بن عتبة مائة من الابل ينحرها لعادته عند هبوب الصبا وقد اسن واقل . وكان يطعم الناس ماهبت الصبا قال لبنته اشكرى هذا الرجل فانى لااجد نفسى واقد ارانى لااعى بجواب شاعر فقالت .

اذا هبت رياح ابى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا

اغر الوجه ابيض عبشميا * اعان على مروته لبيدا

بامثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا

ابا وهب جزاك الله خيراً * نحرناها واطعمنا الثريدا
فعد ان الكريم له معـاد * وظنى يا ابن اروى ان تعودا

وعرضتها عليه فقال اجدت لولا انك استعدت كرامة فى قولها (فعد ان الكريم له معاد) ويروى لولا انك استزدت. وقالوا كان الشاعر فى مبتدأ الامر ارفع منزلة من الخطيب لحاجتهم الى الشعر فى تخليد المآثر وشدة المعارضة وحماية العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفا من شاعرهم على نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الاعراض وتناولوها صارت الخطابة فوقه وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطعموا اموال الناس وجشعوا فخشعوا واطمأنت بهم دار الذلة الا من وقر نفسه وقارها وعرف لها مقدارها حتى قبض نقى العرض مصون الوجه مالم يكن به اضطرار يحل الميتة فاما من وجد الكفاف والبلغة. فلا وجه لسؤاله بالشعر

﴿ ذكر نبذة من مآثر شعراء العرب وغرر شعرهم ﴾

قد كتبت فى هذا المقام عند تأليف هذا الكتاب من اخبار شعراء الجاهلية واحوالهم ماكفانا عنه كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وغيره من الكتب المؤلفة فى هذا الشان فاسقطته عند الطبع وتعوضت عنه بذكر ما انتقاه بعض الائمة من عيون الاشعار واحاسنها وفصوصها وفرائدها والمختص من الامثال السائرة والمعانى النادرة والالفاظ الفاخرة فى الفنون المتغايرة لسحرة الشعراء وامراء الكلام الحر

من لدن امرئ القيس ومن يليه من فحول الجاهليين ومن يتلوهم من مفلقي المخضرمين وهلم جرا الى اعيان الاسلاميين وما اورده لكل من المذكورين على اختلاف طبقاتهم وتباين درجاتهم امير شعره وواسطة عقده ودرة تاجه وغرة كلامه وبيت قصيده وفريدة قلادته ليعلم الناظر في كتابنا هذا ما كان عليه القوم من المنزلة الرفيعة فيما امتاز به النوع الانساني عن غيره وما اتوه من الحكمة وفصل الخطاب وما توفيقي الا بالله .

(امرؤ القيس بن حجر الكندي)

هو امير الشعرآء بشهادة خير الانبياء وسيد الفصحاء صلوات الله وسلامه عليه وذلك انه ذكر عنده يوما فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك رجل مذكور في الدنيا منسيّ في الاخرة يجيء يوم القيمة وبيده لوآء الشعرآء يقودهم الى النار) فيروى ان كلا من لبيد وحسان بن ثابت قال ليت هذه المقالة فيّ وانا المدهدى فيها فيقال ان امير شعر امير الشعرآء قوله من قصيدة .

البرّ انجح ماطلبت به * والبر خير حقيبة الرجل

ومن امثاله السائرة قوله في القناعة والرضى باليسير عند تعذر الكثير قوله

اذا ما لم يكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصيّ

فتملأ بيتنا اقطا وسمنا * وحسبك من غنى شبع وريّ

ومما يضاد هذه الحالة من بعد الهمة والسمو الى معالي الامور قوله .

فلوان ماأسعى لادنى معيشة * كفانى ولم اطلب قليل من المال
ولكنما اسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

« ومن امثاله السائرة »

وقاهم جدهم ببنى ابيهم * وبالاشقين ماحل العقاب

« وقوله »

اراهنّ لايحببن من قل ماله * ولامن رأين الشيب فيه وقوسا
الا ان بعد العدم للمرء قنوة * وبعد المشيب طول عمر وملبسا

« وقوله »

وقد طوفت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

« وقوله »

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزّان

« وقوله »

فانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله (وجرح اللسان كجرح اليد) وقوله (ان الشقاء على الاشقين مصبوب) ومن قلائده الفاخرة قوله فى وصف الفرس ولم يسبق اليه ولم يلحق فيه .

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
له ايطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل

وقوله فى طول الليل واستعارة اوصافه من الجمل الناهض بالحمل الثقيل

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه * واردف اعجازا وناء بكلكل
الا ايها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الا صباح منك بامثل
افاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجملى
وان كنت قد ساءتك منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل
وما ذرفت عيناك الا لتضربى * بسهميك فى اعشار قلب مقتل

لو قاله محدث فى الزمان الرقيق لاستظرف ذلك منه فكيف فى مثل ذلك الزمان . وهو اول من شبه شيئين بشيئين فى بيت واحد حيث قال فى وصف العقاب .

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ويستجاد من تشبيه قوله .

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

وقد سبق الى اشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه عليها الشعراء من استيقافه صحبه فى الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ .

(زهير ابن ابى سلمى)

هو احد الاربعة الذين وقع عليهم الاتفاق على انهم اشعر العرب وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى . فاما الاختلاف فى تفضيل بعضهم على بعض فقائم على ساق . وكان يقال اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب . وزهير اذا رغب . والنابغة اذا رهب . والاعشى

اذا شرب . وكان زهير اجمع الناس للكثير من المعاني في القليل من الالفاظ واحسنهم تصرفا في المدح والحكمة ويقال ان ابياته في آخر قصيدته التي اولها .

امن ام اوفى دمنة لم تكلم * بحومانة الدراج فالمتلم

تشبه كلام الانبياء وهي احكم حكم العرب وهي .

ومن لايصانع في امور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

ومن يغترر يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لايكرم

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

« ومن امثاله السائرة »

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

« وقوله »

والستر دون الفاحشات ولا * يلقاك دون الخير من ستر

وما وقع الاتفاق على انه امدح بيت للجاهلية قوله .

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي انت سائله

قال ثعلب وهو ممن قدم زهيرا كان احسنهم شعراً وابعدهم من سخف واجمعهم لكثير من المعنى في قليل من المنطق واشدهم مبالغة في المدح

واكثرهم امثالا فى شعره. وقال ابن الاعرابى لزهير فى الشعر مالم يكن لغيره كان ابوه شاعراً وخاله شاعراً واخته سلمى شاعرة واخته الخنساء شاعرة وابناه كعب وبجير شاعرين وابن ابنه المضرب بن كعب شاعراً وهو الذى يقول .

انى لاحبس نفسى وهى صابرة * عن مصعب ولقد بانت لى الطرق
رعوى عليه كما ارعى على هرم * جدى زهير وفينا ذلك الخلق
مدح الملوك وسعى فى مسيرتهم * ثم الغنى ويد الممدوح تنطلق

وكعب هو ناظم قصيدة بانت سعاد فى مدح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم. قال ابن قتيبة وكان زهير يتأله ويتعفف فى شعره ويدل على ايمانه بالبعث وذلك قوله .

يؤخر فيودع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب اويعجل فينقم

وقد شبه زهير امرأة بثلاثة اوصاف فى بيت واحد فقال .

تنازعت المها شبها ودرّ ال * بحور وشابهت فيها الظباء

« ففسر ثم قال »

فاما مافويق العقد منها * فمن ادماء مرتعها الخلاء
واما المقلتان فمن مهاة * وللدر الملاحة والصفاء

وقال بعض الرواة لوان زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنهما مازاد على ماقال .

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين اونفار اوجلاء

يعنى يميناً اومنافرة الى حاكم يقطع بالبينات اوجلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتضح الدعوى . وروى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال لابن زهير مافعلت الحلل التى كساها هرم اباك قال ابلاها الدهر . قال لكن الحلل التى كساها ابوك هرما لم يبلها الدهر . ويستجاد قوله فى هرم .

قدجعل المبتغون الخير فى هرم * والسائلون الى ابوابه طرقاً

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة فيه والندى خلقا

وروى ان زهيراً كان ينظم القصيدة فى شهر وينقحها ويهذبها فى سنة وكانت تسمى قصائده حوليات زهير . وقد اشار الى هذا البها زهير فى قوله من قصيدة .

هذا زهيرك لازهير مزينة * وافاك لاهرما على علاته

دعه وحولياته ثم استمع * لزهير عصرك حسن ليلياته

وكان رأى زهير فى منامه فى اواخر عمره ان آتيا اتاه فحمله الى السماء حتى كاد يمسها بيده ثم تركه فهوى الى الارض فلما احتضر قص رؤياه على ولده كعب ثم قال انى لا اشك انه كائن من خبر السماء بعدى فان كان فتمسكوا به وسارعوا اليه ثم توفى قبل المبعث بسنة . فلما بعث صلى الله تعالى عليه وسلم خرج اليه ولده كعب بقصيدة بانت سعاد واسلم . وروى ايضاً ان زهيراً رأى فى منامه ان سببا تدلى من السماء الى الارض كان الناس يمسكونه وكلما اراد ان يمسكه تقاص عنه فاوله بنبي

آخر الزمان فإنه واسطة بين الله تعالى وبين الناس وان مدته لا تصل الى زمن مبعثه . واوصى بنيه ان يؤمنوا به عند ظهوره .

(النابغة الذبيانى)

واسمه زياد بن معاوية اتفقت الارآء على انه احسن الشعرآء ديباجة شعر واكثر رونق كلام . وكان كلامه كلام الكتاب ليس فيه تكلف ولا تعسف . ويقال ان اجود شعره مااعتذر به الى النعمان بن المنذر وامير ذلك قوله .

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

« ومن امثاله المشهورة قوله »

نبئت ان ابا قابوس اوعدنى * ولا مقام على زأر من الاسد

ويروى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال يوما لجلسائه من القائل

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى جناية * لمبلغك الواشى اغش واكذب

قالوا النابغة ياامير المؤمنين قال فهذا اشعر شعرائكم . وفى هذه القصيدة بيته السائر .

فلست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث اى الرجال المهذب

« وبيته الفاخر »

بانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

« ومن قلائده قوله »

فان يك عامر قدقال جهلا * فان مظنة الجهل الشباب

« وله في الهجاء »

وكنت امينه لولم تخنه * ولكن لاامانة لليماني

« ومن امثاله السائرة قوله »

الرفق يمن والاناة سعادة * فاستأن في امر تلاق نجاحا

واليأس عما فات يعقب راحة * ولرب مطمعة تعود ذباحا

فاستبق ودك للصديق ولا تكن * قتبا يعض بغارب ملحاحا

وسمي النابغة لقوله (فقد نبغت لنا منهم شؤن) وقيل لانه لم يقل الشعر حتى صار رجلا وقيل هو مشتق من نبغت الحمامة اذا تغنت . وحكى ابن ولاد انه يقال نبغ الماء ونبغ بالشعر فكأنه اراد ان له مادة من الشعر لاتنقطع كمادة الماء النابغ .

(اوس بن حجر الاسدي)

قال ابو عمرو بن العلاء كان اوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فطأطأ منه . وكان زهير راوية اوس . ومن احسان اوس المشهور في قوله في المرثية التي اولها .

ايتها النفس اجملي جزعا * ان الذي تحذرين قدوقعا

وليس للعرب مطلع قصيدة في المرثية احسن من هذا البيت وبيت القصيدة قوله .

الالمعي الذي يظن بك الظن * كأن قدرأى وقد سمعا

« ومن امثاله السائرة قوله »

فانكما يا ابنى جناب وجدتما * كمن دب يستخفى وفى الحلق جلجل

« وقوله »

ولست بخابئ لغد طعاما * حذار غد لكل غد طعام

(بشر ابن ابى حازم الاسدى)

من امثاله السائرة قوله .

الم تران طول العهد يسلى * وينسى مثلما نسيت جذام

« وقوله »

يكن لك فى قومى يد يشكرونها * وايدى الندى فى الصالحين فروض

ومنه اخذ الناس قولهم « الايادى فروض » وقوله عند موته من ابيات

تسائل عن ابيها كل ركب * ولم تعلم بان السهم صابا

فرجى الخير وانتظرى ايابى * اذا ما القارظ العنزى آبا

وقضية القارظان مشهورة .

(الافوه الاودى)

كان احد الحكماء فى الجاهلية ومن امثاله السائرة قوله .

انما نعمة قوم متعة * وحيوة المرء ثوب مستعار

ونبالبه الال لقرى * ومدى قد تخللها وشفار

تصرف الدهر فى اطباته * خاعة فيها ارتفاع وانحدار

بينما الناس على عليائها * ادهووا فى دوة منها فغاروا

« وقوله وفيه حكمة بالغة »

البيت لايبتنى الاعلى عمد * ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
فان تجمع اوتاد واعمدة * وساكن بلغوا الامر الذى كادوا
لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا
اذا تولى سراة الناس امرهم * نما على ذاك امر القوم فازدادوا
تهدى الامور باهل الرأى ماصلحت * فان تولت فبالا شرار تنقاد
امارة الغى ان تلقى الجميع لدى * الابرام للامر والاذناب اكتاد
كيف الرشاد اذا ماكنت فى نفر * لهم عن الرشد اغلال واقياد
اعطوا غواتهم جهلا مقادتهم * فكلهم فى حبال الغى منقاد

وهذه من ابلغ الابيات .

(عبيد ابن الابرص)

هو جاهلى قديم . وكان من فحول العرب وشعرائها المفلقين ومن امثاله السائرة قوله .

من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لايخيب
وكل ذى غيبة يؤب * وغائب الموت لايؤب

« وقوله »

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر اخبث مااوعيت من زاد

« وقوله »

الخير لايأتى على عجل * والشر يسبق سيله مطره

(المرقش)

كان من مفلقى شعراء الجاهلية ومن امثاله السائرة قوله .

ومن يلق خيراً يحمد الناس امره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

اخوك الذى ان احرجتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

وليس اخوك الذى ان تشعبت * عليك امور ظل يلحاك دائما

(مهلهل واسمه ربيعة)

وهو اول من رقق الشعر فسمى مهلهلا ومن امثاله السائرة قوله وقد خطبت اليه بنته وهى فى دار غربة .

لو با بانين جاء يخطبها * ضرج ما انف خاطب بدم

« وقوله »

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال

لم اكن من جناتها شهد الله * وانى بحرها اليوم صال

« وقوله فى مرثية اخيه كليب بن وائل »

نبئت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا فى امر كل عظيمة * لو كنت شاهد امرهم لم ينبسوا

(الاسود بن يعفر)

غرة شعره قصيدته التى اولها .

نام الخلى وما احس رقادى * والهم محتضر لدى وسادى

وفيها ابيات سائرة يتمثل بها فى فناء السادة ومساكنهم الخاوية بعدهم .

ماذا اؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد
ارض الخورنق والسدير وبارق * والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجئ من اطواد
ارض تخيرها لطيب مقيلها * كعب بن مامة وابن ام دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوتاد
فاذا النعيم وكلما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

﴿ طرفة ابن العبد ﴾

هو اجود الشعراء قصيدة وله بعد المعلقة شعر حسن وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد الا القليل وقتل وهو ابن ست وعشرين سنة وقاتله عمرو بن هند احد ملوك الحيرة وقد ذكر القصة ابن قتيبة فى كتاب الشعر والشعراء وذكرها يعقوب بن السكيت فى شرح ديوانه بابسط من ذلك . ويقال ان اول شعر قاله طرفة انه خرج مع عمه فى سفر فنصب فخاً فلما اراد الرحيل قال .

يالك من قبرة بمعمر * خلالك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ازشئت ان تنقرى * قد رفع الفخ فماذا تحذرى
* لابد يوما ان تصادى فاصبرى *

ومن امثاله السائرة على وجه الدهر .

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

« ومن امثاله فى ذم الاخلاء »

كل خليل كنت خاللته * لاترك الله له واضحه
كلهم اروغ من ثعلب * ماأشبه الليل بالبارحه

« ومن امثاله السائرة لعمرو بن هند »

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

« وقوله »

وقد يبعث الامر الصغير كثيره * حتى تظل له الدماء تصبب

« وقوله »

واعلم علماً ليس بالظن انه * اذا ذل مولى المرء فهو ذليل
وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوارته لدليل

(جرير بن عبد المسيح الشهير بالمتلمس)

هو شاعر مشهور وبليغ مذكور ومن امثاله السائرة قوله فى الاحتياط .

قليل المال تصلحه فيبقى * ولا يبقى الكثير على الفساد
وحفظ المال خير من بغاه * وجول فى البلاد بغير زاد

« وقوله فى الاغضاء عن ذنوب الاقرباء »

ولو غير اخوالى ارادوا نقيصتى * جعلت لهم فوق العرانين ميسما
وما كنت الا مثل قاطع كفه * بكف له اخرى فاصبح اجذما

« وقوله فى الامتناع عن الذل »

ولا يقيم على ذل يراد به * الا الاذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له احد

(علقمة بن عبدة)

من غرر شعره قوله .

فان تسألونى بالنساء فاننى * بصير بادوآء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء اوقل ماله * فليس له فى ودهن نصيب
يرون ثرآء المال حيث علمنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

« وقوله من قصيدة اخرى »

وكل حصن وان دامت سلامته * على دعائمه لاشك مهدوم
ومن تعرض للغربان يزجرها * على سلامته لابد مشؤم
ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه * انى توجه والمحروم محروم
وكل قوم وان عزوا وان كرموا * عريفهم باثا فى الشر مرجوم

(ابو دواد الايادى)

قيل للحطيئة من اشعر الناس قال الذى يقول .

لااعد الاقتار عدما ولكن * فقد من قد رزئته اعدام
من رجال من الاقارب بادوا * من حذاق هم الرؤس الكرام
فعلى اثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

« ومن وسائط قلائده »

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

(لقيط بن معبد الايادى)

امير شعره قصيدته التى كتبها الى قومه يحذرهم جند كسرى ويحرضهم على الجد للممانعة والمقارعة . فمنها قوله .

قوموا قياما على امشاط ارجلكم * ثم افزعوا قد ينال الامر من فزعا
هيهات مازالت الاموال مذ ابد * لاهلها ان اصيبوا مرة تبعا

ومنها فى اختيار الرئيس المضطلع بقيادة الجيش وتدبير الحرب وهو احسن ماقيل فى معناه .

وقلدوا امركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لامترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عظ مكروه به جزعا
مازال يحلب در الدهر اشطره * يكون متبعا طورا ومتبعا
حتى استمر على شزب مريرته * مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا

اى لا شيخاً خرفا ولا شابا حدثا .

(حاتم الطائى)

قد سبق له ذكر فى الاجواد واقتضى المقام اعادة ذكره فمن امثاله السائرة قوله .

اذا لزم الناس البيوت رأيتهم * عماة عن الاخيار خرق المكاسب

« وقوله يخاطب امرأته ماوية »

اماوى ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما * اراد ثراء المال كان له وفر

« وقوله ايضاً »

وانت اذا اعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا

« وقوله ايضاً »

اماوى مايغنى الثرآء عن الفتى * اذا حشرجت يوماوضاق بها الصدر

(عمرو بن كلثوم)

هو من شعرآء الجاهلية وقد حاز قصب السبق فى شعره وتقدمت له ترجمة مفصلة فى فرسان العرب فانه كما كان متقدما فى الشعر كان من اشجع الفرسان واجراهم وهو القاتل عمرو بن هند الملك بسبب ماكان منه من الفخر والتطاول على العرب وتقدمت القصة فى ترجمته وبالجملة انه كان من الطراز الاول من فحول الشعرآء . ولم يخالفه فى ذلك احد من الادباء . وهو صاحب المعلقة المشهورة .

« ومن امثاله السائرة قوله »

وان غدا وان اليوم رهن * وبعد غد بمالا تعلمينا

وفى هذه القصيدة بيتان ينسبان اليه . ويقال انهما لعمرو بن عدى كما ذكره الامام الثعالبى فى كتابه لباب الادب وهما .

صددت الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذى لاتصبحينا

ويروى ان عاملا للامام على كرم الله تعالى وجهه ورضى عنه قدم من عمله فاهدى الى الحسنين الاحسنين رضى الله تعالى عنهما ولم يهد شيئاً الى محمد بن الحنفية فضرب على كتفه وتمثل بقول عمرو .

وما شر الثلاثة ام عمرو * بصاحبك الذى لاتصبحينا

فاهدى من الغدر الى ابن الحنفية كما اهدى الى اخويه صلوات الله وسلامه على جدهم وعليهم .

(عنترة بن شداد العبسى)

كان من مشاهير شعراء الجاهلية كما كان من الفرسان المذكورين وله وقائع كثيرة وتقدمت نبذة من اخباره فى الكلام على الفرسان وحذاق الشعراء يرجحون شعر عمرو بن كلثوم على شعره على منزلته الرفيعة فى البلاغة وقد انشد بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابياته التى يقول فيها .

بكرت تخوفنى المنون كأننى * اصبحت عن عرض المنون بمعزل

فاجبتها ان المنية منهل * لابد ان اسقى بكأس المنهل

فاقنى حياءك لاابالك واعلمى * انى امرؤ سأموت ان لم اقتل

« ولما انشد قوله »

ولقد ابيت على الطوى واظله * حتى انال به كريم المأكل

قال صلى الله تعالى عليه وسلم ماوصف لى اعرابى قط فاحببت ان اراه الاعنترة .

« ومن أمثاله السائرة قوله »

نبئت عمراً غير شاكر نعمتى * والكفر مخبثة لنفس المنعم

« وبيته الذى ينسب اليه »

ان العدوّ على العدو لقائل * ماكان لى علم ومالم يعلم

(طفيل الغنوى)

كان يقال له فى الجاهلية المحبر اى المحسن لحسن شعره . ويروى ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه قال يوما للانصار زادكم الله عنا يامعشر الانصار خيراً فما مثانا ومثلكم الا كما قال طفيل الغنوى .

جزى الله عنا جعفراً حين ازلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

« ومن غرر شعره قوله »

ان النساء كاشجار نبتن لنا * منهن مر وبعض المر مأكول
ان النساء متى ينهين عن خلق * فانه واجب لابد مفعول

(الاضبط بن قريع السعدى)

روى ابن الانبارى باسناده قال عاش الاضبط بن قريع مائة وخمسين سنة ثم مات فى آخر الزمان وامير شعره قوله .

لكل هم من الهموم سعه * والصبح والمسا لابقاء معه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
لاتحقرن الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قدرفعه
وصل حبال البعيد ان وصل ا * لحبل واقص القريب ان قطعه
واقبل من الدهر ماآتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه
مابال من سره مصابك لا * يملك شيئا من امره ودعه

اذود عن حوضه ويدفعني * ياقوم من عاذري من الخدعه
حتى اذا ما انجلت عمايته * اقبل يلحى وغيه فجمه

﴿ عدى بن زيد العبادى ﴾

لايخرج من شعر شاعر من الجاهلية من محكم الشعر وحكمه وما يصلح للمثل به من حسن الديباجة وصفاء الزجاجة مايخرج من شعر عدى وكان يسكن الحيرة ويجاور الريف فرق شعره وعذب منطقه وكان يونس النحوى اذا انشد قوله فى الاعتبار بذهاب القرون وذهاب الملوك . يقول لو تمنيت ان اقول شعراً ماتمنيت الا هذا .

ايها الشامت المعير بالدهر * أأنت المبرأ الموفور
ام لديك العهد الوثيق من الا * يام بل انت جاهل مغرور
اين كسرى كسرى الملوك انو * شروان ام اين قبله سابور
واخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كلـ * سا فللطير فى ذراه وكور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * روم لم يبق منهم مذكور
وتفكر رب الخورنق اذ اشر * ف يوما وللهدى تفكير
سره ملكه وكثرة مايمـ * لك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه فقال وما * غبطة حى الى الممات يصير
ثم اضحوا كانهم ورق جف * فالوت به الصبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملك والام * ة وارتهم هناك القبور

« ومن امثاله السائرة »

كفى واعظا للمرء ايام دهره * تروح له بالواعظات وتغتدى
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه * فان القرين بالمقارن مقتدى
وظلم ذوى القربى اشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند

« وقوله فى حبس النعمان بن المنذر »

ابلغ النعمان عنى مالكا * انه قدطال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

« وقوله »

فهل من خالد اما هلكنا * وهل بالموت ياللناس عار

(الحارث بن حلزة اليشكرى)

قال ابو عبيدة اجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ثلاثة نفر عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد . وزعم الاصمعى ان الحارث قال قصيدته المعلقة وهو ابن مائة وخمس وثلاثين سنة ارتجالا متوكأ على قوسه فزعموا انه انتظم كفه وهو لايشعر من الغضب . وقال ابن السيد فى شرح ادب الكاتب كان متكئاً على عنزة فارتزت فى جسده وهو لايشعر . قال الصولى مايوصف تأهب القوم للسفر واقبالهم على جمع الآلات للارتحال باحسن من قول الحارث .

اجمعوا امرهم عشاءً فلما * اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تص * هال خيل خلال ذاك رغاء

(امية ابن ابى الصلت)

له فى التوحيد والحكمة شعر كثير وفيه يقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه . ويقال انه اول من تلطف للسوأل فى قوله لعبد الله بن جدعان .

أأذكر حاجتى امقد كفانى * حباءك ان شيمتك الحباء

وعلمك بالحقوق وانت قرم * لك الخلق المهذب والسناء

كريم لايغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء

اذا اثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضه الثناء

« ومن غرر شعره قوله »

عطاءك زين لامرئ ان حبوته * بخير وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السوأل يشين

وقد سبق له ذكر فيمن كان على دين ايام الجاهلية .

(قس بن ساعدة الايادى)

كان له باع طويل فى الشعر والخطب وسائر فنون الكلام مع اشتماله على الحكم البالغة والفوائد البديعة . فمن غرر شعره .

فى الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها * يمضى الاصاغر والاكابر

لايرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر

ايقنت انى لا محالة * حيث صار القوم صاير

انشد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الابيات فلما سمعها قال لنا انه يبعث امة على حدة .

(عائذ بن محصن الشهير بالمثقب العبدىّ)

ولقب بذلك لقوله فى قصيدة اولها .

افاطم قبل بينك متعينى * ومنعك ماسألت كأن تبينى

ومنها (وثقبن الوصاوص للعيون) وامير شعره قوله فى هذه القصيدة

فلا تعدى مواعد كاذبات * تمرّ بها رياح الصيف دونى

فلو انى تعاندنى شمالى * لما اتبعتها ابداً يمينى

اذاً لقطعتها واقلت بينى * كذلك اجتوى من يجتوينى

فاما ان تكون اخى بحق * فاعرف منك غثى من سمينى

والا فاطرحنى واتخذنى * عدوّاً اتقيك وتتقينى

فما ادرى اذا يممت ارضاً * اريد الخير ايهما يلينى

ألخير الذى انا ابتغيه * ام الشر الذى هو يبتغينى

« ومن امثاله ايضاً قوله »

لا تقولنّ اذا مالم ترد * ان تتم الوعد فى شئ نعم

حسن قبل نعم قولك لا * وقبيح القول لا بعد نعم

ان لا بعد نعم فاحشة * فبلا فابدأ اذا خفت الندم

واعلم ان الذم نقص للفتى * ومتى لا تتق الذم تذم

اكرم الجار وارع حقه * ان عرفان الفتى الحق الكرم
لاترانى راتعا فى مجلس * فى لحوم الناس كالسبع الضرم
ان شر الناس من يكثرلى * حين يلقانى وان غبت شتم
وكلام سيءٌ قد وقرت * عنه اذناى ومابى من صمم
فتعديت خشاة ان يرى * جاهل انى كما كان زعم
ولبعض الصفح والاعراض عن * ذى الخنى ابقى وان كان ظلم

(الممزق العبدى)

واسمه شاس بن نهار بن اسود بن جريك بن حى بن غشاش . وكان ابن اخت المثقب . وانما لقب بالممزق لبيت قاله لبعض الملوك . وكان اسيراً عنده .

احقاً ابيت اللعن ان ابن فرتنا * على غير اجرام بريقى مشرقى
فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فادركنى ولما امزق

قال احمد بن عبيد انما هو ممزق بكسر الزاى . ولقب ببيته هذا .

فمن مبلغ النعمان ان ابن اخته * على العين يعتاد الصفا ويمزق

(والتمزيق وعين محلم موضع بالبحرين) وروى له ابو عبيدة قوله .

هل للفتى من بنات الدهر من واق * ام هل له من حمام الموت من واق

« ومنها قوله الذى سار مثلا »

هون عليك ولا تولع باشفاق * فانما مالنا للوارث الباقى

« ومن غرره قوله »

لن يجمعوا أودي ومعرفتي * او يجمع السيفان في غمد

(عبد قيس بن خفاف)

كان من البراجم . ومن غرر مواعظه ووصاياه لابنه قوله .

فالله فاتقه واوف بنذره * واذا حلفت ممارياً فتحلل

واعلم بان الضيف مكرم اهله * بمبيت ليلته وان لم يسأل

والضيف فاكرمه فان مبيته * حق ولا تك لعنة للنزل

وصل المواصل ما صفالك وده * واحزز حبال الخائن المتبذل

واترك محل السوء لاتحلل به * واذا نبا بك منزل فتحول

دار الهوان لمن رآها داره * افراحل عنها كمن لم يرحل

واذا هممت بامر شر فاتئد * واذا هممت بامر خير فاعجل

واذا اتتك من العدو قوارص * فاقرص هناك ولا تقل لم افعل

(الشنفري)

تقدم له ذكر ايضاً وامير شعره قصيدته التي اولها .

الا ام عمرو اجمعت فاستقلت * وما ودعت جيرانها اذ تولت

« وبيت القصيدة قوله في وصف امرأة »

فدقت وجلت واسبكرت واكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

اي دقت خاصرتها وجلت عجيزتها وامتد قوامها واسود شعرها فلو كان انسان يجن من فرط الحسن لجنت هذه .

(عروة بن الورد)

امير شعره وغرة كلامه فى الخطاب بالنفس لطلب المال قوله .

فمن يك مثلى ذاعيال ومقتر * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً اوينال رغيبة * ومبلغ نفس عذرهامثل منجح

« وقوله ايضاً »

اذا ادّاك مالك فامتهنه * لجاديه وان قرع المراح

اى اذا اعانك مالك فابذله لمن سألك اياه وان بقيت صفراً منه .

(افنون التغلبى)

كان بعض الكهان انذره بهلاكه من لدغة تصيبه . وكان يتحرز منها بجهده ولا ينام الا على ظهر راحلته فبينا هو ذات ليلة على ناقة له وهى ترعى اذ التوت حية على مشفرها فاضطربت فرمت بها اليه فلدغته فقال فى وقته .

لعمرك مايدرى الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ثم خر ميتاً لساعته .

(قيس بن الخطيم)

امير شعره قصيدته التى اولها .

اتعرف رسماً كاطراد المذاهب * لعمرة وحشاً غير موقف راكب

« وبيت القصيدة قوله فى وصف امرأة »

تراءت لنا كالشمس بين غمامة * بدا حاجب منها وبانت بحاجب
وما رأيت الحرب قد جد جدها * لبست مع البردين ثوب المحارب

يقول قدجمعت بين ثوب الصلح وثوب المحارب لاكون على بصيرة من امرى فى الحالين وفيها .

اذا قصرت اسيافنا كان وصلها * خطانا الى اعدآئنا بالتقارب

« وفيها »

لوانك تلقى حنظلا فوق بيضنا * تدحرج عن ذى سامة المتقارب

(احيحة بن الجلاح)

غرة شعره الذى يتمثل به قوله .

استغن اومت ولايغررك ذونشب * من ابن عم ولا عم ولا خال

انى مقيم على الزورآء اعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذوالمال

« وقوله »

وما يدرى الفقير متى غناه * ولا يدرى الغنى متى يعيل

(عامر بن الطفيل)

هو من الشعرآء المجيدين . ومن غرر شعره السائر سير الامثال قوله .

انى وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور فى كل موكب

فما سودتنى عامر عن وراثة * ابى الله ان اسمو بام ولا اب

ولكننى احمى حماها واتقى * اذاها وارمى من رماها بمنكب

ويقع قوله هذا فى كل اختيار لاشتمال الحسن والجودة على لفظه ومعناه

(ابو الطمحان القينى)

واسمه الشرقى ابن حنظلة . قال دعبل ان امدح بيت قالته العرب

فى الجاهلية قول ابى الطمحان .

وان بنى اوس لام اورمة * علت فوق صعب لا ترام مراقبه
اضائت لهم احسابهم ووجوهم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وكان ابو بكر الخوارزمى يقول ربما اردت البكاء فى بعض مواطنه فيمتنع علىّ فما هو الا ان انشد ابيات ابى الطمحان القينى فيما بينى وبين نفسى حتى يحل عقد الدمع . وهى هذه .

الا عللانى قبل صدح النوآئح * وقبل ارتقاء النفس فوق الجوانح
وقبل غد يالهف نفسى على غد * اذا راح اصحابى ولست برآئح
اذا راح اصحابى تفيض دموعهم * وغودرت فى لحد علىّ صفائحى
يقولون هل اصلحتم لاخيكم * وما اللحد فى الارض الفضاء بصالح

والشيء بالشيء يذكر . وذلك ان بعض الادباء قال اذا استجابت ماء العين ايضاً فى وقته فابى انشدت قول بعض المحدثين فيما بينى وبين نفسى فما هو الا ان امره ببالى وقد جائت العبرات . وهو هذا .

ولتطلعن الشمس بعد فراقنا * بيضاء لم تأسف على فقداننا
كم من غداة يستطاب نسيمها * ويد البلى تقضى على ابداننا

(الاعشى)

واسمه ميمون بن قيس . وكان يقال له صناجة العرب لكثرة [illegible] وهو احد الاربعة الذين وقع الاتفاق على انهم اشعر العرب [illegible] وهو على ساقة الجاهليين ومقدمة المخضرمين

وكان قد ادرك المبعث ومدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير انه لم يتوفق للاسلام . فمن امثاله السائرة قوله فی الخمر .

وكأس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها
لكی يعلم الناس انی امرؤ * اتيت المروة من بابها

وله البيت الذی وقع الاتفاق على انه اهجی بيت فی الجاهلية . وهو قوله فی علقمة بن علاثة .

تبيتون فی المشتی ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثی يبتن خمائصا

ويروی ان علقمة لما قرع سمعه هذا البيت بكی . وقال اللهم اخزه واجزه عنی ان كان كاذبا . ومن غرر شعر الاعشی وابيات قصائده وواسطة قلائده قوله .

وان القريب من يقرب نفسه * لعمر ابيك الخير لا من تنسبا
ومن يغترب عن قومه لا يزل يری * مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسیء * يكن ماساء النار فی رأس كبكبا

« ومن امثاله السائرة قوله »

الست منتهياً من نحت اثلتنا * ولست ضائرها ماأطت الابل
كناطح صخرة يوما ليقلعها * فلم يضرها واوهی قرنه الوعل

« وقوله »

عودت كندة عادة فاصبر لها * اغفر لجاهلها وروّ سجالها
اوكن لها جملا ذلولا ظهره * واحمل فانت معود تحمالها

« ومن امثاله السائرة قوله »

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله * فترصد للامر الذى كان ارصدا

(لبيد بن ربيعة العامرى الانصارى)

وهو من الشعراء المخضرمين عاش فى الجاهلية ستين سنة وفى الاسلام مثلها . وكان عذب المنطق . رقيق حواشى الكلام . وفى الخبر اصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد .

الا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل
سوى جنة الفردوس ان نعيمها * يدوم وان الموت لابد نازل

وسئل لبيد عن اشعر الناس فقال الملك الضليل يعنى امرأ القيس . قيل ثم من قال الغلام القتيل . يعنى طرفة . قيل ثم من قال صاحب العكاز يعنى الشيخ ابا عقيل . وهو نفسه . وسمع الفرزدق رجلا ينشد قول لبيد

وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجد متونها اقلامها

فسجد فقيل ماهذا ياابا فراس . فقال انتم تعرفون سجدة القرآن وانا اعرف سجدة الشعر . وروى انه لما انشد قصيدته هذه فى الجاهلية وبلغ قوله .

تعلو طريقة متنها متواتر * فى ليلة كفر النجوم غمامها

سجد له شعراء زمانه . وقيل لبشار بن برد اخبرنا عن اجود بيت قالته العرب . فقال ان تفضيل بيت واحد على الشعر كله لشديد .

ولكن قداحسن كل الاحسان لبيد فی قوله .

اكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزری بالامل
واذا رمت رحيلا فارتحل * واعص ماياًمر توصيم الكسل

ومن امثاله السائرة قوله من قصيدة .

وما المال والاهلون الاوديعة * ولابد يوما ان ترد الودائع
وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رماداً بعد اذهو ساطع

« ومنها »

اليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
اخبر اخبار القرون التى مضت * ادب كانى كلما قمت راكع
لعمرك مايدری المسافر هل له * نجاح ولايدری متی هو راجع
اتجزع مما احدث الدهر للفتی * وای كريم لم تصبه القوارع

« ومن امثاله السائرة قوله »

ذهب الذين يعاش فی اكنافهم * وبقيت فی خلف كجلد الاجرب

« وقوله »

فقوما وقولا بالذی قدعلمتما * ولا تخمشا خداً ولا تحلقا الشعر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وحكی انه لم يقل فی الاسلام غير بيت واحد وهو قوله .

الحمد لله اذلم ياًتی اجلی * حتی اكتسيت من الاسلام سربالا

وحكی ابن دريد ان لبيداً عاش مائة وخمساً واربعين سنة. خمساً وخمسين

فى الاسلام وتسعين فى الجاهلية . وقد كان معاوية هم بان ينقص عطاءه فارسل اليه انما انا هامة اليوم اوغد فاعرنى اسمها فلعلى ان لا اقبضها فمات قبل ان يقبضها . وكانت ابنتاه تأتيان مجلس ابى جعفر فتؤبناه فلا تألوان فبقيتا على ذلك حولا كاملا ثم كمتا . وله اخبار طيبة ذكرها ابن قتيبة فى كتاب الشعراء وابن عبد البر فى الاستيعاب وابو حاتم السجستانى فى كتاب المعمرين .

(كعب بن زهير ابن ابى سلمى)

هو من المخضرمين . وكان له عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذنب وحين اوعده عليه السلام فقدم عليه وانشده قصيدته التى يقول فيها .

نبئت ان رسول الله اوعدنى * والوعد عند رسول الله مأمول
ان الرسول لنور يستضاء به * وصارم من سيوف الله مسلول

رضى عنه وكساه بردته التى اشتراها معاوية منه بستمائة دينار . وهى البردة التى كانت عند الخلفاء يلبسونها فى العيدين . ويقال ان امير شعره وغرة كلامه قوله . ويقال انه لابيه .

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا * اصبت لئيماً اواصابك جاهل

(العلاء بن الحضرمى)

وفد العلاء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له اتقرأ شيئاً من القرآن فقرأ سورة عبس . ثم زاد فيها من عنده (وهو

الذى اخرج من الحلى نسمة تسعى بين شراسيف وحشى) فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كف فان السورة كافية . ثم قال اتقول شيئاً من الشعر فانشده .

وحى ذوى الاضغان تسب قلوبهم * تحيتك الادنى فقد يدبغ النعل
فان دحسوا بالكره فاعف تكرما * وان اخنسوا عنك الحديث فلا تسل
فان الذى يؤذيك منه استماعه * وان الذى قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان من البيان لسحراً . وان من الشعر لحكما .

(النمر بن تولب العكلى)

عمر فى الجاهلية وادرك الاسلام وقد خرف . وكان شاعراً فصيحاً شجاعا جوادا كريما . وكان هجيراه فى خرفه اصبحوا الضيف اغبقوا الضيف . كعادانه التى كان عليها. وكانت امرأة فى زمانه خرفت ايضاً فكان دأبها ان تقول خضبونى كحلونى زوجونى رجلونى . وبلغ عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذلك . فقال لما لهج به اخو عكل اكرم مما لهجت به خرفة بنى فلان . ومن امثاله قوله

يود الفتى طول السلامة جاهدا * وكيف يرى طول السلامة يفعل

« وقوله »

خاطر بنفسك كى تنال رغيبة * ان القعود مع العيال قبيح
ان المخاطر مالك اوهالك * والجد يجدى مرة فيربح

« وقوله »

ومتى تصبك خصاصة فارج الغنى * والى الذى يهب الرغائب فارغب
لاتغضبن على امرئ فى ماله * وعلى كرائم اصل مالك فاغضب

(حسان بن ثابت)

كان شاعر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمناضل عنه وله قال (اهج مشركى قريش ومعك روح القدس والله ان كلامك لاشد عليهم من وقع السهام فى غاس الظلام) ومن غرر شعره قصيدته التى يقول فيها .

اذاما الاشربات ذكرن يوما * فهن لطيب الراح الفداء
ونشربها فتتركنا ملوكا * واسدا ماينهنهها اللقاء

ولما انشدها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانتهى الى قوله .

هجوت محمداً فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جزاؤك على الله الجنة) فلما انتهى الى قوله .

فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

قال عليه الصلوة والسلام (وقاك الله هول المطالع) فلما انتهى الى قوله

اتهجوه واست له بند * فشركما لخيركما الوقاء

قال من حضر هذا والله انصف بيت قالته العرب . وكان فى الجاهلية مداحا لبنى جفنة ملوك غسان . ويقال ان من غرر شعره قوله فيهم

اولاد حفنة حول قبر ابيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
بيض الوجوه نقية احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول
يغشون حتى ماتهر كلابهم * لايسألون عن السواد المقبل

« ومن امثاله السائرة قوله »

رب علم اضاعه عدم المال * وجهل غطى عليه النعيم

« ومنها »

مابالى انب بالحزن تيس * ام لحانى بظهر غيب لئيم

وواسطة قلادة شعره قوله .

وان امرأ يمسى ويصبح سالماً * من الناس الا ماجنى لسعيد

فاجازه ابنه عبد الرحمن بقوله .

وان امرأ نال الغنى ثم لم ينل * صديقاً ولاذا حاجة لزهيد

ثم اجازها سعيد بن عبد الرحمن بقوله .

وان امرأ قدعاش سبعين حجة * ولم يرض فيها ربه لطريد

ثم اجازها ابو الحسن الحسنى بقوله .

وان امرأ عادى اناساً على الغنى * ولم يسأل الله الغنى لحسود

(النابغة الجعدى)

اختلف فى اسمه على اقوال اصحها ان اسمه قيس بن عبد الله بن وحوح بن عدس بن ربيعة بن جعدة . وانما لقب بالنابغة لانه قال الشعر فى الجاهلية . ثم اقام نحو ثلاثين سنة لايقول الشعر ثم نبغ فيه

فقاله فسمي النابغة . وهو اسن من النابغة الذبياني لان الذبياني كان مع النعمان بن المنذر . وكان النعمان بن المنذر بعد المنذر بن محرق . وقد ادرك النابغة الجعدي المنذر بن محرق ونادمه . ذكر عمرو بن شبة انه عمر مائة وثمانين سنة . وانه انشد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

لبست اناساً فافنيتهم * وافنيت بعد اناس اناسا
ثلاثة اهلين افنيتهم * وكان الاله هو المستآسا

فقال له عمر كم لبثت مع كل اهل قال ستين سنة . وقال ابن قتيبة عمر الجعدي مائتين وعشرين سنة ومات باصبهان ولا يدفع هذا مامر فانه افنى ثلاثة قرون فى مائة وثمانين سنة . ثم عمر الى زمن ابن الزبير وبعده . قال الثعالبي فى كتابه لباب الادب قيس بن عبد الله من المخضرمين المعمرين وامير شعره قصيدته التي يقول فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

اتيت رسول الله اذ جاء بالهدى * ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
بلغنا السماء مجدنا وسناءنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير فى حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان تكدرا

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى فقال الى الجنة . فقال عليه السلام ان شاء الله . ويروى انه عليه السلام لما انشده البيتين نقال لا يفضض الله فاك فعمر وهو احسن الناس ثغراً على كبره ولم ينغض له سن . ومن غرر شعره قوله فى مرثية صديق له

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على ان فيه ما يسوء الاعاديا

فتى كملت اخلاقه غير انه * جواد فما يبقى من المال باقيا

(الحطيئة)

واسمه جرول بن مالك كان رواية لزهير فجم مقبول الكلام شرود القافيه خبيث اللسان حتى كان لسانه مقراض الاعراض حتى انه هجا اباه وامه وزوجه ونفسه . فمن قوله لابيه .

لحاك الله ثم لحاك حقا * ابا ولحاك من عم وخال

فنعم الشيخ انت لدى المخازى * وبئس الشيخ انت لدى العيال

جمعت اللؤم لاحياك ربى * بانواع السفاهة والضلال

« وقوله لامه »

فهاهن اقعدى منا بعيدا * اراح الله منك العالمينا

اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا لدى المتحدثينا

« ومن قوله لامرأته »

اطوف ماالطوف ثم آتى * الى بيت قعيدته لكاع

ومن قوله لنفسه »

ابت شفتاى اليوم الا تكلما * بشر فما ادرى لمن انا قائله

ارى لى وجهاً شوه الله خلقه * فقبح من وجه وقبح حامله

وصب الله به سوط عذاب على الزبرقان بن بدر فانه امضه بهجائه اياه وابكاه واقلقه واحرقه وسير فيه قصيدته السائرة الطيارة التى يقول فيها .

وقد مريتكم لوان درتكم * يوما يجئ بها مسحى وابساسى

ازمعت يأساً مريباً من نوالكم * ولن ترى طارداً للحر كالياس
من يفعل الخير لايعدم جوانيه * لايذهب العرف بين الله والناس
دع المكارم لاترحل لبغيتها * واقعد فانت لعمرى طاعم كاس

« ومن غرره فى المدح قوله »

اقلوا عليكم لاابا لابيكم * من اللوم اوسدوا المكان الذى سدوا
اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا * وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا اشدوا

(ابو ذؤيب الهذلى)

كان يقال هذيل اشعر القبائل وابو ذؤيب اشعرها . وامير شعره قصيدته فى المرثية التى اولها .

امن المنون وريبه تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
وتجلدى للشامتين اريهم * انى لريب الدهر لااتضعضع

وبيت القصيدة . وكان الاصمعى يقول هو ابرع بيت قالته العرب .

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

« ومن غرر هذه القصيدة قوله »

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لاتنفع

(ابو خراش الهذلى)

هو من الشعراء المفلقين . وكان له اخ يسمى عروة فقال ابو خراش يحمد الله على تخلص ابنه من الاسر وهو احسن ماقيل فى التسلى .

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا * خراش وبعض الشر اهون من بعض

فوالله ماانسى قتيلا رزئته * بجانب قوسى مامشيت على الارض
على انها تعفو الكلوم وانما * توكل بالادنى وان حل مايمضى
ولم ادر من القى عليه رداءه * على انه قدسل عن ماجد محض
ولم يك مثلوج الفؤاد مهبجا * اضاع الشباب فى الربيلة والخفض
ولكنه قد نازعته مجاوع * على انه ذومرة صادق النهض
وتزعم الرواة انها لاتعرف رجلا مدح من لا يعرف غير ابى خراش
وشرح هذه الابيات مفصل فى شرح ديوان الحماسة . وكذا فى الجزء
الثانى من كتاب خزانة الادب ولب لباب لسان العرب .

(المتنخل الهذلى)

امير شعره قوله .

ابو مالك قاصر فقره * على نفسه ومشيع غناه
اذا سدته سدت مطواعة * ومهما وكلت اليه كفاه

(ابو صخر الهذلى)

يقال ان اغزل شعر العرب قوله .

اما والذى ابكى واضحك والذى * امات واحيا والذى امره الامر
لقد تركتنى احسد الوحش ان ارى * اليفين منها لايروعهما الذعر
فياحبها زدنى جوى كل ليلة * وياسلوة الايام موعدك الحشر
عجبت لسعى الدهر بينى وبينها * فلما انقضى مابيننا سكن الدهر

(تميم بن مقبل)

هو مخضرم معدود فى الفحول . ومن غرر شعره ماانشد له دعبل .

فاخلف واتلف انما المال عارة * وكله مع الدهر الذى هو آكله

وايسر مفقود واهون هالك * على الحى من لايبلغ الحى نائله

« وقوله »

خليلى لاتستعجلا وانظرا غداً * عسى ان يكون الرفق فى الامر ارشدا

(عبدة بن الطبيب)

من مفلقى المخضرمين وامير شعره لاميته التى اولها .

هل حبل خولة بعد الهجر موصول * ام انت عنها بعيد الدار مشغول

والمرء ساع لامر ليس يدركه * والعيش شح واشفاق وتأميل

وكان عمر رضى الله تعالى عنه يتعجب من جودة هذا البيت وحسن تقسيمه

ومن امثاله السائرة قوله فى مرثية قيس بن عاصم .

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

(حميد بن ثور)

كان من فحول المخضرمين والمعمرين وامير شعره قوله .

ارى بصرى قد رابنى بعد صحة * وحسبك داء ان تصح وتسلما

ولن يلبث العصران يوما وليلة * اذا طلبا ان يدركا ما تيمما

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

« ومنها فى وصف القمرية »

عجبت لها انى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تفغر لمنطقها فما

« ومن نكت شعره قوله في وصف الذئب »

ينام باحدى مقلتيه ويتقي الـ * اعادي باخرى فهو يقظان هاجع

(متمم بن نويرة)

غرة شعره قصيدته التي يرثي بها اخاه مالكا . وغرتها قوله .

وقالوا اتبكي كل قبر رأيته * لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى * ذروني فهذا كله قبر مالك

وقوله في قصيدته التي يرثي بها مالكا ايضاً .

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(دريد بن الصمة)

امير شعره قوله .

امرتهم امري بمنعرج اللوى * وهل يستبان الرشد الا ضحى الغد

وهل انا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

قال يونس النحوي هذا احزم بيت قالته العرب وقوله .

ما ان رأيت ولا سمعت به * كاليوم هانئ اينق صهب

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

(سويد ابن ابي كاهل)

غرة كلامه وشعره قوله .

رب من انضجت غيظا قلبه * قد تمنى لي موتا لم يطع

ويراني كالشجا في حلقه * عسراً مخرجه ماينتزع

مزبد يخطر مالم يرني * فاذا اسمعته صوتي انقمع

قدكفاني الله مافي نفسه * ومتى مايكف شيئاً لم يضع

لم يضرني غير ان يحسدني * فهويزقو مثل مايزقوالضوع

ويحييني اذا لاقيته * واذا يخلو له لحمي رتع

كيف يرجون سقاطي بعدما * جلل الرأس مشيب وصلع

(النجاشي الحارثي)

هو شاعر امير المؤمنين علي رضى الله تعالى عنه وامير شعره قوله .

اني امرؤ قلما اثني على احد * حتى ارى بعض مايأتي ومايذر

لاتمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمن من لم يبله الخبر

وهذا من احسن الاحسان .

(الشماخ بن ضرار)

هو من فحول المخضرمين ومن امثاله السائرة قوله .

لمال المرء يصلحه فيغني * مفاقره اعف من القنوع

وغرة شعره قوله في عرابة الاوسي .

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا مارايةٌ رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(عمرو بن معد يكرب)

من امثاله السائرة قوله .

اذا لم تستطع امراً فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع

« وقوله »

ليس الجمال بمئزر * فاعلم وازرديت بردا

ان الجمال مآثر * ومناقب اورثن مجدا

« وقوله »

ظللت كأني للرماح دريئة * اقاتل عن ابناء جرم وفرت

فلو ان قومي انطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح اجرت

(عمرو بن الاهتم)

امير شعره وغرة كلامه قوله .

لعمرك ماضاقت بلاد باهلها * ولكن اخلاق الرجال تضيق

(سحيم عبد بني الحسحاس)

احسن شعره قصيدته التي اولها .

عميرة ودع ان ترحلت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

« وقوله »

اشعار عبد بني الحسحاس قمن له * يوم الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبداً فنفسي حرة كرما * اواسود الخلق اني ابيض الخلق

(ابو محجن الثقفي)

ليس له احسن وافخر من قوله .

لاتسألي الناس عن مالي وكثرته * وسائلي الناس عن بأسي وعن خلقي

هل اطعن الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق

(كعب بن سعد)

احسن شعره قوله .

وما انا للشئ الذى ليس نافعى * ويغضب منه صاحبى بقؤل

ولست بمبد للرجال سريرتى * ولا انا عن اسرارهم بسؤل

(معن بن اوس)

كان من الاسلاميين وامير شعره قوله .

وفى الناس ان رثت حبالك واصل * وفى الارض عن دار القلى متحول

اذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

« ومن امثاله السائرة قوله »

اعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رمانى

اعلمه الرواية كل يوم * فلما قال قافية هجانى

(كعب بن جعيل)

من الاسلاميين المفلقين كان شاعر معاوية . ومن غرر شعره قوله .

ندمت على شتم العشيرة بعدما * مضى واستتبت للرواة مذاهبه

فاصبحت لا اسطيع رداً لما مضى * كما لا يرد الدر فى الضرع حالبه

(رباد بن زيد العذرى)

[illegible]

[illegible] * ولا جارع من صرفه المتقلب

ولا اتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى احمل على الشر اركب

« وقوله »

هل الدهر والايام الا كما ترى * رزية مال او فراق حبيب

(ابو الاسود الدئلى)

يعد فى التابعين والشيعة والفصحاء واصحاب النحو وفى البخلاء وفى المفاليج . ومن غرر شعره قوله فى عبيد الله بن زياد وقد كساه جبة خز

كسانى ولم استكسه فحمدته * اخ لى يعطينى الجزيل وناصر

وان احق الناس ان كنت مادحا * بمدحك من اعطاك والوجه وافر

« ومن امثاله السائرة قوله »

لاتهن بعد اذ اكرمتنى * فشديد حالة منتزعه

لايكن برقك برقا خلبا * ان خير البرق ماالغيث معه

(زفر بن الحارث)

غرة شعره قوله فى انهزامه يوم مرج راهط .

ايذهب يوم واحد ان اسأته * بصالح ايامى وحسن بلائيا

ولم ير منى زلة قبل هذه * فرارى وتركى صاحبى من ورائيا

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(عبد الله بن قيس الرقيات)

امير شعره قوله فى مصعب بن الزبير .

انما مصعب شهاب من الله * تجلت عن وجهه الظلماء

يتقى الله فى الامور وقد * افلح من كان همه الاتقاء

ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت منـه ولا كبرياء

(المتوكل الليثى)

غرة شعره الذى يتمثل به قوله .

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك وينفع التعليم

لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

« وقوله ايضاً »

لسنا وان احسابنا كرمت * يوما على الاحساب نتكل

نبنى كما كانت اوائلنا * تبنى ونفعل مثل مافعلوا

« هذا آخر ما احببت ذكره » من مشاهير الشعرآء ودرر قلائدهم . وواسطة عقد منظومهم . معرضاً عن استيفائهم . واستقصاء احوالهم . وذكر قصائدهم المنتخبة . واسماء مقاطيعهم المعجبة . حيث قد قضى الائمة منه الوطر . واستوعبوا التقاط هاتيك الدرر . مثنيا عنان القلم الى ذكر مالهم من العوائد فى الخطب والوصايا . ومالهم من البيان الفصيح لدى الخطوب والرزايا . فقد كان ذلك عندهم من اهم العلوم . واعظم [illegible] به المتنافسون [illegible] الشعر المنظوم . فان فيه دقائق انظارهم [illegible] . ومنه يعلم منزلة القوم فى غور عقولهم . وعلو درجتهم فى [illegible] الله عز اسمه استمد التوفيق .

(الخطب والوصايا وما كان من عوائد العرب فيها)

من المعلوم ماكان عليه العرب ايام جاهليتهم من الانفة والتفاخر بالاحساب والانساب والمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسوددهم حتى حدث ماحدث بينهم من الوقائع والايام . والخطوب والمهام . ولا شك ان كل قوم يتفق لهم مثل ذلك هم احوج الناس الى مايستنهض هممهم . ويوقظ اعينهم . ويقيم قاعدهم . ويشجع جبانهم . ويشد جنانهم . ويثير اشجانهم . ويستوقد نيرانهم . صيانة لعزهم ان يستهان . ولشوكتهم ان تستلان . وتشفياً باخذ الثار . وتحرزاً من عار الغلبة وذل الدمار . وكل ذلك من مقاصد الخطب والوصايا . فكانوا احوج اليها بعد الشعر لتخليد مآثرهم . وتأييد مفاخرهم . وهم اقوم الناس قيلا . واقواهم قبيلا . وافصحهم لسانا . واوضحهم بيانا . واهداهم سبيلا . واسطعهم برهانا ودليلا . كما انهم اعلاهم قدرا . واغلاهم درا . واسماهم مبنى . واسناهم معنى . وادقهم فكراً . وارقهم سراً . واعرقهم نسبا . واعرفهم ابا . ولذلك كثر فيهم الخطب والخطباء حتى كان لكل قبيلة من قبائلهم خطيب . كما كان لكل قبيلة شاعر على ماذكره الجاحظ في كتاب البيان ولهم خطب يضيق عنها نطاق الحصر . وقد الف فيها كتب كثيرة . منها كتاب غاية الادب في كلام حكماء العرب . وهو ثلاثة مجلدات . وكتب اخرى لايحصرها العد . وذكر الجاحظ في البيان نبذة من خطب الجاهلية والاسلام . وذكر ان العرب قد ذكر

من خطبهم العجوز وهى خطبة لآل رقبة . ومتى تكلموا فلا بدلهم منها اومن بعضها . والعذراء وهى خطبة قيس بن خارجة لانه كان ابا عذرها . والشوهاء وهى خطبة سحبان وائل . وقيل ذلك لها من حسنها وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب . والخطب والوصايا متقاربان فى المفهوم بيدان الخطب انما يقصد بها قوم لاعلى سبيل التعيين والتخصيص بخلاف الوصايا . وان الخطب انما تكون فى المشاهد والمجامع والايام والمواسم والتفاخر والتشاجر ولدى الكبراء والامراء ومن الوفود فى امر مهم وخطب ملم . والوصايا بخلافها فى كل ماذكر فلا تكون الا لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص على شئ منصوص . وكثيراً ما كانت تصدر من شخص لعائلته اوسيد لقبيلته عند حلول مرض مخاطر اومحاولة نقلة اوما شابه ذلك .

وكان للعرب اعتناء بالخطب فى جاهليتهم اكثر من اعتنائهم بها فى اسلامهم وكانت لهم فيها عوائد غريبه . وشؤن عجيبه . فمن عوائدهم فيها انهم كانوا يتخيرون لها اجزل المعانى وينتخبون لها احسن الالفاظ تحصيلا لغرضهم . ونيلا لمقصدهم . فان الالفاظ الرائقة والمعانى الجزلة اوقع فى النفوس . واشد تأثيراً فى القلوب . وايقظ للهمم . ولذلك ورد ان من البيان لسحراً على ماسبق . والاذن للكلام البليغ اصغى واوعى . والطبع السليم الى كل مستحسن اميل . والترغيب فى العاجل والترهيب فى الاجل الاتيان بهما من اهم مقاصد الخطابة ومطالبها العالية

اذا لم يكونا بعبارات تخلب القلوب . وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيها ولا فائدة منها .

ومن عوائدهم فيها ان الخطيب منهم اذا خطب في تفاخر وتنافر وتشاجر رفع يده ووضعها وادّى كثيراً من مقاصده بحركات يده فذاك اعون له على غرضه وارهب للسامعين له واوجب لتيقظهم . وهو التشذر المذكور في قول لبيد .

غلب تشذر بالذحول كأنها * جن البدىّ رواسيا اقدامها

التشذر رفع اليد ووضعها كما سبق . والذحول جمع ذحل بفتح الذال المعجمة وسكون الحاء المهملة وهو الحقد. يقول هم رجال غلاظ الاعناق كالاسود. اى خلقوا خلقة الاسود يهدد بعضهم بعضاً بسبب الاحقاد التى بينهم . ثم شبههم بجن ذلك الموضع في ثباتهم في الخصام والجدال ويمدح خصومه وكلما كان الخصم اقوى واشد كان قاهره وغالبه اقوى واشد .

ومن عوائدهم فيها اخذ المخصرة بايديهم . وهى مايتوكأ عليه كالعصا ونحوه وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب والخطيب اذا خطب فلا يخطبون الا بالمخاصر . وكانوا يعتمدون على الارض بالقسى . ويشيرون بالعصا والقنا . ومنهم من كان يأخذ المخصرة في خطب السلم والقسى في الخطب عند الخطوب والحروب . واستشهد الجاحظ في كتاب البيان على ماذكرناه بكثير من شعرهم .

واستحسن العرب في الخطيب ان يكون جهير الصوت ولذلك

مدحوا سعة الفم وذموا صغره . حتى قيل لاعرابي ما الجمال . قال طول القامه . وضخم الهامه . ورحب الشدق وبعد الصوت . وسئل ابو المخشن عن ابنه المخشن وكان جزع عليه جزعا شديداً . فقال كان اشدق خرطمانياً سائلا لعابه كانما ينظر من قلبين كان ترقوته بوان اوخالفة . كان منكبه كركرة جمل ثقال . ففقأ الله عيني ان كنت رأيت قبله اوبعده مثله . وقيل لاعرابي ما الجمال قال غؤور العينين . واشراف الحاجبين ورحب الشدقين . وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الاشدق

تشادق حتى مال بالقوم شدقه * وكل خطيب لاابا لك اشدق

« وانشد ابو عبيدة »

وصلع الرؤس عظام البطون * رحاب الشداق طوال القصر

« وقال العجير السلولي في شدة الصوت »

ومنهن قرعى كل باب كانما * به القوم يرجون الاذين نشور
فجئت وخصمى يصرفون نيوبهم * كما قصبت بين الشفار جزور
لدى كل موثوق به عند مثلها * له قدم في الناطقين خطير
جهير وممتد العناق مناقل * بصير بعورات الكلام خبير
فظل رداء العصب ملقى كانه * سلى فرس تحت الرجال عقير
لوان الصخور الصم يسمعن صاقنا * لرحن وفي اعراضهن فطور

« وقال مهلهل »

ولولا الريح اسمع اسل حجد * صليل البيض تقرع بالذكور

وكان شبيب يصيح فى جنبات الجيش اذا اتاه فلا يلوى احد على احد وقال الشاعر فيه .

ان صاح يوما حسبت الصخر منحدراً * والريح عاصفة والموج يلتطم

والشعر فى ذلك كثير . والمقصود ان جهارة الصوت مما يمدح بها الخطيب وتكون من محاسنه .

ومن عوآئدهم فى الخطابة ان يكون الخطيب على زى مخصوص فى العمامة واللباس تنويهاً بشأنه وادخل فى تحصيل الغرض والمقصود وقد اطنب الجاحظ القول فى كتاب البيان على خطب العرب وبيان عوآئدهم فيها وما اورده من الشعر شاهداً على دعواه مما يغنى عن ذكره فى هذا المقام .

(ذكر نبذة من خطباء العرب فى الجاهلية)

خطباء العرب ايام الجاهلية كثيرون كثرة شعرآئهم غير ان البعض منهم كان يغلب عليه قول الشعر فيعد فى الشعرآء وينتظم فى سلكهم وآخرين يغلب عليهم منثور الكلام وفصيح البيان فيعد من رجال الخطابة شأن كل من غلب عليه معرفة فن من الفنون . فمن نظم الشعر لا يعجزه انشاء الخطب وكذلك كثير من الخطباء يعدون من مفلقى الشعرآء . ولما كان اولئك الخطباء لا يحيط بهم نطاق العد والاحصاء . ذكرت بعض افراد منهم هم كالانموذج لمن سواهم مع ذكر شئ من مستحسن كلامهم .

(فمنهم قس بن ساعدة الايادى)

هو من اشهر الخطباء ذكراً . وارفعهم قدراً . حيث روى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلامه وموقفه على جمله الاورق وموعظته وعجب من حسن كلامه . وكفى بذلك فخراً له ولقومه على مدى الايام • فان هذا شرف تحط دونه رؤس الاعلام . وفى الحديث يرحم الله قساً انى لارجو يوم القيمة ان يبعث امة وحده . وبذلك يعلم انه لم يكن على دين من الاديان المشهورة . ومن نسبه الى يهودية او نصرانية فقد لحن فى مقاله . وانحرف عن جادة الصواب . وقد سبق له ذكر فيمن كان على التوحيد من العرب . ونقل شئ من كلامه وكذلك مع الشعرآء .

(ومنهم سحبان وآئل الباهلى)

وهو سحبان بن زفر بن اياس الوآئلى وائل باهلة خطيب يضرب به المثل فى البيان فكانوا اذا ارادوا مدح انسان بذلك قالوا «هو اخطب من سحبان وآئل» ادرك الجاهلية واسلم ومات سنة اربع وخمسين . وحكى الاصمعى قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد ابن عثمان فطلب سحبان فاتى به فقال تكلم فقال انظروا الى عصاً تقوم من اودى فقالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المؤمنين قال ماكان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه فى يده فضحك معاوية وقال هات عصاه فاخذها ثم قام تكلم من صلوة الظهر الى ان قامت صلوة

العصر ماتنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه شيء فما زالت تلك حالته حتى اشار معاوية بيده فاشار اليه سحبان ان لا تقطع على كلامي فقال معاوية الصلوة فقال هي امامك ونحن في صلوة وتحميد ووعد ووعيد . فقال معاوية انت اخطب العرب . فقال سحبان والعجم والانس والجن . ومما روى من خطبه البليغة ان الدنيا دار بلاغ والاخرة دار قرار ايها الناس فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا استاركم عند من لا تخفى عليه اسراركم واخرجوا الى الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ماترك وقالت الملائكة ماقدم. قال حمزة الاصبهاني في امثاله في قولهم هو ابلغ من سحبان وائل كان من خطباء العرب وبلغائها . وفي نفسه يقول .

لقد علم الحي اليمانون انني * اذا قلت اما بعد اني خطيبها

وهو الذي قال لطلحة الطلحات الخزاعي .

ياطلح اكرم من بها * حسبا واعطاهم لتالد

منك العطاء فاعطني * وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة احتكم فقال برذونك الورد . وغلامك الخباز . وقصرك بزرنج وهي مدينة بسجستان وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة اف لك لم تسألني على قدري وانما سألتني على قدرك وقدر باهلة ولو سألتني كل قصر لي وعبد ودابة لاعطيتك ثم امر له بما سأل ولم يزده عليه شيئاً

وقال تالله مارأيت مسئلة محكم الأمم من هذا .

(ومنهم دويد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم الحميرى)

كان من الفصحاء. ومشاهير الخطباء . واوصى بنيه وخطبهم فقال اوصيكم بالناس شراً لاترحموا لهم عبرة. ولا تقيلوا لهم عثرة . قصروا الاعنة . واطيلوا الاسنة . واطعنوا شزراً . واضربوا هبراً . واذا اردتم المحاجزة . فقبل المناجزة . والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد. التجلد ولا التبلد . والمنية ولا الدنية . ولا تأسو على فائت وان عز فقده ولا تحنوا الى ظاعن وان الف قربه . ولا تطمعوا فتطبعوا . ولا تهنوا فتجزعوا . ولا يكونن لكم المثل السوء . ان الموصين بنو سهوان اذا مت فارحبوا خط مضجعى ولا تضنوا على برحب الارض وما ذلك بمؤد الى روحا . ولكن حاجة نفس خامرها الاشفاق ثم مات . قال ابو بكر بن دريد فى حديث آخر انه قال .

اليوم يبنى لدويد بيته * يارب نهب صالح حويته

ورب قرن بطل ارديته * ورب غيل حسن لويته

ومعصم مخضب ثنيته * لوكان للدهر بلى ابليته

* اوكان قرنى واحداً كفيته *

« ومن قوله »

التى ترى الدهر رحلا ويدا * والدهر مااصلح يوما افسدا

يصلح ماافسده اليوم غدا *

قال ابو حاتم السجستاني عاش دويد بن زيد اربعمائة سنة وستا وخمسين سنة . وقال ابن دريد ان دويد بن زيد كان من المعمرين قال ولا تعد العرب معمراً الا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا

(ومنهم زهير بن خباب بن هبل الحميرى)

كان سيداً مطاعا شريفاً في قومه عاش مائتى سنة وعشرين سنة واوقع مائتى وقعة. ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من اهل زمانه. كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك وطبيبهم والطب في ذلك الزمان شرف وحازى قومه والحزاة الكهان وفارس قومه . وله البيت فيهم والعدد منهم . واوصى الى بنيه وخطبهم فقال يا بنى انى قد كبرت سنى وبلغت حرساً من دهرى فاحكمتنى التجارب والامور تجربة واختباراً فاحفظوا عنى ما اقول وعوه. اياكم والخور عند المصائب . والتواكل عند النوائب . فان ذلك داعية للغم وشماتة للعدو. وسوء ظن بالرب. واياكم ان تكونوا بالاحداث مغترين . ولها آمنين . ومنها ساخرين . فانه ما سخر قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها . فان الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر دونه. ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لابد ان يصيبه.

وكان زهير بن خباب على عهد كليب بن وائل . ولم يكن في العرب انطق من زهير ولا اوجه عند الملوك منه . وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً . ولم تجتمع قضاعة الا عليه وعلى رزاح بن ربيعة .

وسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة ان تتكلم عند زوجها به فنهاها فقالت له اسكت عني والا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت اراك تسمع شيئاً ولا تعقله فقال عند ذلك .

الا يالقومي لا ارى النجم طالعا * ولا الشمس الا حاجبي بيميني
معزبتي عند القفا بعمودها * يكون نكيري ان اقول ذريني
اميناً على سر النساء وربما * اكون على الاسرار غير امين
فللموت خير من حداج موطأ * مع الظعن لا يأتي المحل لحين

« وهو القائل »

انيّ ان اهلك فقد * اورثتكم مجداً بنيه
وتركتكم ابناء سا * دات زنادكم وريه
من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه
ولقد رحلت البازل ا * كوماء ليس لها وليه
وخطبت خطبة حازم * غير الضعيف ولا العيبه
فالموت خير للفتى * فليهلكن وبه بقيه
من ان يرى الشيخ البجال * وقد يهادى بالعشيه

« وهو القائل »

ليت شعري والدهر ذو حدثان * اي حين منيتي تاقاني
اسبات على الفراش خفات * ام بكفي مفجع حران

« وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره »

لقد عمرت حتى لاابالى * احتفى في صباحى امسائى
وحق لمن اتت مائتان عاما * عليه ان يمل من الثواء

(ومنهم مرثد الخير الحميرى)

وهو مرثد الخير بن ينكف بن نوف بن معدى كرب بن مضحى. وكان قيلا حدما على عشيرته محباً لصلاحهم. وكان من افصح الفصحاء واخطب الخطباء . قال ابو بكر بن دريد وكان سبيع بن الحارث اخو غلس وغلس ذو جدن. ومثم بن مثوب بن ذى رعين تنازعا الشرف حتى تشاحنا وخيف ان يقع بين حييهما شر فيتفانا جذماهما فبعث اليهما مرثداً فاحضرهما ليصلح بينهما . فقال لهما ان التخفظ وامتطاء الهجاج . واستحقاب اللجاج . سيقفكما على شفاهوة فى توردها بوار الاصيلة . وانقطاع الوسيلة . فتلافيا امركما قبل انتكات العقد. وانحلال العهد . وتشتت الالفة . وتباين الهمة . وانتما فى فسحة رافهة . وقدم واطدة . والمودة مثرية . والبقيا معرضة . فقد عرفتم انباء من كان قبلكم من العرب ممن عصى النصيح . وخالف الرشيد . واصغى الى التقاطيع . ورأيتم ما آلت اليه عواقب سوء سعيهم . وكيف كان صيور امرهم . فتلافوا القرحة قبل تفاقم الثأى واستفحال الداء واعواز الدواء . فانه اذا اسفكت الدماء . استحكمت الشحناء . واذا استحكمت الشحناء . تقضمت عرى الابقاء . وشمل البلاء . فقال سبيع ايها الملك ان عداوة بنى العلاة . لاتبرؤها الاساة . ولا تشفيها

الرقاة . ولا نستقل بها الكفاة . والحسد الكامن . هو الداء الباطن .
وقد علم بنو ابينا هؤلاء انا لهم ردء اذا رهبوا . وغيث اذا اجدبوا .
وعضد اذا حاربوا . ومفزع اذا نكبوا . وانا واياهم كما قال الاول
وهو اوس بن حجر .

اذا ماعلوا قالوا ابونا وامنا * وليس لهم عالين ام ولا اب

فقال متمم ايها الملك ان من نفس على ابن ابيه الزعامة . وجدبه
في المقامة . واستكثر له قليل الكرامة . كان قرفا بالملامة . مؤبناً على
ترك الاستقامة . وانا والله ماامتد لهم بيد الا وقد نالهم منا كفاؤها .
ولا نذكر لهم حسنة الا وقد تطلع منا اليهم جزآؤها . ولا تفيأ لهم
علينا ظل نعمة الا وقد قوبلوا بشرواها . ونحن بنو فحل مقدم
لم تقعد بنا الامهات ولا بهم . ولم تزعنا اعراق السوء ولا اياهم . فعلام
مط الخدود . وخزر العيون . والتجبق والتصعر . والبأو والتكبر .
الكثرة عدد . ام لفضل جلد . ام لطول مقتعد . وانا واياهم كما
قال الاول . وهو ذوالاصبع العدواني .

لاه ابن عمك لاافضلت في حسب * عني ولا انت دياني فتخزوني

ومقاطع الامور ثلاث . حرب مبيرة . اوسلم قريرة . اومداجاة وغفيرة .
فقال الملك . لاتنشطوا عقل الشوارد . ولا تلقحوا العون القواعد .
ولا تورثوا نيران الاحقاد . ففيها المتلفة المستأصلة . والجائحة والاابلة
واعفوا بالحلم ابلاد الكلم . وانيبوا الى السبيل الارشد . والمنهج

الاقصد. فان الحرب تقبل بزبرج الغرور. وتدبر بالويل والثبور.
ثم انشد الملك شعراً.

الا هل اتى قوم بذلى نصيحة * حسوت سبيعاً كأسها ومتمما
وقلت اعلما ان التدابر غادرت * عواقبه للذل والقتل جرهما
فلا تقدحا زند العقوق وابقيا * على العزة القعساء ان تتهدما
ولا تجريا جريا يجر عليكما * عواقبها يوما من الشر اشأما
فان جناة الحرب للحين عرضة * تفوقهم منها الذعاف المغشما
حذار فلا تستنبشوها فانها * تغادر ذا الانف الاشم مكشما

فقال ايها الملك. بل نقبل نصحك. ونطيع امرك. ونطفئ النائرة ونحل الضغائن. ونتقرب الى السلم.

《 ومنهم الحارث بن كعب المذحجى 》

كان الحارث هذا من افصح خطباء زمانه. قد سلم له طول باعه فى البلاغة وعلو شانه. قال ابو حاتم السجستانى جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يابنى قد اتت على ستون ومائة سنة ماصافحت يمينى يمين غادر. ولا قنعت نفسى بخلة فاجر. ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندى مومسة قناعها ولا ابحت لصديق بسر وانى لعلى دين شعيب النبى وما عليه احد من العرب غيرى وغير اسد بن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتى. وموتوا على شريعتى آلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من اموركم. ويصلح لكم اعمالكم. واياكم

ومعصيته لايحل بكم الدمار . ويوحش منكم الدار . يابنى كونوا جميعاً ولاتفرقوا فتكونوا شيعاً . وبزوا قبل ان تبزوا . وان موتا فى عز . خير من حيوة فى ذل وعجز . وكل ماهو كائن كائن . وكل جمع الى تباين . والدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء . واليوم يومان يوم حبرة ويوم عبرة . والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك . تزوجوا الاكفاء . وليستعملن فى طيبهن الماء . واياكم والورهاء . فانها ادوأ الدآء . وتجنبوا الحمقاء . فان ولدها الى افن يكون . الا انه لاراحة لقاطع القرابة . واذا اختلف القوم امكنوا عدوهم منهم . وآفة العدد اختلاف الكلمة . والتفضل بالحسنة يقى السيئة والمكافاة بالسيئة دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء . وقطيعة الرحم . تورث الهم . وانتهاك الحرمة . يزيل النعمة . وعقوق الوالدين يعقب النكد . ويمحق العدد ويخرب البلد . والنصيحة . تجر الفضيحة . والحقد . يمنع الرفد . ولزوم الخطيئه . يعقب البليه . وسوء الرعة . يقطع اسباب المنفعة . والضغائن . تدعو الى التباين . يابنى انى قد اكلت مع اقوام وشربت فذهبوا وغبرت . وكأنى بهم قد لحقت . ثم انشأ يقول .

اكلت شبابى فافنيته * وانضيت بعد دهور دهورا

ثلاثة اهلين صاحبتهم * فبادوا واصبحت شيخاً كبيرا

قليل الطعام عسير القيام * قد ترك الدهر خطوى قصيرا

ابيت اراعى نجوم السماء * اقلب امرى بطونا ظهورا

(ومنهم قيس بن زهير العبسى)

كان هذا ايضاً من ذوى الفصاحة والبيان . وعذوبة المنطق وذرب اللسان . ومن اخباره ومستحسن كلامه ماروا ه ابن الكلبى قال لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن زهير العبسى النمر بن قاسط . فقال لهم انى جاورتكم واخترتكم فزوجونى امرأة قد ادبها الغنى واذلها الفقر فى حسب وجمال فزوجوه ظبية ابنة الكيس النمرى وقال لهم ان فىّ خلالا ثلاثا انى غيور وانى فخور وانى آنف . ولست افخر حتى ابدأ . ولا اغار حتى ارى . ولا آنف حتى اظلم . فاقام فيهم حتى ولد له . فلما اراد الرحيل عنهم قال انى موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال . عليكم بالاناءة فان بها تنال الفرصة . وتسويد من لا تعابون بتسويده . وعليكم بالوفاء فان به يعيش الناس . وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة . ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح . واجارة الجار على الدهر . وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى . وخلط الضيف بالعيال . وانهاكم عن الرهان فانى به ثكلت مالكا اخى . والبغى فانه قتل زهيراً ابى . وعن الاعطاء فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق . وعن الاسراف فى الدماء فان يوم الهباءة الزمنى العار . ومنع الحرم الا من الاكفاء . فان لم يصيبوا لهن الاكفاء فان خير مناكحهن القبور اوخير منازلها . واعلموا انى كنت ظالماً مظلوما ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا اخى وظلمتهم بان قتلت من لاذنب له .

(ومنهم الربيع بن ضبيع الفزارى)

كان من الخطباء الجاهليين وقد ادرك زمن الاسلام لانه كان من المعمرين . ويقال انه بقى الى ايام بنى امية . وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياربيع اخبرنى عما ادركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية . قال انا الذى اقول .

ها انا ذا آمل الخلود وقد * ادرك عقلى ومولدى حجرا

فقال قد رويت هذا الشعر من شعرك وانا صبى . قال وانا القائل .

اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال قد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك ياربيع لقد طابك جد غير عاثر ففصل لى عمرك . قال عشت مائتى سنة فى فترة عيسى عليه السلام . وعشرين ومائة فى الجاهلية وستين فى الاسلام قال اخبرنى عن فتية فى قريش متواطئ الاسماء قال سل عن ايهم شئت . قال اخبرنى عن عبد الله بن عباس . قال فهم وعلم وعطاء خدم ومقرى ضخم . قال فاخبرنى عن عبد الله بن عمر . قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم . قال فاخبرنى عن عبد الله بن جعفر . قال ريحانة طيب ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضرها . قال فاخبرنى عن عبد الله بن الزبير . قال جبل وعر ينحدر عنه الصخر قال لله درك ياربيع ماعرفك بهم . قال قرب جوارى وكثرة استخبارى قال السيد المرتضى علم الهدى فى كتابه غرر الفوائد ان كان هذا

الخبر صحيحاً فيشبه ان يكون سؤال عبد الملك له انما كان فى ايام معاوية لافى ولايته . لان الربيع يقول فى الخبر عشت فى الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولى فى سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحاً فلابد مما ذكرناه . فقد روى ان الربيع ادرك ايام معاوية . ويقال ان الربيع لما بلغ مائتى سنه قال .

الا ابلغ بنى بنى ربيع * فاشرار البنين لكم فداء
بانى قد كبرت ودق عظمى * فلا تشغلكم عنى النساء
وان كنائنى لنساء صدق * وما آلى بنى ولا اساؤا
اذا كان الشتاء فادفؤنى * فان الشيخ يهدمه الشتاء
واما حين يذهب كل قر * فسربال خفيف اورداء
اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وقال حين بلغ مائتين واربعين سنة .

اصبح منى الشباب قد حسرا * ان كان ولى فقد ثوى عصرا
ودعنا قبل ان نودعه * لما قضى من جماعنا وطرا
هاانا ذا آمل الخلود وقد * ادرك عقلى ومولدى حجرا
ابا امرئ القيس هل سمعت به * هيهات هيهات طال ذا عمرا
اصبحت لا احمل السلاح ولا * املك رأس البعير ان نفرا
والذئب اخشاه ان مررت به * وحدى واخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة اسر بها * اصبحت شيخاً اعالج الكبرا

قوله عطاء حذم اى سريع وكل شئ اسرعت فيه فقد حذمته . وفى الحديث اذا اذنت فترسل واذا اقمت فاحذم . والمقرآء الاناء الذى يقرى فيه . وقوله ما آلى بنى ولا اساؤا اى لم يقصروا والا آلى المقصر

﴿ ومنهم ابو الطمحان القينى ﴾

واسمه حنظلة بن الشرقى من بنى كنانة بن القين . قال ابو حاتم عاش ابو الطمحان القينى مائتى سنة فقال فى ذلك .

حنتنى حانيات الدهر حتى * كأنى خاتل ادنو لصيد
قريب الخطو يحسب من رآنى * ولست مقيداً انى بقيد

قال ابو حاتم السجستانى حدثنى عدة من اصحابنا انهم سمعوا يونس ابن حبيب ينشد هذين البيتين . وينشد ايضاً .

تقارب خطو رجلك يادريد * وقيدك الزمان بشر قيد

« وهو القائل »

وانى من القوم الذين هم هم * اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه
اضائت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومعنى البيتين الاولين يشبه قول اوس بن حجر .

اذا مقرم منا ذرى حد نابه * تخمط فينا ناب آخر مقرم

ولطفيل الغنوى مثل هذا المعنى وهو قوله .

كواكب دجن كلما انقض كوكب * بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقد اخذ هذا المعنى الخزيمى فقال .

اذا قمر منـا تغور اوخبا * بدا قمر فى جانب الافق يلمع

« ومثل ذلك »

خلافة اهل الارض فينا وراثة * اذا مات منا سيد قام صاحبه

« ومثله »

اذا سيد منا مضى لسبيله * اقام عمود الملك آخر سيد

(ومنهم ذو الاصبع العدوانى)

قد ذكرنا نبذة من احواله فى الكلام على حكام العرب . وكما كان من حكامهم فهو من افصح خطبائهم فلذلك اقتضى المقام ايراد شئ من مستحسن كلامه . قال ابو الفرج الاصبهانى فى كتابه الاغانى ولما احتضر ذو الاصبع دعا ابنه اسيد فقال له يا بنى ان اباك قد فنى وهو حى وعاش حتى سئم العيش وانى موصيك بما ان حفظته بلغت فى قومك ما بلغته فاحفظ عنى . الن جانبك لقومك يحبوك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا تستأثر عليهم بشئ يسودوك . واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم . يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم . واسمح بمالك . واحم حريمك . واعزز جارك . واعن من استعان بك . واكرم ضيفك . واسرع النهضة فى الصريخ . فان لك اجلاً لا يعدوك . وصن وجهك عن مسألة احد شيئاً فبذلك يتم سوددك

« ثم انشأ يقول »

أأسيد ان مالا ملكـ * ت فسر به سيراً جميلا
آخ الكرام ان استطعت * الى اخائهم سبيـلا
واشرب بكأسهم وان * شربوا به السم الثميلا
اهن اللئـام ولا تكن * لاخائهم جملا ذلولا
ان الكرام اذا توا * خيتهم وجدت لهم قبولا
ودع الذى يعد العشير * ة ان يسيل ولن يسيلا
ابنى ان المـال لا * يبكى اذا فقد البخيلا

(ومنهم الاوس بن حارثة)

قال ابو بكر ابن دريد حدثنى عمى عن ابيه عن هشام بن محمد ابن السائب الكلبي عن عبد الحميد ابن ابى عبس الانصارى قال عاش الاوس بن حارثة دهراً وليس له ولد الا مالك وكان لاخيه الخزرج خمسة اولاد عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب . فلما حضره الموت قال له قومه قد كنا نأمرك بالتزوج فى شبابك فلم تتزوج حتى حضرك الموت . فقال الاوس لم يهلك هالك . ترك مثل مالك . وان كان الخزرج ذا عدد . وليس لمالك ولد . فلعل الذى استخرج العذق من الجريمة . والنار من الوثيمة . ان يجعل لمالك نسلا . ورجالا بسلا. يامالك المنية ولا الدنية . والعتاب قبل العقاب . والتجلد لا التبلد . واعلم ان القبر خير من الفقر وشر شارب المشتف . واقبح طاعم المقتف.

وذهاب البصر . خير من كثير من النظر . ومن كرم الكريم . الدفاع عن الحريم . ومن قل ذل . ومن امر فل . وخير الغنى القناعة . وشر الفقر الضراعة . والدهر يومان فيوم لك ويوم عليك . فاذا كان لك فلا تبطر . وان كان عليك فاصبر . فكلاهما سينحسر . فانما تعز من ترى ويعزك من لا ترى . ولو كان الموت يشترى لسلم منه اهل الدنيا ولكن الناس فيه مستوون . الشريف الابلج . واللئيم المعلهج . والموت المفيت . خير من ان يقال لك هيت . وكيف بالسلامه . لمن ليست له اقامه . وشر من المصيبة سوء الخلف . وكل مجموع الى تلف . وحياك الهك . قال فنشر من مالك بعدد بني الخزرج اونحوهم

(ومنهم اكثم بن صيفي التميمي)

قد ذكرت نبذة لطيفة من ملحه وفصيح كلامه عند الكلام على حكام العرب وقد اقتضى المقام ايراد شئ من كلامه . المزرى بعقد الدر ونظامه . فمن ذلك قوله يخطب قومه بني تميم ويوصيهم . يابني تميم لا يفوتنكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي . ان بين حيزومي وصدري لكلاما لا اجد له مواقع الا اسماعكم . ولا مقار الا قلوبكم . فتلقوه باسماع مصغية . وقلوب واعية . تحمدوا مغبته . الهوى يقظان . والعقل راقد . والشهوات مطلقة . والحزم معقول . والنفس مهملة . والروية مقيدة . ومن جهة التواني وترك الروية يتلف الحزم . ولن يعدم المشاور مرشدا . والمستبد برأيه موقوف على مداحض

الزلل . ومن سمع سمع به . ومصارع الرجال تحت بروق الطمع . ولو اعتبرت مواقع المحن ماوجدت الا فى مقاتل الكرام . وعلى الاعتبار طريق الرشاد . ومن سلك الجدد امن العثار . ولن يعدم الحسود ان يتعب قلبه . ويشغل فكره . ويورث غيظه . ولا تجاوز مضرته نفسه . يابنى تميم الصبر على جرع الحلم اعذب من جناء ثمر الندامة. ومن جعل عرضه دون ماله استهدف للذم . وكلم اللسان . انكى من كلم السنان. والكلمة مرهونة مالم تجم من الفم .فاذا نجمت فهى اسد محرب. اونار تلهب . ورأى الناصح اللبيب دليل لايجوز . ونفاذ الرأى فى الحرب . اجدى من الطعن والضرب .

وكان يزيد بن المهلب يسلك طريقة الاكثم بن صيفى فى خطبه ووصاياه وحكمه ونصائحه فانها احسن مسالك البلغاء. وارشق اساليب الفصحاء . فمن ذلك مااوصى به ابنه مخلداً حين استخلفه على جرجان . وهو قوله يابنى انى قد استخلفتك على هذه البلاد . فانظر هذا الحى من اليمن فكن لهم كما قال الشاعر .

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

وانظر هذا الحى من ربيعة فانهم شيعتك وانصارك فاقض حقوقهم. وانظر هذا الحى من تميم فامطرهم ولاتزه لهم ولا تدنهم فيطمعوا ولا تقصهم فيقطعوا . وانظر هذا الحى من قيس فانهم اكفاء قومك فى الجاهلية . ومناصفوهم المنابر فى الاسلام . ورضاهم منك البشر

يا بني ان لابيك صنائع فلا تفسدها فانه كفى بالمرء نقصاً ان يهدم ما بنى ابوه . واياك والدماء فانها لا تقية معها . واياك وشتم الاعراض فان الحر لا يرضيه عن عرضه عوض . واياك وضرب الابشار فانه عار باق ووتر مطلوب . واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى . ولا تعزل الا عن عجز اوخيانة . ولا يمنعك من اصطناع الرجل ان يكون غيرك قد سبقك اليه . فانك انما تصطنع الرجال لفضلها . وليكن صنيعك عند من يكافيك عنه العشاير . احمل الناس على احسن ادبك يكفوك انفسهم . واذا كتبت كتابا فاكثر النظر فيه . وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عني وعنك. فان كتاب الرجل موضع عقله. ورسوله موضع سره . واستودعك الله فلابد للمودع ان يسكت . وللمشيع ان يرجع. وما عف من المنطق وقل من الخطيئة. احب الى ابيك.

(وكذلك سلك هذا المسلك المحمود قيس بن عاصم المنقرى)

فمن خطبه الرشيقه . ووصاياه الانيقه . قوله يوصي بنيه يا بني خذوا عني . فلا احد انصح لكم مني . اذا دفنتموني فانصرفوا الى رحالكم فسودوا اكبركم . فان القوم اذا سودوا اكبرهم خلفوا اباهم . واذا سودوا اصغرهم ازدرى ذلك بهم في اكفائهم واياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم . وتمسكوا بطاعة امرائكم . فانهم من رفعوا ارتفع . ومن وضعوا اتضع . وعليكم بهذا المال فاصلحوه فانه منبهة للكريم . وجنة لعرض اللئيم . واياكم والمسألة فانها آخر

كسب الرجل . وان احداً لم يسأل الا ترك الكسب . واياكم والنياحة فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينهى عنها . وادفنوني في ثيابي التي كنت اصلي فيها واصوم . ولا يعلم بكر بن وائل بمدفني فقد كانت بيني وبينهم مشاحنات في الجاهلية والاسلام . واخاف ان يدخلوا عليكم بي عاراً . وخذوا عني ثلاث خصال . اياكم وكل عرق لئيم ان تلابسوه فانه ان يسرركم اليوم يسوءكم غداً . واكظموا الغيظ . واحذروا بني اعداء آبائكم فانهم على منهاج آبائهم . ثم قال .

احيا الضغائن اباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللاباء ابناء

قال ابن الكلبي فيحكي الناس هذا البيت سابقاً للزبيري وما هو الا لقيس بن عاصم .

(ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبي)

فانه كما كان يعد من فحول الشعراء . كذلك كان من مصاقع الخطباء . وله في هذا الباب كلام حسن . على اسلوب مستحسن . من ذلك قوله يخاطب بنيه . يابني اني قد بلغت من العمر مالم يبلغ احد من آبائي واجدادي . ولابد من امر مقتبل وان ينزل بي ما نزل بالاباء والاجداد . والامهات والاولاد . فاحفظوا عني ما اوصيكم به . اني والله ما عيرت رجلا قط امراً الا عير بي مثله . ان حقاً فحقا وان باطلاً فباطلا ومن سب سب . فكفوا عن الشتم فانه اسلم لاعراضكم . وصلوا ارحامكم تعمر داركم . واكرموا جاركم يحسن ثناؤكم . وزوجوا بنات

العم بني العم . فان تعديتم بهن الى الغرباء . فلا تألوا بهن الاكفاء .
وابعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فانه اغض للبصر . واعف
للذكر . ومتى كانت المباينة واللقاء . ففي ذلك داء من الادواء . ولا
خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه . وقل من انتهك حرمة لغيره
الا انتهكت حرمته . وامنعوا القريب . من ظلم الغريب . فانك تذل
على قريبك . ولا يحمل بك ذل غريبك . واذا تنازعتم في الدماء .
فلا يكن حقكم للقاء . فرب رجل خير من الف . وود خير من حلف .
واذا حدثتم فعوا . واذا حدثتم فاوجزوا . فان مع الاكثار . يكون
الاهذار . وموت عاجل . خير من ضنى آجل . وما بكيت من زمان .
الا دهاني بعده زمان . وربما شجاني . من لم يكن امره عناني . وما
عجبت من احدوثة . الا رأيت بعدها اعجوبة . واعلموا ان اشجع القوم
العطوف . وخير الموت تحت ظلال السيوف . ولا خير فيمن لا روية
له عند الغضب . ولا فيمن اذا عوتب لا يعتب . ومن لا يرجى خيره .
ولا يخاف شره . فبكؤه خير من دره . وعقوقه خير من بره .
ولا تبرحوا في حبكم فانه من ابرح في حب آل ذلك الى قبيح بغض .
وكم زارني انسان وزرته . فانقلب الدهر بنا فبرته . واعلم ان الحليم
سليم . وان السفيه كليم . اني لم امت ولكن هرمت . ودخلتني ذلة
فسكت . وضعف قلبي فاهترت . سلمكم ربكم وحياكم . وقد ذكرت
نبذة من غرر شمائل عمرو المذكور عند ذكر شعراء العرب .

(ومنهم نعيم بن ثعلبة الكنانى)

كان يخطب العرب فى الموسم . وينقادون لاوامره ويمتثلونها وينتهون عما نهى عنه . وهو اول من نسأ الشهور . قال ابو بكر الانبارى كانوا اذا صدروا من منى قام رجل يقال له نعيم بن ثعلبة من بنى كنانة . فقال انا الذى لااعاب ولا يردلى قضاء . فيقولون انسئنا شهراً اى اخر عنا حرمة المحرم فاجعلها فى صفر . وذلك انهم كانوا يكرهون ان تتوالى عليهم ثلاثة اشهر لايمكنهم الاغارة فيها لان معاشهم كان من الاغارة فيحل لهم المحرم ويحرم عليهم صفراً . فاذا كان فى السنة المقبلة حرم عليهم المحرم واحل لهم صفراً . فقال الله عز وجل انما النسيء زيادة فى الكفر . وقال الشاعر .

السنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

« وقال آخر »

وكنا الناسئين على معد * شهورهم الحرام الى الحليل

« وقال آخر »

نسؤا الشهور بها وكانوا اهلها * من قبلكم والعز لم يتحول

وقد استوعبنا الكلام على النسيء فى الاعمال التى ابطلها الاسلام . والمقام اقتضى ايراد شيء منه .

(ومنهم ابو سيارة العدوانى)

وهو رجل من بنى عدوان اسمه عميلة بن خالد الاعزل . وكان

احد خطباء العرب المذكورين وكان له حمار اسود اجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى اربعين سنة . وكان يقول اشرق ثبير . كيما نغير . ويقول لاهم انى بائع بياعه . ان كان اثم فعلى قضاعه . لاهم مالى فى الحمار الاسود . اصبحت بين العالمين احسد . هلا يكاد ذوالبعير الجلعد . فق ابا سيارة المحسد . من شر كل حاسد اذا حسد . ومن اداة النافثات فى العقد . اللهم حبب بين نسائنا . وبغض بين رعائنا . واجعل المال فى سمحائنا . وفيه يقول الشاعر .

خلوا الطريق عن ابى سياره * وعن مواليـه بنى فزاره
حتى يجيز سالمـا حماره * مستقبل القبلة يدعو جاره
* فقد اجاره الله من اجاره *

وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين ويجعلان ابا سيارة لهما قدوة .

﴿ ومنهم الحارث بن ذبيان بن نجا بن مسهب اليمانى ﴾

كان من مشاهير خطباء العرب وفصحائهم فى عصره . وله كلام مستحسن تكلم به فى المجامع والمشاهد العظيمة . والخطوب الصعبة . « روى ابو بكر بن دريد » بسنده الى ابن الكلبي عن ابيه قال اجتمع طريف ابن العاصى والحارث بن ذبيان وهو احد المعمرين . عند بعض مقاويل حمير فتفاخرا . فقال الملك للحارث ياحار ان تخبرنى بالسبب الذى اخرجكم من قومكم حتى لحقتم بالنمر بن عثمان . فقال اخبرك ايها

الملك خرج هجينان منا يرعيان غنماً لهما فتشاولا بسيفيهما . فاصاب صاحبهم عقبة صاحباً فعاث فيه السيف فنزف فمات . فسألونا اخذ دية صاحبنا دية الهجين وهى نصف دية الصريح . فابى قومى وكان لنا رباء عليهم فابينا الا دية الصريح وابو الا دية الهجين . وكان اسم هجيننا زكرآء واسم صاحبهم غنفش بن مهيرة . وهى سودآء ايضاً فتفاقم الامر بين الحيين . فقال رجل منا .

حلومكم ياقوم لاتعزبنها * ولاتقطعوا ارحامكم بالتدابر
وادوا الى الاقوام عقل ابن عمهم * ولا ترهقوهم سبة فى العشاير
فان ابن زكرآء الذى فاد لم يكن * بدون خليف اواسيد بن جابر
فان لم تعاطوا الحق فالسيف بيننا * وبينكم والسيف اجور جائر

فتضافروا علينا حسداً فاجمع ذو والحى منا ان نلحق بامنع بطن من الازد فلحقنا بالنمر بن عثمان . فوالله مافتت فى اعضادنا نأيها منهم . ولقد اثأرنا بصاحبنا وهم راغمون . فوثب طريف بن العاصى من مجلسه فجلس بازآء الحارث . وقال والله ماسمعت كاليوم قولا ابعد من صواب ولا اقرب من خطل . ولا اجلب لقذع من قول هذا . والله ايها الملك ماقتلوا بهجينهم نبرحا . ولا رقوا ندحا . ولا اطوا به عقلا . ولا احتفوا به حشلا . ولقد اخرجهم الخوف عن اهلهم . واجلاهم عن خالهم . حتى استلانوا خشونة الازعاج . ولجؤا الى ضيق الولاج فلا وئلا . فقال الحارث انسى ياطريف . انى والله ماخالك كافا عزب

لسانك . ولا منهياً شرة نزواتك . حتى اسطوبك سطوة تكف جماحك . وترد طماحك . وتكبت تقرعك . وتقمع تسرعك . « فقال طريف » مهلا ياجابر لا تعرض لطحمة اسانى . وغرب لسانى . وذرب شباتى وميسم سنانى . فتكون كالاطل الموطوء . والعجب الموجوء . « فقال الحارث » اياى تخاطب بمثل هذا القول . والله لو وطئتك لاسختك ولو وحصتك لاوهطتك . ولو بعجتك لافدتك « فقال طريف » متمثلا

وان كلام المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

اما والاصنام المحجوبة . والانصاب المنصوبة . لئن لم تربع على ظلعك وتقف عند قدرك . لادعق حزنك سهلا . وعمرك محلا . وصفاك وحلا « فقال الحارث » اما والله لو رمت ذلك لمرغت بالحضيض . واغصصت بالجريض . وضاقت عليك الرحاب . وتقطعت عليك الاسباب . ولا لقيت لقى تهاواه الرواسس . بالسهب الطامس . « فقال طريف » دون ماناجتك به نفسك مقارعة ابطال . وحياض اهوال . وخفر آجال . يمنع منه تطامن الامهال « فقال الملك » ايها عنكما فما رايت كاليوم مقال رجلين لم يقصبا ولم يثلبا ولم يلصوا ولم يقفوا وشرح هذه الالفاظ يطول . فمن اراد ذلك فليراجع كتب اللغة .

(واما خطب اهل الصدر الاول من الاسلام)

فهى الغاية فى الفصاحة . والمنتهى فى البراعة والبلاغة . وفى كتب الادب الدائرة فى الايدى شئ كثير من خطب الخلفاء الراشدين وغيرهم مما تحير

منه اولو الالباب . وتقضى منه العجب العجاب . قداشتملت على الحكم والاسرار . وما يستوجب خيرى الدنيا والاخرة دار القرار . وما يقرب الى مرضاة الله تعالى ويباعد عن دار البوار . هذا كتاب نهج البلاغة قداستودع من خطب الامام علي ابن ابى طالب سلام الله عليه ماهو قبس من نور الكلام الآلهى وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوى . وكذلك اهل القرن الثانى فليسوا باقل فصاحة من العرب العرباء . ولا من اولئك الخطباء . روى ابوبكر بسنده الى ابن الكلبي عن ابيه قال لما قتل عبدالملك مصعباً بن الزبير دخل الكوفة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه . ثم قال ايها الناس ان الحرب صعبة مرة . وان السلم امن ومسرة . وقدزبنتنا الحرب وزبناها . فعرفناها والفناها . فنحن بنوها وهى امنا . ايها الناس فاستقيموا على سبل الهدى ودعوا الاهوآء المردية . وتجنبوا فراق جماعة المسلمين . ولا تكلفونا اعمال المهاجرين الاولين . وانتم لاتعلمون اعمالهم . ولا اظنكم تزدادون بعد الموعظة الا شرا . ولن تزداد بعد الاعذار اليكم . والحجة عليكم الا عقوبة . فمن شاء منكم ان يعود بعد لمثلها فليعد . وانما مثلى ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة .

من يصل نارى بلاذنب ولاترة * يصل بنار كريم غير غدار
انا النذير لكم منى مجاهرة * كي لا الام على نهى وانذار
فان عصيتم مقالى اليوم فاعترفوا * ان سوف تلقون خزيا ظاهر العار

لترجعن احاديثا ملفقة * لهو المقيم ولهو المدلج السارى
من كان فى نفسه حوجاء يطلبها * عندى فانى له رهن باصحار
اقيم عوجيه ان كان ذاعوج * كما يقوم قدح النبعة البارى
وصاحب الوتر عندى ليس مدركه * عندى وانى لدراك لاوتارى
«وروى ابو بكر ايضاً» قال ولى جعفر بن سليمان اعرابياً بعض مياههم فخطبهم يوم الجمعة فحمد الله واثنى عليه . ثم قال اما بعد فان الدنيا دار بلاغ . والآخرة دار قرار . فخذوا من ممركم لمقركم . ولا تهتكوا استاركم . عند من يعلم اسراركم . واخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل ان تخرج منها ابدانكم . ففيها حييتم ولغيرها خلقتم . ان الرجل اذا هلك . قال الناس ماترك وقالت الملائكة ماقدم فلله اباؤكم قدموا بعضا . يكن لكم قرضا . ولا تخلفوا كلا . اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم «وروى ابو بكر» قال حدثنا ابو عثمان عن الثورى عن ابى عبيدة . قال قعد المأمور الحارثى فى نادى قومه فنظر الى السماء والنجوم ثم فكر طويلا ثم قال ارعونى اسماعكم واصغوا الىّ قلوبكم يبلغ الوعظ منها حيث اريد . طمع بالاهوآء الاشر . وران على قلوبكم الكدر . وطخطخ الجهل النظر . ان فيما يرى لمعتبر لمن اعتبر . ارض موضوعة . وسماء مرفوعة . وشمس تطلع وتغرب . ونجوم تسرى فتعزب . وقمر تطلعه النحور . وتمحقه ادبار الشهور . وعاجز مثر . وقول مكدر . وشاب محتضر . ومن قد غبر . وراتحون لايؤبون . وموقوفون

لايوطون . ومطر يرسل بقدر. فيحيي البقر . ويورق الشجر . ويطلع الثمر . وينبت الزهر . وما يتفجر من الصخر الاير . فيتصدع المدر . عن افنان الخضر . فيحيي الانام . ويشبع السوام . وتمر الانعام . ان فى ذلك لاوضح الدلائل على المدبر المقدر. البارئ المصور. ياايها العقول النافرة . والقلوب النايرة انى تؤفكون . وعن اى سبيل تعمهون . وفى اى حيرة تهيمون . والى اى غاية توفضون . لوكشفت الاغطية عن القلوب . وتجلت الغشاوة عن العيون . لصرح الشك عن اليقين . وافاق من نشوة الجهالة . من استولت عليه الضلالة . وما ذكرناه من بديع الخطب . ومستحسن كلام العرب . وان كان قطرة من مستعذب بحر . ودرة فريدة من عقد نحر . فهو كاف فى هذا المقام . وكافل باداء المقصود والمرام .

(ومن علومهم علم الانساب)

وهو علم يتعرف به انساب الناس . والعرب فى الجاهلية كان لهم مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته فانه احد اسباب الالفة والتناصر وهم كانوا احوج شئ الى ذلك . حيث كانوا قبائل متفرقين . واحزابا مختلفين . لم تزل نيران الحروب متسعرة بينهم والغارات ثائرة فيهم فانهم امتنعوا عن سلطان يقهرهم ويكف الاذى عنهم فحفظوا انسابهم ليكونوا متظافرين به على خصومهم . ومتناصرين على من شاققهم وعاداهم لان تعاطف الارحام وحمية الاقارب يبعثان على التناصر

والالفة. ويمنعان من التخاذل والفرقة. انفة من استعلاء الاباعد على الاقارب . وتوقياً من تسلط الغرباء الاجانب. وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان الرحم اذا تماست تعاطفت وقد بلغت العرب بالفة الانساب تناصرها على القوى وتأيدت به. واستحكمت به ركن مجدها العلى . وقد اعذر نبى الله لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث اليهم لوان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد يعنى عشيرة مانعة . وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مابعث الله تعالى من بعده نبياً الافى ثروة من قومه وقال وهب لقد وردت الرسل على لوط وقالوا ان ركنك لشديد . وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان لايترك المرء مفرجا حتى يضمه الى قبيلة يكون منها . وكل ذلك حث منه صلى الله تعالى عليه وسلم على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كثر سواد قوم فهو منهم . واذا كان النسب بهذه المنزلة من الالفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المنافية لها. فلزم ان نصف حال الانساب. وما يعرض لها من الاسباب. فجملة الانساب انها تنقسم الى ثلاثة اقسام . قسم والدون . وقسم مولودون . وقسم مناسبون . ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض يطرا فيبعث على العقوق والقطيعة .فاما الوالدون فهم الآباء والامهات والاجداد والجدات وهم موسومون مع سلامة احوالهم

بخلقين . احدهما لازم بالطبع . والثانى حادث باكتساب . فاما ماكان لازما بالطبع فهو الحذر والاشفاق وذلك لاينتقل عن الوالد بحال وقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الولد مبخلة مجهلة مجبنة محزنة فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف ويحدث هذه الاخلاق . وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التى لايقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعاً . وحدوثها حتماً . وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام مابالك تكره الولد فقال مالى وللولد انعاش كدنى وان مات هدنى . وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام الا تتزوج فقال انما يحب التكاثر فى دار البقاء . واما ماكان حادثا بالاكتساب فهى المحبة التى تنمى مع الاوقات. وتتغير مع تغير الحالات. وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الولد انوط يعنى ان حبه يلتصق بنياط القلب . وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لكل شئ ثمرة وثمرة القلب الولد فان انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك ابغض منه ولكن لسلوة حدثت عن عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذى لايزول عنه ولا ينتقل منه . فقد قال محمد بن على رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى رضى الآباء للابناء فحذرهم فتنتهم ولم يوصهم بهم ولم يرض الابناء للاباء فاوصاهم بهم . وان شر الابناء من دعاه التقصير الى العقوق وشر الآباء من دعاه البر الى الافراط . والامهات اكثر اشفاقا واوفر حباً لما باشرن

من الولادة وعاين من التربية . فانهن ارق قلوبا والين نفوساً وبحسب ذلك وجب ان يكون التعطف عليهن اوفر جزآء لفعلهن وكفاء لحقهن وان كان الله تعالى قد اشرك بينهما فى البر وجمع بينهما فى الوصية . فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسناً . وقد روى ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان لى اماً انا مطيعها اقعدها على ظهرى ولا اصرف عنها وجهى وارد اليها كسبى فهل جزيتها قال لا ولا بزفرة واحدة . قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهى تحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها . وقال الحسن البصرى حق الوالد اعظم . وبر الوالد الزم . وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال انهاكم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات . وروى خالد بن معدان عن المقدام قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب . واما المولودون فهم الاولاد واولاد الاولاد . والعرب تسمى ولد الولد الصفوة وهم مختصون مع سلامة احوالهم بخالقين احدهما لازم والاخر متنقل . فاما اللازم فهو الانفة للاباء من تهضم او خمول والانفة فى الابناء فى مقابلة الاشفاق فى الاباء . وقد لحظ ابو تمام الطائى هذا المعنى بقوله .

فاصبحت يلقانى الزمان لاجله * باعظام مولود واشفاق والد

فاما المتنقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال فى الابناء فى مقابلة المحبة فى الاباء لان المحبة بالاباء اخص . والادلال فى الابناء امس .

وقد روى عن عمر انه قال قلت يارسول الله مابالنا نرق على اولادنا ولا يرقون علينا قال لانا ولدناهم ولم يلدونا ثم الادلال فى الابناء قد ينتقل مع الكبر الى احد امرين اما البر والاعظام . واما الى الجفاء والعقوق . فان كان الولد رشيداً اوكان الاب براً عطوفا صار الادلال براً واعظاما . وقد روى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله ان حق الوالد على الولد ان يخشع له عند الغضب . ويؤثره على نفسه عند النصب والسغب . فان المكافى ليس بالواصل ولكن الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها . وان كان الولد غاويا . اوكان الوالد جافيا . صار الادلال قطيعة وعقوقا . ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله امرأ اعان ولده على بره . وبشر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بمولود فقال ريحانة اشمها ثم هو عن قريب ولد بار . اوعدو ضار . واما المناسبون فهم من عدا الاباء والابناء ممن يرجع بتعصيب اورحم . والذى يختصون به الحمية الباعثة على النصرة وهى ادنى رتبة الانفة لان الانفة تمنع من التهضم وليس لها فى كراهة الخمول نصيب الا ان يقترن بها مايبعث على الالفة وحمية المناسبين انما تدعو الى النصرة على البعداء والاجانب . وهى معرضة لحسد الادانى والاقارب . موكولة الى منافسة الصاحب بالصاحب فان حرست بالتواصل والتلاطف تأكدت اسبابها. واقترن بحمية النسب مصافاة المودة. وذلك اوكد اسباب الالفة . وقد قيل

لبعض قريش ايما احب اليك اخوك اوصديقك قال اخى اذا كان صديقاً . وقال مسلمة بن عبد الملك العيش فى ثلاث سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل. وقال بعض اهل العلم البعيد قريب بمودته . والقريب بعيد بعداوته. وان اهملت الحال بين المتناسبين ثقة بلحمة النسب واعتماداً على حمية القرابة غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسبة عداوة والقرابة بعدا . وقال الكندى فى بعض رسائله الاب رب والولد كمد والاخ فخ والعم غم والخال وبال والاقارب عقارب . وقال ابن المعتز فى معنى ذلك .

لحومهم لحمى وهم يأكلونه * وما داهيات المرء الا اقاربه

ومن اجل ذلك امر الله تعالى بصلة الارحام واثنى على واصلها . فقال تعالى والذين يصلون ماامر الله ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . قال المفسرون هى الرحم التى امر الله بوصلها ويخشون ربهم فى قطعها ويخافون سوء الحساب فى المعاقبة عليها . وروى عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهى الرحم اشتققت لها من اسمى اسماً فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال صلة الرحم منماة للعدد مثرة للمال محبة فى الاهل منساة فى الاجل . وقال الازدى .

وحسبك من ذل وسوء صنيعة * مناواة ذى القربى وان قيل قاطع

ولكن اواسيه وانسى ذنوبه * لترجعه يوما الى الرواجع
ولا يستوى فى الحكم عبدان واصل * وعبد لارحام القرابة قاطع

والمقصود ان اعتناء العرب بحفظ الانساب لما يترتب عليه من مقاصدهم التى ذكرناها والشريعة اكدت ما كانوا عليه وندبت بنصوصها اليه خلافا لمن زعم ان علم النسب علم لاينفع وجهل لايضر . وقد رد ابن حزم فى مقدمة كتاب النسب على من زعم ذلك بان فى علم النسب ماهو فرض على كل احد وما هو فرض على الكفاية وما هو مستحب قال فمن ذلك ان يعلم ان محمداً رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ابن عبدالله الهاشمى فمن زعم انه لم يكن هاشمياً فهو كافر. وان يعلم ان الخليفة من قريش. وان يعرف من يلقاه بنسب فى رحم محرمة ليجتنب تزويج مايحرم عليه منهم. وان يعرف من يتصل به ممن يرثه او يجب عليه بره من صلة اونفقة اومعاونة . وان يعرف امهات المؤمنين وان نكاحهن حرام على المؤمنين . وان يعرف الصحابة وان حبهم مطلوب. وان يعرف الانصار ليحسن اليهم لثبوت الوصية بذلك . ولان حبهم ايمان وبغضهم نفاق . قال ومن الفقهاء من يفرق فى الجزية وفى الاسترقاق بين العرب والعجم فحاجته الى علم النسب آكد وكذا من يفرق بين نصارى بنى تغلب وغيرهم فى الجزية وتضعيف الصدقة . قال وما فرض عمر رضى الله تعالى عنه الديوان الاعلى القبائل . ولولا علم النسب ماتخلص له ذلك وقد تبعه على ذلك عثمان وعلى وغيرهما .

وقال ابن عبد البر فى اول كتابه النسب ولعمرى لم ينصف من زعم ان علم النسب علم لاينفع وجهل لايضر . وقال صاحب كتاب نهاية الارب . فى معرفة قبائل العرب . لاخفاء ان المعرفة بعلم الانساب من الامور المطلوبه . والمعارف المندوبه . لما يترتب عليها من الاحكام الشرعية . والمعالم الدينية . فقد وردت الشريعة المطهرة باعتبارها فى مواضع . منها العلم بنسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه النبى القرشى الهاشمى الذى كان بمكة وهاجر منها الى المدينة المنورة فانه لابد لصحة الايمان من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم فى الجهل به وناهيك بذلك . ومنها التعارف بين الناس حتى لايعتزى احد الى غير آبائه. ولا ينتسب الى سوى اجداده . والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وعلى هذا يترتب احكام الورثة فيحجب بعضهم بعضا واحكام الاولياء فى النكاح فيقدم بعضهم على بعض واحكام الوقف اذا خص الواقف بعض الاقارب او بعض الطبقات دون بعض واحكام العاقلة فى الدية حتى يضرب الدية على بعض العصبات وما يجرى مجرى ذلك فلولا معرفة الانساب لفات ادراك هذه الامور وتعذر الوصول اليها . ومنها اعتبار النسب فى كفاء الزوج والزوجة فى النكاح ففى مذهب الامام الشافعى لايكافى الهاشمية والمطلبية غيرهما من قريش . ولا يكافى القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشى وفى الكنانية وجهان

اصحهما ان لايكافيها غيرها ممن ليس بكناني ولا قرشي . وفي اعتبار النسب في العجمي ايضاً وجهان اصحهما الاعتبار . وفي مذهب الامام ابي حنيفة قريش بعضهم اكفاء بعض وبقية العرب بعضهم اكفاء بعض . واما في العجم فلا يعتبر النسب عندهم فاذا لم يعرف النسب تعذرت معرفة هذه الاحكام . ومنها مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لدينها وحسبها ومالها وجمالها . فراعى صلى الله تعالى عليه وسلم في المرأة المنكوحة الحسب وهو الشرف في الاباء . الى غير ذلك من الاحكام الجارية هذا المجرى .

﴿ طبقات الانساب ﴾

قال الامام الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية وقد رتبت انساب العرب ست مراتب فجعلت طبقات انسابهم وهي شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة . فالشعب النسب الابعد مثل عدنان وقحطان سمي شعباً لان القبائل منه تشعبت . ثم القبيلة وهي ماانقسمت فيها انساب الشعب مثل ربيعة ومضر سميت قبيلة لتقابل الانساب فيها . ثم العمارة وهي ماانقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ثم البطن وهو ماانقسمت فيه انساب العمارة مثل بني عبد مناف وبني مخزوم . ثم الفخذ وهو ماانقسمت فيه انساب البطن مثل بني هاشم وبني امية . ثم الفصيلة وهي ماانقسمت فيه

انساب الفخذ مثل بنى ابى طالب وبنى العباس . فالفخذ يجمع الفصائل والبطن يجمع الافخاذ والعمارة تجمع البطون والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل . واذا تباعدت الانساب صارت القبائل شعوبا والعمائر قبائل انتهى . وقد قسمها الزبير بن بكار فى كتاب النسب الى شعب ثم قبيلة ثم عمارة بكسر العين ثم بطن ثم فخذ ثم فصيلة وزاد غيره قبل الشعب الجذم وبعد الفصيلة العشيرة . ومنهم من زاد بعد العشيرة الاسرة ثم العترة . فمثال الجذم عدنان ومثال الشعب مضر ومثال القبيلة كنانة ومثال العمارة قريش وامثلة مادون ذلك لاتخفى . قال ويقع فى عباراتهم اشياء مرادفة لما تقدم كقولهم حى وبيت وعقيلة وارومة وجرثومة ورهط وغير ذلك . ورتبها محمد بن اسعد النسابة المعروف بالحرانى جمعها واردفها فقال جذم ثم جمهور ثم شعب ثم قبيلة ثم عمارة ثم بطن ثم فخذ ثم عشيرة ثم فصيلة ثم رهط ثم اسرة ثم عترة ثم ذرية . وزاد غيره فى اثنائها ثلاثة وهى بيت وحى وجماع فزادت على ماذكر الزبير عشرة . وقال ابو اسحق الزجاج القبائل للعرب كالاسباط لبنى اسرائيل ومعنى القبيلة الجماعة ويقال لكل ماجمع على شئ واحد قبيلة اخذا من قبائل الشجرة وهو غصونها او من قبائل الرأس وهو اعضاؤها سميت بذلك لاجتماعها والمراد بالشعوب فى الاية النسب البعيد . وهو قول مجاهد اخرجه الطبرى عنه وذكر ابو عبيدة . مثال الشعب مضر وربيعة ومثال القبيلة

من دون ذلك . وانشد لعمرو بن احمر .

من شعب همدان اوسعد العشيرة او * خولان اومذحج هاجوا له طربا

ويقال المراد بالشعوب فى الاية بطون العجم وبالقبائل بطون العرب والله اعلم. وترتيب الامام الماوردى هو الاولى بالاعتبار. وكأن العرب رتبوا ذلك على بنية الانسان فجعلوا الشعب منها بمثابة اعلى الرأس والقبائل بمثابة قبائل الرأس وهى القطع المشعوب بعضها الى بعض يتصل بها الشؤن وهى القنوات التى فى القحف لجريان الدمع . وقدذكر الجوهرى ان قبائل العرب انما سميت بقبائل الرأس وجعلوا العمارة تلو ذلك اقامة للشعب والقبيلة مقام الاساس من البناء وبعد الاساس تكون العمارة وهى بمثابة العنق والصدر من الانسان وجعلوا البطن تلو العمارة لانها الموجود من البدن بعد العنق والصدر وجعلوا الفخذ تلو البطن لان الفخذ من الانسان بعد البطن وجعلوا الفصيلة تلو الفخذ لانها النسب الادنى الذى ينفصل عنه الرجل بمثابة الساق والقدم اذا المراد بالفصيلة العشيرة الادنون بدليل قوله تعالى وفصيلته التى تؤويه اى تضمه اليها ولا يضم الرجل الا اقرب عشيرته . واعلم ان اكثر مايدور على الالسنة من الطبقات الست المتقدمة القبيلة ثم البطن وقل ان تذكر العمارة ثم الفخذ والفصيلة وربما عبر عن كل واحد من الطبقات الست بالحى . اما على العموم مثل ان يقال حى من العرب واما على الخصوص مثل ان يقال حى من بنى فلان . ثم ان ترتيب

العرب فى الديوان اذا أبتوا فيه كالترتيب الذى فعله عمر رضى الله تعالى عنه حين دونهم فانهم تجمعهم انساب وتفرق بينهم انساب . فترتيت قبائلهم بالقربى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبدأ بالترتيب فى اصل النسب ثم بما تفرع عنه . فالعرب عدنان وقحطان فقدم عدنان على قحطان لان النبوة فيهم . وعدنان تجمع ربيعة ومضر فقدم مضر على ربيعة لان النبوة فيهم . ومضر تجمع قريشاً وغير قريش فقدم قريشاً لان النبوة فيهم . وقريش تجمع بنى هاشم وغيرهم فقدم بنى هاشم لان النبوة فيهم . فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ثم بمن يليهم من اقرب الانساب اليهم حتى استوعب قريشاً . ثم بمن يليهم فى النسب حتى استوعب جميع عدنان . والله يختص بفضله من يشاء .

﴿ ما يجب للناظر فى علم الانساب ﴾

لابد للناظر فى علم الانساب من امور « منها » ماذكره الجوهرى ان القبيلة هى بنو اب واحد . وقال ابن حزم جميع قبائل العرب راجعة الى اب واحد سوى ثلاث قبائل وهى تنوخ والعتق وغسان فان كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون . نعم الاب الواحد قد يكون ابا لعدة بطون . ثم ابو القبيلة قد يكون له عدة اولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة او قبائل فينسب اليه من هو منهم ويبقى بعضهم بلا ولد او يولد له ولم يشتهر ولده فينسب الى القبيلة الاولى « ومنها » اذا اشتمل النسب على طبقة فاكثر كهاشم وقريش ومضر وعدنان جاز لمن فى الدرجة

الاخيرة من النسب ان ينتسب الى الجميع فيجوز لبنى هاشم ان ينتسبوا الى هاشم والى قريش والى مضر والى عدنان . فيقال فى احدهم الهاشمى والقرشى والمضرى والعدنانى . بل قد قال الجوهرى ان النسبة الى الاعلى مغن عن النسبة الى الاسفل فاذا قلت فى النسبة الى كلب بن وبرة الكلبى استغنيت عن ان تنسبه الى شئ من اصوله . وذكر غيره انه يجوز الجمع فى النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل ان يقال الاموى العثمانى وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال العثمانى الاموى « ومنها » ان الرجل قد ينضم الى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينسب اليهم فيقال فلان حليف بنى فلان اومولاهم ومنها ان الرجل اذا كان من قبيلة ثم دخل فى قبيلة اخرى جاز ان ينسب الى قبيلته الاولى وان ينسب الى القبيلة التى دخل فيها وان ينسب الى القبيلتين جميعاً مثل ان يقال التميمى ثم الوائلى اوالوائلى ثم التميمى وما اشبه ذلك « ومنها » ان القبائل فى الغالب تسمى باسم الاب الوالد للقبيلة كربيعة ومضر والاوس والخزرج ونحو ذلك . وقد تسمى القبيلة باسم ام القبيلة كخندف وبجيلة ونحوها . وقد تسمى باسم حاضنه ونحوها وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان فانهم نزلوا على ماء يسمى غسان فسموا به . وربما وقع اللقب الواحد عليه فسموا به وقيل غير ذلك مما هو مذكور فى كتب الانساب « ومنها » اذا كان فى القبيلة اسمان متفقان كالحارث والحارث مثلاً واحدهما من ولد

الاخر وبعده فى الوجود عبروا عن الوالد السابق منهما بالاكبر وعن اللاحق بالاصغر .

(مذهب العرب فى اسماء القبائل)

اسماء القبائل فى اصطلاح العرب على خمسة اوجه (الاول) ان يطلق على القبيلة لفظ الاب كعاد وثمود ومدين ومن شاكلهم وبذلك ورد القرأن كقوله تعالى والى عاد والى ثمود والى مدين يريد بنى عاد وبنى ثمود وبنى مدين ونحو ذلك . واكثر مايكون ذلك فى الشعوب والقبائل العظام لاسيا فى الازمان المتقدمة . بخلاف البطون والافخاذ ونحوها (الوجه الثانى) ان يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال بنو فلان واكثر مايكون ذلك فى البطون والافخاذ والقبائل الصغار لاسيا فى الازمان المتأخرة (الوجه الثالث) ان ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الالف واللام كالطالبيين والجعافرة ونحوها واكثر مايكون ذلك فى المتأخرين دون غيرهم (الوجه الرابع) ان يعبر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وآل على وما اشبه ذلك واكثر مايكون هذا فى الازمنة المتأخرة لاسيا عرب الشام (الوجه الخامس) ان يعبر عنها باولاد فلان ولا يوجد ذلك الا فى المتأخرين من افخاذ العرب على قلة .

(مذهب العرب فى التسمية والكنى)

الغالب على العرب تسمية ابنائهم بمكروه الاسماء ككلب وحنظلة

وضرار وحرب وما اشبه ذلك . وتسمية عبيدهم بمحبوب الاسماء كفلاح ونجاح ونحوها . والسبب فى ذلك مايحكى انه قيل لابى الدقيس الكلابى لم تسمون ابناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب . وعبيدكم باحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح . فقال انما نسمى ابناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا . يريد ان الابناء معدة للاعدآء . فاختاروا لهم شر الاسماء والعبيد معدة لانفسهم فاختاروا لهم خير الاسماء . كذا فى كتاب نهاية الارب . وقال الحافظ ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة كانت للعرب مذاهب فى تسمية اولادهم . فمنهم من سمى تفؤلا بالظفر على اعدائهم نحو غالب وغلاب ومالك وظالم وغارم ومنازل ومقاتل ومعارك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق . ومنهم من تفأل بنيل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد واسعد ومسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك . ومنهم من قصد التسمية بما غلظ وخشن من الاجسام تفؤلا بالقوة كحجر وصخر وفهر وجندل . ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمى ماتلده باسم اول مايلقاه كائناً ما كان من سبع اوثعلب اوضب اوظبي اوكلب اوحشيش اونحو ذلك . وكان القوم على ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام انتهى . وغالب اسماء العرب كما فى النهاية منقولة عما يدور فى خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه . اما من الحيوان كاسد ونمر . واما من النبات كنبت وحنظلة . واما من الحشرات كحية وحنش . واما من اجزآء الارض

كفهر وصخر ونحو ذلك . ورأيت في سبب تسمية الموضع الذي قتل فيه الزبير بن العوام بوادي السباع وهو من نواحي الكوفة بين البصرة ومكة . ان اسماء بنت دريم بن القين بن اهوز بن بهرآء كان يقال لها ام الاسبع وولدها بنو وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة يقال لهم السباع . وهم كلب واسد والذئب والفهد والثعلب وسرحان ونزك بفتح النون وسكون الزاى وهو الحريش ويقال له الكركدن له قرن واحد يحمل الفيل على قرنه على ماقيل وجشم وهو الضبع والفزر وهو البير نوع من الضباع دون جرم الفهد الا انه اشد واجرأ منه وعنزة وهي دابة طويلة الخطم تعد من رؤس السباع تأتي الناقة فتدخل خطمها في حيائها وتأكل مافي بطنها . وتأتي البعير فتتملخ عينيه . وهر وضبع والسمع بالكسر وهو ولد الذئب من الضبع وديسم وهو الثعلب وقيل ولد الذئب ونمس وهو دويبة فوق ابن عرس يأكل اللحم وهو اسود ملمع ببياض والعقر جنس من البر وسيد والدلدل والظربان دويبة منتنة الفساء ووعوع وهو ابن اوى الضخم . وكانت تنزل مع اولادها بهذا الوادي فسمى وادي السباع باولادها تغليباً . فان السباع جمع سبع . وهو يقال على ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها مثل الاسد والذئب والنمر والفهد . فاما الثعلب فانه وان كان له ناب فانه ليس بسبع لانه لاعدوان له وكذلك الضبع . قال ابن حبيب من وائل

ابن قاسط باسماء هذه ام ولد وبرة وكانت امرأة جميلة وبنوها يرعون حولها فهم بها فقالت له لعلك اسررت فى نفسك منى شيئاً فقال اجل فقالت لئن لم تنته لاستصرخن عليك اسبعى فقال والله ماارى بالوادى احداً فقالت لو دعوت سباعه لمنعتنى منك واعانتنى عليك فقال اوتفهم السباع عنك قالت نعم . ثم رفعت صوتها ياكلب ياذئب يافهد يادب ياسرحان يااسد فجاؤا يتعادون ويقولون ماخبرك ياأماه قالت ضيفكم هذا احسنوا قراه ولم تر ان تفضح نفسها عند بنيها فذبحوا له واطعموه فقال وائل ماهذا الا وادى السباع فسمى بذلك انتهى . وقد ذكرت هذه القصة ايضاً فى القاموس مع اختصار . ومنهم من كان يسمى بعبد العزى وعبد ود وعبد مناة ونحو ذلك مما فيه اضافة العبودية لاحد اصنامهم . ومنهم من كان يسمى ببيت شعر ونحوه مما يطول ذكره (واما الكنى) فقد وقعت فى كلامهم قديماً وحديثاً وكانت العرب تقصد بها التعظيم فان بعض النفوس تأنف ان تخاطب باسمها ولذلك يجاء بها للانسان فى مقام الاكرام والاحترام كما يشير الى ذلك قول الشاعر .

اكنيه حين اناديه لاكرمه * ولا القبه والسوءة اللقبا

واصل الكنية من الكناية وهو ان تتكلم بالشئ وتريد به غيره ويقال كنيت وكنوت بكذا وعن كذا كنية وكنية والجمع الكنى واكتنى فلان بكذا ويكنى بكذا وكنيته اباكذا وبابى كذا وجاء التخفيف والتثقيل والتخفيف اكثر وفلان كنى فلان اذا شاركه فى الكنية كما يقال سميه

اذا شاركه في الاسم (وسبب الكنى في العرب) ان ملكا من ملوكهم الاول ولد له ولد توسم فيه امارات النجابة فشغف به فلما نشأ وترعرع وصلح لان يؤدب ادب الملوك احب ان يفرد له موضعاً بعيداً من العمارة يكون فيه مقيماً يتخلق باخلاق مؤدبيه ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه فبنى له في البرية منزلا ونقله اليه ورتب له من يؤدبه بانواع الاداب العلمية والملكية . واقام له ما يحتاج اليه من امر دنياه ثم اضاف اليه من هو من اقرانه واضرابه من اولاد بني عمه وامرائه ليونسوه ويتأدبوا بادابه ويحببوا له التأدب بموافقتهم له عليه وكان الملك في رأس كل سنة يمضي الى ولده ويستصحب معه من اصحابه من له ولد عند ولده ليبصروا اولادهم. فكانوا اذا وصلوا اليهم سأل ابن الملك عن اولئك الذين جاؤا مع ابيه ليعرفهم باعيانهم فيقال له هذا ابو فلان وهذا ابو فلان يعنون اباء الصبيان الذين هم عنده فكان يعرفهم باضافتهم الى ابنائهم فمن هنالك ظهرت الكنى في العرب . ثم انتشرت واتسعت حتى صاروا يكنون كل انسان باسم ابنه. ثم اتسع الامر فصاروا يكنون من لم يكن له ابن وكان له بنت ببنته كما قيل لمسروق بن الاجدع ابو عائشة ومن لم يكن له ابن ولا بنت يكنونه باقرب الناس اليه . كما كنى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن الزبير وهو صبي بابي بكر وهو جد لامه اسماء . ثم لما ولد له ولد سماه خبيبا وتكنى به فصار له كنيتان وجروا في كنى النساء بالامهات هذا المجرى فقالوا ام سلمة

وام زينب فى الكنى بالاولاد . وام عبد الله فى كنية عائشة رضى الله تعالى عنها يعنون عبد الله بن الزبير وهو ابن اختها اسماء حيث لم يكن لها ولد. ثم لما شارك الناس فى الولادة باقى الحيوانات كنوا ماكنوا منها بالاباء والامهات كابى معاوية لابن آوى وام عامر للضبع واجروها فى ذلك مجرى الاناسى. وكذلك فعلوا فى اضافة الابناء والبنات اكراما واحتراما لهم باضافتهم الى آبائهم مع ترك اسمائهم فقالوا ابن عباس وابن عمر . وكانوا يقولون للحسين ابن بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة له بامه واجروا غير الاناسى مجراها فى ذلك فقالوا ابن قترة للحية وبنت حذف لضرب من غنم الحجاز . ولما توسعوا فى اجراء الحيوانات العجم مجرى الناس فى الكنى والابناء حملوا عليها بعض الجمادات فاجروها مجراها. فقالوا ابا جابر للخبز وام قار للداهية وابن ذكاء للصبح وبنت الارض للحصاة . ثم انهم لم يجروه على سنن واحد فكنوا بالاباء مذكراً على الاصل فقالوا للذئب ابو جعدة وللنمر ابو جهل . وكنوا بها مؤنثاً من الجمادات فقالوا للنار ابو سريع وابو حباحب وكذلك فى الامهات فقالوا للقوس ام السهام وللجبل معروف ام سخل وجروا فى البنين والبنات هذا المجرى فقالوا للغراب ابن داية وللطائر معروف بنت الماء . وقد جروا فى الاسماء والكنى على قسمين معتاد ونادر فمن المعتاد الكنية بالاولاد والنادر كابى تراب لعلى كرم الله تعالى وجهه واستعملوها ايضاً فى ذى وذات . فمن المعتاد ذوالجلال

وذات البروج . ومن النادر ذو النون وذات النطاقين . ومن الكنى والابناء ماجعل علماً للمسمى لالمعنى فيه ومنها ماجعل صفة لمعنى فيه . وينقسم ماسموه من هذه الاسماء والكنايات والاضافات الى ثلاثة اقسام . الاول مايلزم ال كابى الحارث للاسد وابى الحصين للثعلب . والثانى مالا تدخله ال كابى جعدة وام عامر وابن داية وبنت طبق للحية . والثالث مايجوز ادخال ال فيه واسقاطها كابى مضاء للفرس وام رئال للنعامة وابن ماء لطير الماء . وقد اتسعوا فى الام اكثر من اتساعهم فى الاب . واتسعوا فى الابن والبنت اكثر من اتساعهم فى الام حتى قالوا للقصيدة من الشعر هى ابنة ليلها وفلان ابن بطنه وابن فرجه اذا كان همه فيهما وابن يومه اى لا يتفكر فى غده . وقالوا هؤلاء ابناء فارس والروم وابناء مكة وخراسان ولم يستعملوا هذا فى الاباء والامهات ولم يقصروا هذا التوسع فى هذه الاسماء خاصة بل اجروه فى غيرها . فقالوا لمن صاحب شيئاً اوعاناه اواكثر من استعماله هو اخوه واخته . ومن ذلك قول الشاعر .

اخا الحرب لباساً اليها جلالها * وليس بولاج الخوالف اعزلا

وقول ابى الاسود الدئلى فى الخمر والنبيذ .

فالا يكنها اوتكنه فانه * اخوها غذته امه بلبانها

ومن الاشخاص من له اسم ولا كنية له وهو الاكثر ومن له اسم وكنية وهو دون الاول فى الكثرة . ومن يكون له علم وكنية واسم جنس كاسامة وابى الحارث والاسد . ومن له كنية وليس له اسم غيرها

كابى براقش لحيوان معروف وام رباح بالباء الموحدة لطائر اغبر احمر الجناحين والظهر ياكل العنب . ومن له كنيتان فى حالين كعامر بن الطفيل كان يكنى فى السلم بابى على وفى الحرب بابى عقيل . ومن يكون له كنيتان اواكثر فى حالة واحدة وهو كثير . وقد الف الامام الثعالبى كتابا حافلا فى الكنى ومابنا سبها وهو كتاب جليل والله الموفق

(من اشتهر من العرب فى معرفة النسب)

كانت العرب لمزيد اعتنائها بحفظ الانساب اكثر الناس معرفة بها ولم تخل قبيلة من قبائلهم من نسابة يلحق الفروع باوصولها وينفى عنها من ليس منها حتى كادوا يكونون جيعاً على هذه الصفة واستيعاب ذكرهم فى هذا المقام مما لايمكن غير انا نذكر من ضرب به المثل فى هذا الباب .

(منهم دغفل بن حنظلة السدوسى من بنى شيبان)

فمن امثالهم فلان انسب من دغفل وهو رجل من بنى ذهل ابن ثعلبة بن عكابة كان اعلم اهل زمانه بالانساب زعموا ان معاوية سأله عن اشياء فخبره بها فقال بم علمت قال بلسان سؤل . وقلب عقول . على ان للعلم آفة واضاعة . ونكدا واستجاعة . فآفته النسيان واضاعته ان تحدث به من ليس باهله واستجاعته ان صاحبه منهوم لايشبع ونكده الكذب فيه . وقال القتبى هو دغفل بن حنظلة السدوسى ادرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ووفد على معاوية

وعنده قدامة بن جراد القريعى فنسبه دغفل حتى بلغ اباه الذى ولده فقال وولد جراد رجلين اما احدهما فشاعر سفيه والآخر ناسك فايهما انت قال انا الشاعر السفيه وقد اصبت فى نسبتى وكل امرى فاخبرنى بابى انت متى اموت قال دغفل اما هذا فليس عندى وقتلته الازارقة . قال الميدانى عند الكلام على قولهم ان البلاء موكل بالمنطق . روى عن المفضل ان اول من قال ذلك ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فيما ذكره ابن عباس قال حدثنى على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لما امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب وانا معه وابو بكر فدفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر وكان نسابة فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة . فقال امن هامتها ام من لهازمها قالوا من هامتها العظمى . قال فاى هامتها العظمى انتم قالوا ذهل الاكبر . قال افمنكم عوف الذى يقال له لاحر بوادى عوف قالوا لا . قال افمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا . قال افمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا . قال افمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها انفسها قالوا لا . قال افمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا . قال فمنكم اخوال الملوك من كندة قالوا لا . قال فمنكم اصهار الملوك من لخم قالوا لا . قال فلستم ذهلا الاكبر انتم ذهل الاصغر . فقام اليه غلام قد بقل وجهه . يقال له دغفل فقال .

ان على سائلنا ان نسأله * والعبءُ لاتعرفه او تحمله

ياهذا انك قدسألتنا فلم نكتمك شيئاً فمن الرجل قال رجل من قريش قال بخ بخ اهل الشرف والرياسة . فمن اى قريش انت قال من تيم ابن مرة . قال امكنت والله الرامى من صفا الثغرة . افنكم قصى ابن كلاب الذى جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعاً قال لا . قال افنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه . ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا . قال افنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء . الذى كان فى وجهه قمر يضيءُ فى ليل الظلام الداجى قال لا . قال افمن المفيضين بالناس انت قال لا . قال افمن اهل الندوة انت قال لا . قال افمن اهل الرفادة انت قال لا . قال افمن اهل الحجابة انت قال لا . قال افمن اهل السقاية انت قال لا . قال واجتذب ابو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . فقال دغفل .

صادف درء السيل درءاً يدفعه * يهيضه حيناً وحيناً يصدعه

اما والله يااخا قريش لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش ولست من الذوائب اوما انا بدغفل . قال فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . قال على رضى الله تعالى عنه قلت لابى بكر لقد وقعت من الاعرابى على باقعة قال اجل ان لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق .

وكان كان هذا الرجل مشاراً اليه بالبنان فى معرفة انساب العرب كذلك كان فى معرفة الانواء ورعي السماء وسائر علوم العرب واحوال القبائل

روى الهيثم بن عدى عن عوانة قال سأل زياد دغفلا عن العرب فقال الجاهلية ليمن والاسلام لمضر والفتنة لربيعة . قال فاخبرنى عن مضر قال فاخر بكنانة وكابر بتميم وحارب بقيس ففيها الفرسان والنجوم . واما اسد ففيها ذل وكيد . وقيل له ماتقول فى بنى عامر ابن صعصعة قال اعناق ظباء . واعجاز نساء . فما تقول فى بنى اسد قال عافة قافة فصحاء كافة . فما تقول فى بنى تميم قال حجر اخشن ان صادفته آذاك وان تركته اعفاك . فما تقول فى خزاعة قال جوع واحاديث . فما تقول فى اليمن قال سيود ايوك . قال نصر بن سيار

انا وهــذا الحى من يمن * عند الفخار اعزة اكفاء
قوم لهم فينـا دماء جمة * ولنـا لديهم اجنة ودماء
وربيعة الاذناب فيما بيننا * لاهم لنـا سلم ولا اعداء
ان ينصرونا الا نعز بنصرهم * او يخذلونا فالسمـاء سماء

وعن ابن الاعرابى قال بلغنى ان جماعة وقفوا على دغفل النسابة بعد ما كف فسلموا عليه. فقال من القوم فقالوا سادة اليمن. قال امن مجدها القديم وشرفها العميم كندة قالوا لا. قال فانتم الطوال قصبا الممحضون نسبا بنو عبدالمدان قالوا لا. قال فانتم اقودها للزحوف واخرقها للصفوف واضربها بالسيوف رهط عمرو بن معديكرب قالوا لا. قال فانتم احضرها قرى واطيشها قنى واشدها اتى رهط حاتم بن عبد الله الطائى قالوا لا. قال فانتم الغارسون للنخل والمطعمون

فى المحل والقائلون بالبدل الانصار قالوا نعم. فانظر الى هذه الفطنة والذكاء

(ومنهم ورقاء الاشعر)

كان ايضاً ممن يضرب به المثل فى معرفة انساب العرب فمن امثالهم انسب من ابن لسان الحمرة وهو احد بنى تيم اللات بن ثعلبة وكان من علماء زمانه واسمه ورقاء الاشعر ويكنى ابا الكلاب. قال الميدانى وكان انسب العرب واعظمهم كبرا . وفى القاموس وابن لسان الحمرة كسكرة خطيب بليغ نسابة اسمه عبد الله بن حصين او ورقاء بن الاشعر

(ومنهم زيد بن الكيس النمرى)

وهو من بنى عوف بن سعد بن تغلب بن وائل . قال فى القاموس كان نسابة . وقال ابو عبيدة ان زيد بن الكيس ممن يقارب دغفلا فى العلم بالانساب من العرب . وفيه وفى دغفل يقول مسكين بن عامر

فحكم دغفلا وارحل اليه * ولا تدع المطى من الكلال

او ابن الكيس النمرى زيداً * ولو امسى بمنخرق الشمال

(ومنهم النخار بن اوس بن الحارث بن سعد بن هذيم القضاعى)

كان هذا الرجل ايضاً من المقدمين فى علم النسب قال ابو عبيدة انه انسب العرب . وفى القاموس وشرحه وكشداد النخار بن اوس ابن ابير القضاعى انسب العرب وهو من ولد سعد هذيم ودخل على معاوية فازدراه وكان عليه عباءة فقال ان العباءة لا تكلمك انتهى . وروى عن ابى بكر بن دريد قال حدثنا ابو حاتم عن ابى عبيدة قال

كان ابو زرارة بجال بن حاجب العلقمي من ولد علقمة بن زرارة
خرج يريد بني شيبان بن علقمة حاجا فرأى حين شارف البلد شيخاً
بخفه ركب على ابل عتاق برحال ميس مادسة ادما قال فعدات وسلمت
عليهم وبدأت به فقلت من الرجل ومن القوم فازم القوم ينظرون
الشيخ هيبة له . فقال الشيخ رجل من مهرة بن جندان بن عمرو بن
الحاف بن قضاعة فقلت حياكم الله وانصرفت . فقال الشيخ قف ايها
الرجل نسبتنا فانتسبنا لك ثم انصرفت ولم تكلمنا . قال ابوبكر وروى
السكن بن سعد عن محمد بن عباد شاممتنا مشامة الذئب الغنم ثم انصرفت
قلت ماانكرت سوءاً ولكنني ظننتكم من عشيرتي فاناسبكم فانتسبتم
نسباً لااعرفه ولا اراه يعرفني . قال فامال الشيخ لثامه وحسر عمامته
وقال لعمري لئن كنت من جذم من اجذام العرب لاعرفنك قلت
فاني اكرم اجذامها . قال فان العرب بنيت على اربعة اركان ربيعة
ومضر واليمن وقضاعة فمن ايهم انت قلت من مضر . قال افمن
الارحاء انت ام من الفرسان فعلمت ان الارحاء خندف وان الفرسان
قيس . قلت من الارحاء . قال فانت اذاً من خندف . قلت اجل .
قال افمن الارنبة ام الجمجمة . فعلمت ان الارنبة مدركة وان الجمجمة
طابخة . فقلت من الجمجمة . قال فانت اذا من طابخة قلت اجل .
قال افمن الصميم انت ام من الوسيط . فعلمت ان الصميم تميم . وان
الوسيط الرباب قلت من الصميم قال فانت اذا من تميم . قلت اجل .

قال افمن الاحلين ام الاكرمين ام الاقلين . فعلمت ان الاحلين عمرو بن تميم . وان الاكرمين زيد مناة . وان الاقلين الحارث بن تميم . قلت من الاكرمين . قال فانت اذا من زيد مناة قلت اجل قال افمن الجدود . ام من النجور . ام من الثماد . فعلمت ان الجدود مالك وان النجور سعد . وان الثماد بنو امرئ القيس بن زيد مناة فقلت من الجدود . قال فانت اذا من بنى مالك . قلت اجل . قال افمن الذرى ام من الارداف فعلمت ان الذرى حنظلة وان الارداف ربيعة ومعاوية وهما الكردوسان قلت من الذرى قال فانت اذا من بنى حنظلة قلت اجل . قال افمن البدور انت ام من الفرسان ام من الجرائيم فعلمت ان الجرائيم البراجم وان الفرسان يربوع وان البدور مالك فقلت من البدور قال فانت اذا من بنى مالك بن حنظلة قلت اجل . قال من الارنبة انت ام من اللحيين ام من القفا . فعلمت ان الارنبة دارم وان اللحيين طهية والعدوية وان القفا ربيعة بن مالك بن حنظلة قلت من الارنبة قال فانت اذا من دارم . قلت اجل . قال افمن اللباب ام من الهضاب ام من الشهاب فعلمت ان اللباب عبد الله وان الهضاب مجاشع وان الشهاب نهشل قلت من اللباب قال فانت اذا من بنى عبد الله قلت اجل . قال افمن البيت ام من الزوافر . فعلمت ان البيت بنو زرارة وان الزوافر الاحلاف فقلت من البيت . قال فانت اذا من بنى زرارة قلت اجل . قال فان زرارة ولد عشرة حاجبا ولقيطا

وعلقمة ومعبدا وخزيمة ولبيدا وابا الحرث وعمرا وعبد مناة ومالكا
فمن ايهم انت قلت من بني علقمة قال فان علقمة ولد شيبان ولم يلد
غيره فتزوج شيبان ثلاث نسوة مهددبنت حمران بن بشر بن عمرو
ابن مرثد فولدت له يزيد . وتزوج عكيرشة بنت حاجب بن زرارة
ابن عدس فولدت له المأمور . وتزوج عمرة بنت بشر بن عمرو بن
معدس فولدت له المقعدة . فلايتهن انت قلت لمهدد . قال ياابن اخي
ماافترقت بعد مدركة الا كنت في افضلهما انت حتى زاحمك اخوالك
فانهما ان تلدني امهما احب الي من ان تلدني امك . ياابن اخي اتراني
عرفتك قلت اي وابيك اي معرفة . فلله تعالى در هذا النساية ومابلغه
من العلم ومعرفة الناس واحوالهم ولو كان ابا لهم لربما اختلف عليهم
احوال بعضهم وهم بهذا العدد الكثير . والجمع الغفير . ولكن
المواهب الالهية . والعنايات الربانية . اذا توفق لها احد سهلت
عليه صعاب الامور وبلغ مالم يبلغه الساعي وان استوعب بمساعه الدهور

(ومنهم صعصعة بن صوحان)

قدكان صعصعة هذا من المشاهير بمعرفة انساب العرب ومن
المقدمين بعلم احوال قومه في الجاهلية وقد ادرك الاسلام ففي كتاب
الامالي روى عن ابي بكر بسنده الى الشعبي قال دخل صعصعة بن
صوحان على معاوية اول مادخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه
فقال له معاوية ممن الرجل قال رجل من نزار قال وما نزار قال اذا

غزا احتوش واذا انصرف انكمش واذا لقى افترس قال فمن اى ولده انت قال من ربيعة قال وما ربيعة قال كان يغزو بالخيل ويغير بالليل ويجود بالنيل . قال فمن اى ولده انت قال من اسد قال وما اسد قال كان اذا طلب افصى واذا ادرك ارضى واذا اب انضى . قال فمن اى ولده انت قال من جديلة قال وما جديلة قال كان يطيل النجاد ويعيد الجياد . ويجيد الجلاد . قال فمن اى ولده انت قال من دعمى قال وما دعمى قال كان ناراً ساطعاً . وشراً قاطعاً . وخيراً نافعاً . قال فمن اى ولده انت قال من افصى . قال وما افصى قال كان ينزل القارات . ويكثر الغارات . ويحمى الجارات . قال فمن اى ولده انت قال من عبد القيس . قال وما عبد القيس قال ابطال ذادة . جحاجحة قادة . صناديد سادة . قال فمن اى ولده انت قال من افصى قال وما افصى قال كان ذارماح مشرعة . وقدور مترعة . وجفان مصرعة . قال فمن اى ولده انت قال من لكيز . قال وما لكيز قال كان يباشر القتال . ويعانق الابطال . ويبيد الاموال . قال فمن اى ولده انت قال من مالك . قال وما مالك . قال الهمام للهمام . والقمقام للقمقام . قال معاوية والله ماتركت لهذا الحى من قريش شيئاً . قال بلى قد تركت اكثره واكبره . قال وما هو قال تركت لهم الوبر والمدر . والابيض والاصفر . والصفا والمشعر . والقبة والمفخر . والسرير والمنبر . والملك الى المحشر . فقال اما والله لقد كان يسوئنى ان اراك

خطيباً . فقال وانا والله لقد كان يسوءنى ان اراك اميرا . ثم خرج فبعث اليه ورده ووصله واكرمه . ولصعصعة هذا اخبار كثيرة يطول ذكرها

(ومنهم عبدالله بن عبدالحجر بن عبد المدان)

وهو النسابة الشهير . وصاحب الفهم الغزير . روى عن ابى بكر قال اخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن العباس بن هشام قال سأل معاوية بعد الاستقامة عبد الله بن عبدالحجر بن عبد المدان وكان عبدالحجر وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه عبدالله فقال له كيف علمك بقومك قال كعلمى بنفسى . قال ما تقول فى مراد . قال مدركوا الاوتار . وحماة الذمار . ومحرروا الخطار . قال فما تقول فى النخع قال مانعوا السرب ومسعروا الحرب . وكاشفوا الكرب . قال فما تقول فى بنى الحارث بن كعب . قال فراجوا الاكاك . فرسان العراك . ولزاز العكاك . تراك تراك . قال فما تقول فى جعفى قال فرسان الصباح . معملوا السلاح . مبادوا الرياح . قال فما تقول فى سعد العشيرة . قال مانعوا الضيم . بانوا الريم . وسافروا الغيم . قال فما تقول فى بنى زبيد قال كماة انجاد سادة امجاد . يفرجون عن الكظيم وحماة الحريم . قال فما تقول فى صيدآء قال سمام الاعدآء . ومساعر الهيجاء . قال فما تقول فى رها . قال يلهبون عادية الفوارس . ويردون الموت ورد الخوامس . قال انت اعلم بقومك .

(ومن امثال العرب قولهم اسب من كثير)

انسب هنا من النسيب وهو ذكر الشاعر المرأة بالحسن والاخبار عن تصرف هواها به وليس هو الغزل وانما الغزل الاشتهار بمودات النساء والصبوة اليهن والنسيب ذكر ذلك والخبر عنه . وقولهم انسب من كثير اخذ من قول الشاعر .

وكأن قساً فى عكاظ يخطب * وابن المقفع فى اليتيمة يسهب
وكأن ليلى الاخيلية تندب * وكثير عزة يوم بين ينسب

قال الجمحى كان لكثير فى النسيب نصيب وافر وكان له من فنون الشعر ماليس لجميل واسمه بضم الكاف وفتح المثلثة وكسر الياء المشددة التحتية . وهو كثير بن عبد الرحمن ابن ابى جمعة بن الاسود بن عامر وقال اللخمى هو كثير ابن ابى جمعة . وكانت امه جمعة بنت الاشيم وكان الاشيم يكنى بابنته هذه فلذلك قيل كثير ابن ابى جمعة . وهو خزاعى وابو خزاعة الصلت بن النضر بن كنانة. وفى ذلك يقول كثير

اليس ابى بالنضر ام ليس والدى * لكل نجيب من خزاعة ازهرا

فحقق كثير انه من قريش وقيل انه ازدى من قحطان وهو شاعر حجازى من شعراء الدولة الاموية ويكنى ابا صخر واشتهر بكثير عزة وهى محبوبته وغالب شعره مشبب بها وهى كما قال ابن الكلبى عزة بنت حميل بضم المهملة بن حفص من بنى حاجب بن غفار وكنيتها ام عمرو الضمرية نسبة الى قبيلة ضمرة وكثيراً مايطلق عليها الحاجبية نسبة الى جدها الاعلى . كقوله من قصيدة .

خليلى ان الحاجبية طلحت * قلوصيكما وناقتى قدطلت

قال ابن قتيبة فى كتاب الشعراء بعثت عائشة بنت طلحة بن عبد الله الى كثير ياابن ابى جمعة ماالذى يدعوك الى ماتقول من الشعر فى عزة وليست على ماتصف من الجمال لوشئت صرفت ذلك الى من هو اولى به منها انا اومثلى وانما اردت تجربته بذلك فقال .

اذا وصلتنا خلة كى تزيلها * ابينا وقلنا الحاجبية اول

لها مهل لايستطاع دراكه * وسابقة لحب لاتتحول

سنوليك عرفاان اردت وصالنا * ونحن لتلك الحاجبية اوصل

فقالت والله لقد سميتنى لك خلة وما انا لك وعرضت على وصالك ومااريد هلا قلت كما قال جميل .

يارب عارضة علينا وصلها * بالجد تخلطه بقول الهازل

فاجبتها بالرفق بعد تستر * حبى بثينة عن وصالك شاغلى

لوكان فى قلبى كقدر قلامة * وصلتك كتبى اواتتك رسائلى

وروى القالى فى اماليه عن العتبى فقال دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها انت عزة كثير فقالت نعم قال لها اتروين قول كثير

وقد زعمت انى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لايتغير

قالت لااروى هذا ولكنى اروى قوله .

كأنى انادى صخرة حين اعرضت * من الصم لوتمشى بها العصم زلت

صفوحا فما تلقاك الابخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وروى ابن قتيبة فى كتاب الشعرآء ان عائشة بنت طلحة قالت لعزة ارأيت قول كثير .

قضى كل ذى دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

ماكان ذلك الدين قالت وعدته قبلة فحرجت منها فقالت اقضيها وعلى اثمها. وانما صغر اسمه لشدة قصره وحقارته قال الوقاصى رأيت كثيرا يطوف بالبيت فمن حدثك انه يزيد على ثلاثة اشبار فلا تصدقه . وهجاه الحر بن الكنانى بقوله .

قصير قميص فاحش عند بيته * يعض القراد باسته وهو قائم

وكانت وفاته فى خلافة يزيد بن عبد الملك بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلوة واكمل السلام . قال جويرة بن اسماء مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس فى يوم واحد فقال الناس اليوم مات افقه الناس واشعر الناس ولم يتخلف رجل ولا امرأة عن جنازتيهما وذلك فى سنة خمس اوسبع ومائة . وغلبت النساء على جنازة كثير . وقد اطنب الاصبهانى فى الاغانى فى ترجمته . والمقصود ان لفظ انسب فى المثل من النسيب لا من النسب . وكذلك قولهم انسب من قطاة هو من النسبة وذلك انها اذا صوتت فانها تنتسب لانها تصوت باسم نفسها فتقول قطا قطا . والقطاة طير معلوم . وهى مشهورة بسرعة الطيران والله اعلم

﴿ علم العرب بالاخبار ﴾

من تتبع شعر العرب واستقراه . ووقف على ماقالوه من مثل

واستقصاه . تبين له ما كان للعرب الاولين . من اليد الطولى والقدم الراسخة فى معرفة اخبار الامم الماضين . واخلاقهم وسيرهم . ودولهم وسياستهم . لاسيما شعرهم فهو سجل اخلاقهم . وخزانة معارفهم . ومستودع علومهم . وحافظ آدابهم . ومعدن اخبارهم . ومرجعهم عند اختلافهم فى الانساب والحروب . فلذلك قيل الشعر ديوان العرب . وعليه قول قائلهم .

الشعر يحفظ مااودى الزمان به * والشعر افخر مابنى عن الكرم
لولا مقــال زهير فى قصائده * ماكنت تعرف جوداً كان فى هرم

ومن شعرهم دون الناس ايامهم وحروبهم كابى عبيدة وابى الفرج الاصبهانى وغيرهما . ومن شعرهم الف ابو حاتم السجستانى كتاب المعمرين . ومن شعرهم الف من الف فى احوال شعرائهم المتقدمين ككتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة . ومن شعرهم الف من الف فى جزيرة العرب ووصف مافيها من البلاد والجبال والاودية والوهاد . ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة فى اخبار ملوكهم واحوالهم . ومن شعرهم اخذ ماالف فى الحيوان والنبات ككتاب الحيوان للجاحظ وكتاب النبات لابى حنيفة الدينورى . ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة فى احوالهم واديانهم وما كانوا عليه ايام جاهليتهم . ومن شعرهم ترجح القول بان ذا القرنين كان من العرب فقد اكثروا ذكره فى اشعارهم . قال اعشى بن ثعلبة .

والصعب ذوالقرنين امسى ثاويا * بالحنو فى جدث هنـاك مقيم

« وقال الربيع بن ضبيع »

والصعب ذوالقرنين عمر ملكه * الفين امسى بعد ذاك رميما

« وقال قس بن ساعدة »

والصعب ذوالقرنين اصبح ثاويا * باللحد بين ملاعب الارياح

« وقال تبع الحميرى »

قدكان ذوالقرنين قبلى مسلما * ملكا تدين له الملوك وتحشد

من بعده بلقيس كانت عمتى * ملكهم حتى اتاها الهدهد

وقال بعض الحارثيين يفتخر بكون ذى القرنين من اليمن يخاطب قوما من مضر .

سموا لنا واحداً منكم فنعرفه * فى الجاهلية لاسم الملك محتملا

كالتبعين وذى القرنين يقبله * اهل الحجى واحق القول ماقبلا

« وقال النعمان بن بشير الانصارى »

ومن ذايعادينا من الناس معشر * كرام وذوالقرنين منا وحاتم

ووقع ذكر ذى القرنين ايضاً فى شعر امرىء القيس واوس بن حجر وطرفة بن العبد وغيرهم. ويؤخذ من اكثر هذه الشواهد ان الراجح فى اسمه الصعب . ومن شعرهم علمنا حال قس بن ساعدة وما كانت العرب تعتقده فيه حتى عظمته تعظيماً وضربت شعر آؤها بحكمته الامثال . وفى كتاب الاصابة شواهد ذلك . وهكذا حال لقمان بن

عاد الأكبر والاصغر ولقيم بن لقمان . فقد كانوا يعظمون شأنهم فى النباهة وعلو القدر والعلم والحكم واللسان والحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على مايقول المفسرون . ولارتفاع قدره وعظم شأنه . قال النمر بن تولب .

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما
ليالى حمق فاستحصنت * عليه فغر بها مظلما
فغر بها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

وذلك ان اخت لقمان قالت لامرأة لقمان انى امرأة محمقه ولقمان رجل منجب محكم وانا فى ليلة طهرى فهبى لى ليلتك ففعلت فباتت فى بيت امرأة لقمان فوقع عليها فاحبلها بلقيم . فلذلك قال النمر بن تولب ماقال . والمرأة اذا ولدت الحمقى فهى محمقه ولا يعلم ذلك حتى يرى ولدزوجها من غيرها اكياساً . وقد اطال القول فى لقمان ولقيم الجاحظ فى كتاب البيان . واورد شواهد العرب فى احواله . ومن شعرهم دونت الكتب المؤلفة فى الاضياف والفرسان وغير ذلك . وقد بالغ العلامة الهمدانى على ماذكر فى كتاب الوشى المرقوم فقال لم يصل الى احد خبر من اخبار العرب والعجم الا من العرب وذلك لان من سكن مكة احاط بعلم العرب العاربة واخبار اهل الكتاب وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون اخبار الناس . وكذلك من سكن الحيرة وجاور الاعاجم علم اخبارهم . وايام حمير وسيرها

فى البلاد . وكذلك من سكن الشام خبر باخبار الروم وبنى اسرائيل واليونان . ومن وقع بالبحرين وعمان فعنه اتت اخبار السند وفارس ومن سكن اليمن علم اخبار الامم جميعاً لانه كان فى ظل الملوك السيارة الى ان قال والعرب اصحاب حفظ ورواية . والمقصود ان العرب كما لا يخفى على من سبر اقوالهم واشعارهم كان لهم حظ وافر من رواية الاخبار . ومن طالع الكتب المؤلفة فى امثالهم وقف على كثير من المواد التاريخية التى لا شبهة فيها .

﴿ التاريخ عند العرب فى الجاهلية ﴾

لما بسطنا القول على ماكان للعرب ايام جاهليتهم من السابقة فى رواية الاخبار ومعرفة القرون الخالية . واحوال الامم الماضية . وسير الاجيال السالفة . كما دل على ذلك شعرهم وامثالهم وسائر اقوالهم . اتبعناه بذكر مذهبهم فى التاريخ وكيفية ضبطهم للوقائع ومبدأ الحوادث . وقد لخصت ذلك من كتاب ادب الكتاب للامام ابى بكر الصولى وهو كتاب فريد فى فنه . فاقول ومنه المعونة . تاريخ كل شئ غايته ووقته الذى ينتهى اليه . ومنه فلان تاريخ قومه فى الجود اى الذى انتهى اليه ذلك . وسئل بعض اهل اللغة مامعنى ذلك فقال معناه التأخير . وقال آخر هو اثبات الشئ . ويقال ورخت الكتاب توريخاً لغة تميم وارخته تأريخاً لغة قيس وتارخ بتاريخ وتواريخ . وارخ كتابك هذا وورخه ولكل نبوة

ومملكة تاريخ « فاما العرب » فكانوا يؤرخون بالنجوم قديماً وهو اصل ومنه صار الكتاب يقولون نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم والنجم جمع نجوم . والعرب تخص بالنجم الثريا . ومنه قولهم

طلع النجم غـديه * فابتغى الراعي كسيه

والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها . كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم يراد الجنس . وعلى هذا قرأ ابو عمرو بن العلا (وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) والنجم مانجم من النبـات ومن الرأى ماظهر وهو غير هذا . وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه امر مشهور معارف فارخوا بعام الفيل . وفيه ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك كسرى انوشروان . وقد مرت قصة الفيل اوائل الجزء الاول عند ذكر مكة شرفها الله تعالى . وارخت العرب بعام الختان لانهم تهاونوا فيه وعظم عندهم امره . فقال النابغة الجعدي

فمن يك سائلا عني فاني * من الشبان ايام الختـان

مضت مائة لعام ولدت فيه * وعشر بعد ذاك وحجتان

وارخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم . ولذلك قال شاعرهم .

واصبح بطن مكة مقشعراً * كأن الارض ليس بها هشام

وروى عن الزهري والشعبي ان بني اسمعيل ارخوا من نار ابراهيم

عليه السلام الى بنائه البيت حين بناه مع اسمعيل . وان بنى اسمعيل ارخوا من بنيان البيت الى تفرق معد فكان كلما خرج قوم ارخوا بمخرجهم . ومن بقى بتهامة من بنى اسمعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بنى زيد من تهامة ثم كانوا يؤرخون بشئ شئ الى موت كعب بن لوى . ثم ارخوا بعام الفيل الى ان ارخ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان سبب ذلك ان ابا موسى كتب اليه انه يأتينا من قبل امير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلاندرى على ايها نعمل . وروى ايضاً انه قرأصكا محله شعبان فقال اى الشعبانين الماضى ام الآتى . فكان سبب التاريخ من الهجرة بعد ان قالوا نؤرخ بعام الفيل وقالوا من المبعث . ثم اجتمع الرأى على الهجرة . وقالوا مايكون اول التاريخ فقال بعضهم شهر رمضان . وقال بعضهم رجب فانه شهر حرام . والعرب تعظمه . ثم اجمعوا على المحرم فقالوا شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج وكان آخر الاشهر الحرم فصيروه اولا لانها عندهم ثلاثة سرد ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم والفرد رجب . فكانت الاربع تقع فى سنتين فلما صار المحرم اولا وقعت فى سنة « قال الصولى » وسألت اباذكران عن ارخت وورخت فقال مثله اكدت الامر تأكيداً ووكدته توكيداً لغة تميم وبها نزل القرآن ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . واما التاريخ بلغة قيس فهو الذى يستعمله الناس . واما التوريخ لغة تميم فما استعمله كاتب

قط . وان كانت العرب تتكلم به . وغلبت العرب الليالى على الايام
فى التاريخ لان ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وولدته . ولان الاهلة
لليالى دون الايام . وفيها دخول الشهر . وما ذكرهما الله عز وجل
الاقدم الليالى قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها
بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال سخرها عليهم سبع ليالى وثمانية
ايام حسوما . وقال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل . وقال
جل اسمه سيروا فيها ليالى واياما آمنين . والعرب تستعمل الليل
فى الاشياء التى يشاركها فيها النهار دون النهار لاستثقالهم الليل فيقولون
ادركنى الليل بموضع كذا لهيبته . وقال النابغة .

فانك كالليـل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقالو صمنا عشراً من شهر رمضان وانما الصوم للايام ولكنهم اجازوه
اذ الليل اول شهر رمضان . وانشد ابو عبيدة .

فصامت ثلاثا من مخافة ربها * ولو مكثت خمساً هناك اصلت

واما الشهور فانها كلها مذكرة الا جمادى الاولى وجمادى الاخرة .
ويكتبون من شهر كذا الا فى ثلاثة اشهر يكتبون فى شهر رمضان لقول
الله عز وجل ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى انزل فيه القران
ويقولون شهر ربيع الاول وشهر ربيع الاخر . لان الربيع وقت
من السنة فخافوا اذا قالوا من ربيع ولم يذكروا الشهر ان يظن انه
من الوقت قال لراعى .

شهري ربيع ماتذوق لبونهم * الاحموضاً وخمة وذويلا

كل ماانكسر واسود من النبت فهو ذويل . فاذا رأوا الهلال اول ليلة كتبوا وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل كذا ومهل شهر كذا لانهم يقولون استهل الهلال واهل الهلال ولا يقولون هل ولا اهل ولا استهل ومن قال ذلك فقد اخطأ . والاستهلال الصوت والصياح ومنه استهلال الصبي صياحه وبكاؤه اذا ولد . فلما كانوا يكبرون عند رؤية القمر كل اول ليلة من الشهر وفي اول سائر الشهور اقر بهم بمضى الخارج من وقت الحج وسرورهم بالموسم نسبوا الرؤية الى فعلهم فقالوا استهل واهل وسموا القمر هلالا لهذا المعنى . وكان اهل مكة يجتمعون ويوقدون النار وتلعب ولدانهم وعبيدهم عندها كل اول ليلة من سائر الشهور لفرحهم بقرب وقت الحج . ويكتبون ليلة الاهلال لغرة كذا ولا يكتبون لليلة خلت ولا لليلة مضت الا من الغد لان الليلة قدمضت وان كتبوا يوم الجمعة قالوا اول يوم من شهر كذا . ولا يكتبون مستهل ولا مهل لان الهلال انما يرى بالليل . ويكتبون في اليوم الثاني لليلتين مضتا فاذا جاز ذلك كتبوا الثلاث خلون واربع مضين . وكتبوا ثمان خلون فيحذفون الياء ويثبتون الالف في الخط فاذا اضافوا الليالي اثبتوا الياء للاضافة لانه لايكون تنوين مع اضافة وانما سقط الياء للتنوين فيسقطون الالف عند ذلك في الخط فيكتبون ثمني ليال ومنهم من يثبتها وانما انتهوا الى قولهم لعشر خلون لتقدم

الليالى على الايام كما سبق . فاذا جاوزوا العشرة قالوا لاحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولاثنتى عشرة ليلة . وانما قالوا ههنا خلت ومضت لان الترجمة بليلة فوحدوا الفعل لذلك . ويكتبون لخمس عشرة ليلة وان شاؤا كتبوا للنصف من شهرا كذا . ولا يكتبون لخمس عشرة ليلة بقيت كرهوا ذلك لانه شبيه الاستثناء ولا يكون الاقل مما استثنى منه . ولكن يكتبون بعد النصف بيوم لاربع عشرة ليلة بقيت . وقد كره اهل الورع ذلك لانهم لا يدرون كم بقى لنقصان الشهر وتمامه فيكتبون لاحدى وعشرين ليلة خلت والكتاب على غير هذا . فاذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا سلخ كذا لانهم يقولون انسلخ الشهر انسلاخا وسلخت اشهر كذا سلخاً وسلوخا . ولو كتب كاتب فى ربيع الاول ولم يقل فى شهر اوفى رمضان ولم يقل فى شهر جاز وليس بالمختار . قال الشاعر

جارية فى رمضان الماضى * تقطع الحديث بالايماض

ولا يدخلون فى شهر من الشهور الالف واللام الا فى المحرم لانه اول السنة فعرفوه لذلك كأنهم قالوا هذا الذى يكون ابدا اول السنة . ولا يكتبون لليلة بقيت وانت فيها كما لم يكتبوا لليلة خلت وانت فيها . والعرب تسمى اول ليلة من الشهر ليلة البرآء لتبرء القمر من الشمس . ويسمونها النحيرة لان الهلال نحرها اى رؤى فى نحرها واولها قال ابن احمر .

ثم استمر عليها واكف همع * فى ليلة نحرت شعبان اورجبا

نحرت شعبان كانت فى نحره وصدره لانها اوله كما نحرها الهلال اذا

رؤى فى اولها ونحيرة فعيلة من نحرت مثل قتلت فهى قتيلة « قال الصولى » قال بعض الكتاب التاريخ عمود اليقين . ونافى الشك . به تعرف الحقوق . وتحفظ العهود . قال ولا يقع التاريخ فى شئ من الكتب السلطانية من رئيس اومرؤس الا فى اعجاز الكتب . وقد يؤرخ النظير والتابع ماخاص من الكتب فى صدورها . وقيل الكتاب بغير تاريخ نكرة بلا معرفة . وغفل بغير سمة . قال بعض الشعراء فى تاريخ شخص توفى .

وكان يؤرخ علم القرون * فهاهوذا اليوم قدارخا

فاما الذى يروى للمستوعر بن ربيعة فهو قوله وهو عجيب من العمر فى مثل زمانه .

ولقد سئمت من الحيوة وطولها * وازددت من عدد السنين سنينا
ماية اتت من بعدهــا مايتان لى * وازددت من عدد الشهور مئينا
هل مابقى الا كما قــد فاتنــا * يوم يكــر وليـلة تحـذونا

وقد ذكرنا عند الكلام على مجامعهم اسماء الاشهر ايام العرب العرباء واسماءها لدى المستعربة وغير ذلك مما يناسبه . ثم ان الصولى رحمه الله تعالى اطنب فى بيان تثنية الايام والشهور وجوعهما . وفى ذكر فوائد آخر تتعلق بغرضه . وقداهمل كثيراً مما كان العرب تؤرخ به . فقد كان لهم فى اليمن والحجاز ونجد تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفاً عن سلف وقد كان كل طائفة منهم تؤرخ بالحادثات المشهودة فيها . وحيث ان

استيعاب ذلك يطول اقتصرت على بيان ماكان شائعاً عند جميعهم وهو زمن الفطحل . فلابد من تفصيل القول فيه وبالله التوفيق .

﴿ زمن الفطحل ﴾

هو زمن كانوا يؤرخون به كل ماقدم عليه العهد ومرت عليه العصور والدهور . واختلف ائمة اللغة في تفسيره فقال الخليل هو الزمن الذى لم يخلق فيه الناس بعد . ومنهم من قال هو زمن نوح عليه السلام . ومنهم من قال هو الزمن الذى كانت الحجارة فيه رطابا واذ كل شيء ينطق . وبذلك اجاب رؤبة حين سئل عنه . وفي الصحاح قال الجرمي سألت ابا عبيدة عنه . فقال الاعراب تقول هو زمن كانت الحجارة فيه رطبة . وهو معنى قول بعضهم زمن الفطحل اذ السلام رطاب . وقال ابو حنيفة الدينوري تقول اتيتك عام الفطحل والهدملة يعني زمن الخصب والريف . وانشد ابو عبيدة لرؤبة بن العجاج وقد نزل ماءً من المياه فاراد ان يتزوج امرأة . فقالت له المرأة ماسنك ماما لك ماكذا . فانشأ يقول .

لما ازدرت نقدى وقلت ابلى * تألقت واتصلت بعكل
تسألني عن السنين كم لى * فقلت لو عمرت عمر الحسل
اوعمر نوح زمن الفطحل * والصخر مبتل كطين الوحل
اوانى اوتيت علم الحكل * علم سليمان كلام النمل
* كنت رهين هرم اوقتل *

الحكل بالضم من الحيوان مالا يسمع صوته كالذر والنمل . وبعض ائمة اللغة يقول هو العجم من الطيور والبهائم . وقال الليث الحكل في رجز رؤبة اسم لسليمان عليه السلام . وهو قوله .

لواني اوتيت علم الحكل * علمت منه مستسر الدخل

علم سليمان كلام النمل * ماود اروى ابداً عن عذل

قال الامام الثعالبي نقلا عن القاضي عبدالمحسن . اما قولهم ايام كانت الحجارة رطبة واذكل شئ ينطق فهما من الامور التي يتداولها جهلة الامم . وهو الظاهر بين اغفال العرب هذا وامية ابن ابي الصلت وهو من حكماء العرب والمتخصصين منها بالرواية قال .

واذهم لالبوس لهم عراة * واذصم الصلاب لهم رطاب

باية قام ينطق كل شئ * وكان امانة الديك الغراب

وعن مقاتل بن سليمان انه كان يقول ان الصخور كانت لينة . وان قدم ابراهيم عليه السلام انما أثرت في صخرة المقام للين الصخور يومئذ. قال الثعالبي وليس مذهب هؤلاء فيما رواه مذهب من جعلها اجزاء من الارض تستصلب وتتكسر وتتحجر . فزعم انها تيبس عن ندوة وتصلب بعد رخاوة . ولو ارادوا ذلك لوجدوا متسعاً في القول . لكن الاوهام التي صورت ان البهائم كانت ناطقة عاقلة . وفروع السعدان ملساء لينة . واغصان العوسج خضرة ناعمة . هي التي ارتهم ذلك . وما يبعد ان يكون القول لما رأوا الحكماء قصدوا استعطاف

الاوهام الى الحكمة فوضعوا امثالا ووشحوها ببعض الهزل وادرجوا الجد فى اثناء المزح ليخف على القلوب احتمالها . ويسرع اليها التفاتها ظن من لم يقع من التمييز موقع الكمال بالبهائم انها تنطق وتفصح وتبين عن نفسها وتعرب . فاختلقوا احاديث اضافوها اليها . وكان للعرب خصوص فى ذلك مازادت به على سائر الامم لفضل مافيها من اللهج بالكلام . وما اوتيت من القدرة على التصرف فى المنطق . فنظمت اليها قريضا . وفصلت سجوعها كالذى حكت عن الضب انه قال فى صبره على الماء . وهو عندهم اصبر ذى نفس عليه . اصبح قلبي صردا . لايشتهى ان يردا . الا عراداً عردا . وصليانا بردا . وعكنا ملتبدا . ومنهم من يرويها هكذا . آليت ان لااردا . الا عراداً عردا . وصليانا صردا . وعنكثاً ملتبدا . وزعموا ان القطا قال للحجل . حجل حجل . تفر فى الجبل . من خشية الوجل . فقالت لها الحجل . قطا قطا . ارى قفاك امعطا . بيضك ثنتان وبيضى مئطا . هكذا جائت الرواية والامثال تجرى على الفاظها . وهذا الوجه الذى ذكره الثعالبي هو المتعين . واشباه ذلك فى كلامهم ومحاوراتهم كثيرة . مذكورة فى كتب الادب . ومن ذلك ماحكاه اصحاب اللغة فى وجه تسمية بعض الكواكب وعدوه من اكاذيبها وخرافاتها . مع ان الوجه مااختاره الثعالبي . من ان ذلك لاغراض مقصودة لهم فقالوا الشعرى كوكبان احداهما الشعرى العبور . والاخرى الشعرى الغميصاء . اما العبور

فانها من نجوم الجوزاء ويسمى كلب الجبار . وسميت بالعبور لانها كانت والغميصاء وسهيل مجتمعة فانحدر سهيل فصار يمانيا وتبعته العبور فعبرت المجرة . واقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت . والغمص فى العين نقص وضعف . واما الغميصاء فاقل نوراً من العبور وهى من نجوم الذراع المبسوطة . وبينها وبين العبور المجرة واصحاب الصور يعدونها فى صورة الكلب الاكبر وهى تقطع السماء عرضاً وليس غيرها من الكواكب كذلك . وهى التى عناها الله تعالى بقوله وانه هو رب الشعرى . وانما خصها بالذكر لان خزاعة كانت تعبدها واول من سن ذلك لهم ابو كبشة وجزء بن غالب جد وهب بن عبد مناف . وقالو فى وجه تسمية كوكبي الدبران والعيوق . ان العيوق عاق الدبران لما ساق الى الثريا مهراً وهى نجوم صغار مجتمعة . فهو يتبعها ابداً خاطباً لها والدبران يعوقه . ولذلك سموا هذه النجوم القلاص . وعليه قول الشاعر .

هذا ابو الطرق قد اوفى بذمته * كما وفى بقلاص النجم حاديها

ولو تتبعنا امثال ماذكر مما قصدوا به المعنى الشعرى ولم يريدوا به الحقيقة لطال الكلام . وماأوردناه واف بالمرام .

﴿ ماكان للعرب من العلم بالسماء وكائنات الجو ﴾

كل من استقصى شعر العرب الاولين وما صح عنهم من الامثال والاقوال عرف ان اوائل العرب كان لهم بحث عن الاجرام العلوية

والآثار الجوية . وانهم اشتغلوا بالرصد ومعرفة حركات الكواكب وطلوعها وغروبها . لاسيما مايتعلق بها غرضهم وتمس اليها حوائجهم وقد الف السلف من ائمة اللغة فيما كان لهم من ذلك كتباً مفيدة جمعوا فيها ماكان للعرب من العلم بالسماء . وهي كثيرة منها كتاب الانوآء لابي فيد ابن عمر النحوي . وآخر لابي بكر محمد بن حسن المعروف بابن دريد اللغوي وآخر لابي عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي . وآخر لابي الحسن النضر بن شميل النحوي . وآخر لابي اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي . وكل هذه الكتب مشتملة على مسائل مفيدة من مذاهب العرب واعتقاداتهم . واعمها فائدة كتاب ابي حنيفة الدينوري . فانه تضمن ماكان عند العرب من العلم بالسماء والانوآء ومهاب الرياح وتفصيل الازمان وغير ذلك . واني مستعيناً بالله ذاكر في هذا المقام نبذة من ذلك عازيا كل مبحث الخصه ههنا الى محله مما عثرت عليه من كتب هذا الفن . لئلا يبقى جيد هذا الكتاب عاطلا من هاتيك الفرائد العالية الثمن .

(السموات والافلاك)

السماء عند العرب كل ماعلاك فاظلك . ولذلك قيل للسقف والسحاب ولا على الفرس سماء . ومن اسمائها الجرباء لاشتباك كواكبها والخلقاء اذا لم تر نجومها كالملساء والرقيع وحربة النجوم . قال قائلهم

وجوت حربة النجوم فما تنـ * ـبت ارويه بمرى الجنوب

واصل الجربة القراح من الارض . وكانوا يعتقدون فيها اعتقاد المليين ويثبتون العرش والكرسى . وكانوا يسمون السماء الدنيا الرقيع . والسماء الثالثة الصاقورة والحاقورة . والسماء الرابعة الخضرآء . ويقولون لما ولينا منها بطن السماء وظهر السماء لما يخالفه . والهوآء الفتق بين السماء والارض وهو السكاك والسكاكة واللوح . وعنان السماء ماعن منها اذا نظر اليها ولونها العوهق . والفلك مدار النجوم الذى يضمها . ومجرة السماء كاثر المجر فيها يسمونها ام النجوم « ومن كواكبها الشمس » لانها فى السماء الرابعة تشبيهاً لها بشمسة القلادة . ويقال لها ذكاء والاهة والضح والجونة والغزالة والجارية والسراج والبيضاء وبوح وبراح ومهاة والشرق الا انه لايقال غاب الشرق ولا غابت الغزالة . قال قائلهم .

تروحنا من اللعباء قصرا * واعجلنــا الاهة ان تؤوبا

« وقال آخر »

ثم يجلو الظلام رب رحيم * بمهاة شعاعها منشور

ودارتها الطفاوة. واياتها ضوءها. ولعابها ماتراه فى شدة الحر كنسج العنكبوت ينحدر من السماء كاللعاب من الحيوان . ويقال شرقت الشمس وذرت ذرورا اى طلعت واشرقت اى اساح ضوءها . وكسفت ذهب ضوءها . والفئ الظل بعد الزوال . وظل دوم لاتنسخه الشمس وطفلت وجنحت مالت للغروب . ودنقت ايضاً . واشفت غابت الا

شفاً اى قليلا . ووجبت غابت . ودلكت اصفرت للغيوب . وصامت الشمس ركدت نصف النهار كأن لها وقفة وابطاء عن الزوال ودومت قال ذوالرمة .

حروريا رمض الرضراض يركضه * والشمس جرى لها بالجو تدويم

وقرن الشمس وحاجبها اول نواحيها . والمشرق المطلع والمغرب المغيب وهما مشرقان ومغربان . مشرق الصيف وهو مطلع الشمس في اطول يوم . ومشرق الشتاء وهو اخفض مطالعها في اقصر يوم والمغربان على ذلك ودرارى النجوم كبارها .

(ومنها القمر)

ويقال له اول مايهل هلال الى ثلاث ليال ثم هو قمر الى ان يهل ثانيا

« قال قائلهم »

ثم استمرت كشقة القمر البد * ر خفوق الاحشاء والكبد

ويقال لكل ثلاث ليال من اول الاهلال الى ان ينسلخ الشهر اسم فالاول غرر وبعدها نفل ثم تسع ثم عشر وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدى واحدتها دأدآة وثلاث محاق . وقد نظمها بعضهم فقال .

ثم ليالى الشهر قدما عرفوا * كل ثلاث بصفات تعرف

فغرر ونفل وتسع * وعشر فالبيض ثم الدرع

وظلم حنادس دأدى * ثم المحاق لانمحاق بادى

وليلة السوآء ليلة تمام القمر . وهو وفاء ثلاث عشرة . وبعدها ليلة البدر . وميسان ليلة النصف . تقول اسوينا وابدرنا وانصفنا اى صرنا فى ذلك وهذه الليالى الثلاث بيض ثم يدرع الشهر . اى تسود او آئل لياليه من قولك شاة درعاء اذا اسود مقدمها وابيض سائرها . ثم ينتقص القمر حتى يمحق وهو ان يطلع مع الشمس فيحترق . وليلة ثمان وعشرين الدعجاء وبعدها الدهماء وليلة الثلاثين الليلاء . وابنا جير يومان فى المحاق يستسر فيهما القمر . والبرآء آخر ليلة من الشهر لتبرء القمر فيه من الشمس وهو السرار . وقيل بل هو اول يوم من الشهر . والناحر والنحير كذلك . وقيل ما الهلال ابن ليله . فقالوا ارضاع سخيله . حل اهلها برميله . وابن ليلتين . حديث امتين . بكذب ومين . وابن ثلاث حديث فتيات . غير جد مؤتلفات . وابن اربع . عتمة ربع . لا جائع ولا مرضع . وابن خمس . عشاء خلفات قعس . وابن ست . سر وبت . وابن سبع . دلجة الضبع . وابن ثمان . قمر اضحيان . وابن تسع ملتقط الجزع . وابن عشر . مخنق الفجر . ويقال ان ما بعدها موضوع . وهو مذكور فى كثير من كتب الادب .

(والدارة حول القمر الهالة) ويقال حلق القمر . والقمر الليلة فى الهالة وحجر اذا استدار بخط . ويقال للقمر الزبرقان والازهر والنهر والساهور . وقيل غلافه الذى يستتر فيه اذا خسف وفى النسخ البواقى . وقال امية ابن ابى الصلت .

لانقص فيـه غير ان خبيه * قمر وساهور يسل ويغمد

والشامة السواد في القمر وبذلك الغز بعضهم .

وذوشامة سوداء في حر وجهه * مجـللة لاتنجـلي لزمان

ويدرك في تسع وخمس شبابه * ويهرم في سبع معـا وثمـان

ويقولون اضـائت القمر آء وليلة قمر آء وضحياء وضحيانة وبيضاء والمحمقات الليالي البيض تغيم فيها السماء فترى ضوء ولا ترى قمراً فتظن انك مصبح وعليك ليل . يقال غرني غرور المحمقات . وبزغ القمر طلع وافل غاب والفخت ضوء القمر . ويقال جلسنا في الفخت وقيل الدأدآء الليلة التي يشك فيها امن الشهر الماضي هي ام من الداخل وليلة غمى يحال فيها دون الهلال . وانشد شاعرهم .

وليلة مشتبه اهوالها * ليلة غمى طامس هلالها

وقد سمت العرب كواكب كثيرة يطول استقصاؤها واقتصرنا على ذكر النيرين الاعظمين .

(منازل القمر وانواؤها)

المنازل جمع منزل والمراد به المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة وهي عند اهل الهند سبعة وعشرون لان القمر يقطع فلك البروج في سبعة وعشرين يوماو ثلث فحذفوا الثلث لانه ناقص عن النصف كما هو مصطلح اهل التنجيم . وعند العرب وساكني البدو ثمانية وعشرون لالانهم تمموا الثلث واحداً كما قال بعضهم بل لانه لما كانت

سنوهم باعتبار الاهلة مختلفة الاوآئل لوقوعها فى وسط الصيف تارة وفى وسط الشتاء اخرى وكذا اوقات تجارتهم وزمان اعيادهم احتاجوا الى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يشتغلوا فى استقبال كل فصل بما يهمهم فى ذلك الفصل من الانتقال الى المراعى وغيرها فاحتالوا فى ضبطها فنظروا اولا الى القمر فوجدوه يعود الى وضع له من الشمس فى قريب من ثلاثين يوما ويختفى آخر الشهر لليلتين اواقل اواكثر فاسقطوا يومين من زمان الشهر فبقى ثمانية وعشرون وهو زمان مابين اول ظهوره بالعشيات مستهلا اول الشهر و آخر رؤيته بالغدوات مستتراً آخره . فقسموا دور الفلك عليه . فكان كل قسم اثنتى عشرة درجة واحدى وخمسين دقيقة تقريباً وهو ستة اسباع درجة فصيب كل برج منه منزلان وثلث . ثم لما انضبط الدور بهذه القسمة احتالوا فى ضبط سنة الشمس بكيفية قطعها لهذه المنازل فوجدوها تستتر دائماً ثلاثة منازل . ماهى فيه بشعاعها . وما قبلها بضياء الفجر . وما بعدها بضياء الشمس . ورصدوا ظهور المستتر بضياء الفجر . ثم بشعاعها ثم بضياء الشفق فوجدوا الزمان بين كل ظهورى منزلتين ثلاثة عشر يوما تقريباً . فايام جميع المنازل تكون ثلاثمائة واربعة وستين . لكن الشمس تقطع جميعها فى ثلاثمائة وخمس وستين فزادوا يوما فى ايام منزل غفر . وزادوه ههنا اصطلاحا منهم اونسرن على ماتسمعه انشاء الله. وقد يحتاج الى زيادة يومين

ليكون انقضاء الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ويرجع الامر الى النجم الاول . واعلم ان العرب جعلت علامات الاقسام الثمانية والعشرين من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب طريقة القمر فى ممره اويحاذيه فيرى القمر كل ليلة نازلا بقرب احدها . واحوال كواكب المنازل مع المنازل . كاحوال كواكب البروج مع البروج عند اهل الهيئة من انها مسامتة للمنازل وهى فى فلك الافلاك . واذا اسرع القمر فى سيره فقد يخلى منزلا فى الوسط وان ابطأ فقد يبقى ليلتين فى منزل اول الليلتين فى اوله وآخرهما فى آخره . وقد يرى فى بعض الليالى بين منزلتين . وما يقال فى الشهور ان الظاهر من المنازل فى كل ليلة يكون اربعة عشر وكذا الخفى . وانه اذا طلع منزل غاب رقيبه وهو الخامس عشر من الطالع سمى به تشبيهاً له برقيب يرصده ليسقط فى المغرب اذا ظهر ذلك فى المشرق . ظاهر الفساد . لانها ليست على نفس المنطقة ولا ابعاد ما بينها متساوية . ولهذا قد يكون الظاهر ستة عشر وسبعة عشر . وقد يكون الخفى ثلاثة عشر (وللمنازل انوآء اختلف علماؤها فيها) ولنذكر ملخص ما اورده ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى فى كتابه المؤلف فى الانوآء «قال» السنة اربعة اجزآء لكل جزء منها سبعة انوآء لكل نوء ثلاثة عشر يوما الا نوء الجبهة فانها اربعة عشر يوما وهو المقدار الذى تقطع فيه الشمس بروج الفلك الاثنى عشر وكل برج منزلتان وثلث

منزلة وكلما نزلت منزلا من هذه المنازل سترته لانها تستر ثلاثين درجة خمس عشرة درجة من خلفها ومثلها من امامها فاذا انتقلت عنه ظهر كذا . قال الزجاجى فاذا اتفق ان يطلع منزل من هذه المنازل مع الغداة ويغرب رقيبه فهو النوء ولا يتفق ذلك لكل منزل منها الا مرة واحدة فى السنة. وهو مأخوذ من ناء ينوء اذا نهض متثاقلا فالعرب تجعل النوء للغارب لانه ينهض للغروب متثاقلا وعلى ذلك اكثر اشعارهم . وتفسير بعض العلماء فى قوله تعالى ماان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة اى تميل بهم الى الارض . وهذا التفسير اوجه من قول من يجعل الكلمة من المقلوب . قال وبعضهم يجعله للطالع وهذا مذهب المنجمين لان الطالع له التأثير والقوة والغارب ساقط لاقوة له ولا تأثير . قال المبرد النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لاالغارب وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ويغرب فى المغرب كل يوم وليلة وتلك دورة من دوراته .

(الربع الاول من السنة الربيع)

ابتداؤه فى تاسع عشر يوما من آذار وبعضهم يجعله فى عشرين يوما منه فيستوى حينئذ الليل والنهار . ويطلع مع الغداة فرغ الدلو الاسفل وهو المؤخر وتسقط العوآء واليها ينسب النوء وهى تمد وتقصر وصورته خمسة كواكب كأنها الف معطوفة الذنب الى اليسار وبذلك سميت تقول العرب عويت الشئ عطفته . وقال آخرون

بل هي كأنها خمسة اكاب تعوى خلف الاسد وقال ابن دريد بل دبر
الاسد والعوآء في كلامهم الدبر (النوء الثاني السماك) وهي سماكان
احدهما الاعزل وهو نجم وقاد شبهوه بالاعزل من الرجال وهو
الذي لاسلاح معه وهو منزل القمر والآخر كوكب يقدمه آخر
شبهوه بالرمح وهما ساق الاسد وسمى سماكا لعلوه ولا يقال لغيره اذا علا
سماك . هكذا قال سيبويه فيما حكى الزجاجي عن ابي اسحق الزجاج
غير انه قال في الاعزل . وقيل انما سمى الاعزل لان القمر لاينزل
فيه وهذا مخالف لما عليه جميع الناس (النوء الثالث الغفر) وهو
ثلاثة كواكب غير زهر وبذلك سميت من قولك غفرت الشيء اذا غطيته
ومنه سميت الغفارة التي تلبس . وقيل انما سمى غفرا من الغفرة وهي
الشعر الذي في طرف ذنب الاسد . وقال ابو عبيدة الغفر كل شعر
صغر دون الكبير وكذلك هو في الريش . وقال قوم هو من النكس
يقال اغفر المريض اذا نكس كأن النكس غطى العافية (النوء الرابع
الزبانا) وهو كوكبان متفرقان وهما قرنا العقرب وقيل يداها .
وسميا الزبانيين لبعد كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زبنت كذا
اذا دفعته لتبعده ومنه اشتقاق الزبانية لانهم يدفعون اهل النار اليها
(النوء الخامس الاكليل) وهو ثلاثة كواكب على رأس العقرب
ولذلك سميت اكليلا (النوء السادس القلب) وهو كوكب احمر
وقاد جعلوه للعقرب قلبا على معنى التشبيه (النوء السابع الشولة)

وهو كوكبان احدهما اخفى من الاخر وهما ذنب العقرب وذنب العقرب شائل ابدا فشبه به. هذا قول بعضهم وبعضهم يجعل الشولة الابرة التى فى ذنب العقرب وهم اهل الحجاز فهو اصح على مذهب من زعم انهما كوكبان فقط .

(الربع الثانى الصيف)

اول انوائه النعائم وهى ثمانية كواكب نيرة اربعة منها فى المجرة تسمى الواردة واربعة خارجة منها تسمى الصادرة وشبهت بالخشبات التى تكون على البئر تعلق فيها البكرة والدلاء (الثانى من الصيف البلدة) وهى فرجة لطيفة لاشئ فيها الكن فى جوارها كواكب تسمى القلادة وانما قيل لتلك الفرجة بلدة تشبيهاً بالفرجة التى بين الحاجبين اذا لم يكونا مقرونين يقال منه رجل ابلد ويقال بل شبهت بالبلدة وهى باطن الراحة وقيل باطن ما بين السبابة والابهام (الثالث منه سعد الذابح) وهو نجمان صغيران احدهما مرتفع فى الشمال معه كوكب آخر يقال له شاته التى تذبح والاخر هابط فى الجنوب (الرابع منه سعد بلع) وهو كوكبان صغيران مستويان فى المجرى شبها بفم مفتوح يريد ان يبتلع شيئاً وقيل انما قيل له بلع لانه كان قد بلع شاته وبلع غير مصروف لانه معدول عن بالع مثل زفر وقثم وسعد مضاف اليه (الخامس منه سعد السعود) وهو كوكبان احدهما انور من الاخر سمى بذلك لان وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش

به الحيوان من النبات (السادس منه سعد الاخبية) وهو كوكبان
عن شمال الخباء والاخبية اربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى
الخباء لانه على صورة الخباء . وزعم ابن قتيبة انه انما سمى بذلك
لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام وخروج ما كان مختبياً منها
(السابع منه فرغ الدلو الاعلى) وهو المقدم وبعضهم يسميه العرقوة
العليا تشبيهاً بعرقوة الدلو . وهو كوكبان متفرقان نيران . وقيل له
الفرغ لانه تأتى فيه الامطار العظيمة . ويقال بل سميا بذلك لانهما
مثل صليب الدلو الذى يفرغ منه الماء .

(الربع الثالث الخريف)

(اول انوائه فرغ الدلو الاسفل) وصورته كوكبان مضيئان بينهما
بعد صالح يتبعان العرقوة العليا (ثم الحوت) وهو كوكب ازهر
نير في وسط السمكة مما يلى رأسها ويسمى قلب السمكة (ثم الشرطان)
وهو كوكبان مفترقان مع الشمالى منهما كوكب دونه في القدر وسميا
شرطين لان سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله وكل من جعل
لنفسه علامة فقد اشرطها ومنه سمى الشرط لان لهم علامات يعرفون
بها (ثم البطين) وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن
الحمل الا انه قد صغر (ثم الثريا) وهى النجم وصورتها ستة كواكب
متقاربة حتى تكاد تتلاصق واكثر الناس يجعلها سبعة وقد جاء الشعر
بالقولين جميعاً سميت بذلك لان مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد

والغنى وهى تصغير ثروى ولم ينطق بها الا مصغرة (ثم الدبران) وهو كوكب وقاد على اثر نجوم تسمى القلاص وقيل له دبران لانه دبر الثريا اى جاء خلفها . ويقال له ايضاً الراعى والتالى والتابع والحادى على التشبيه (ثم الهقعة) سميت بهذا تشبيهاً بالدارة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس وصورتها ثلاثة انجم صغار متقاربة كاثار رؤس اصابع ثلاثة فى ثرى اذا جمعت الوسطى والسبابة والابهام وهى رأس الجوزاء .

﴿ الربع الرابع الشتاء ﴾

وهو آخر ارباع السنة (اول انوائه الهنعة) سميت بذلك لانها كوكبان مقترنان كل واحد منهما معطوف على صاحبه من قولك هنعته اذا عطفت بعضه على بعض واقترانها فى المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة (الثانى ذراع الاسد المقبوضة) وقيل لها مقبوضة لانقباضها عن سمت الذراع المبسوطة والمقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الاظفار . وانوآء الاسد احمد الانوآء ولذلك كثر ذكرها فى الشعر بين العرب . قال الشاعر .

يامن رأى عارضاً اسر به * بين ذراعى وجبهة الاسد

والذراعان والجبهة من المنازل فالذراعان اربعة كواكب كل كوكبين منها ذراع . قال ابو اسحق ذراع الاسد المقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار يقال لها الاظفار كأنها فى موضع مخالب الاسد فلذلك

قيل لها الاظفار وانما قيل لها الذراع المقبوضة لانها ليست على سمت الذراع الاخرى وهى مقبوضة عنها . ونوءها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثانى يسقط الذراع فى المغرب غدوة وتطلع البلدة والنسر الطائر فى المشرق غدوة وفيه يجمد الماء ويشتد البرد والجبهة اربعة كواكب فيها عوج احدها براق وهو اليمانى منها . وانما سميت الجبهة لانها جبهة الاسد ونوءها يكون لعشر تمضى من شباط تسقط الجبهة فى المغرب غدوة ويطلع سعد السعود من المشرق غدوة وفيه تقع الجمرة الثالثة ويتحرك اول العشب ويصوت الطير ويورق الشجر ويكون مطر جود ويسمى نوء الاسد لانه يتصل بها كواكب فى جبهة الاسد . وخص الشاعر هاتين المنزلتين لان السحاب الذى ينشأ بنوء من منازل الاسد يكون مطره غزيرا فلذلك يسر به . قال الاعلم وصف عارض سحاب اعترض بين نوء الذراع ونوء الجبهة وهما من انوآء الاسد وانوآؤه احمد الانوآء . وذكر الذراعين والنوء انما هو للذراع المقبوضة منهما لاشتراكهما فى اعصاب الاسد ونظير هذا قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يريد من البحرين الملح والعذب وانما يخرج اللؤلؤ من الملح لامنهما . وقال شاعر من بنى سعد .

وخيفاء القى الليث فيها ذراعه * فسرت وساءت كل ماش ومصرم

تمشى بها الدرماء تسحب قصبها * كأن بطن حبلى ذات اونين متم

الخيفاء روضة فيها رطب ويبس وهما لونان اخضر واصفر وكل لونين

خيف وبه تسمى الفرس اذا كانت احدى عينيها كحلاء والاخرى زرقاء وسمى الخيف خيفاً لان فيه حجارة سوداً وبيضا. وقوله القى الليث فيها ذراعه يقول مطرت بنوء الذراع وهى ذراع الاسد فسرت الماشى اى صاحب الماشية وسائت المصرم الذى لامال له لان الماشى يرعيها ماشيته والمصرم يتلهف على مايرى من حسنها وليس له مايرعيها . وقوله تمشى بها الدرماء يعنى الارنب وانما سميت الدرماء لتقارب خطوها وذلك لان الارانب تدرم درما تقارب خطوها وتخفيه لئلا يقص أثرها فيقال درماء وكان ينبغى ان يقول دارمة . وقوله تسحب قصبها وهذا مثل والقصب المعى مقصور والجمع اقصاب وانما اراد بالقصب البطن بعينه واستعاره . يقول فالارنب قدعظم بطنها من اكل الكلأ وسمنت فكانها حبلى. والاونان العدلان يقول كأن عليها عدلين لخروج جنبيها وانتفاخهما ويقال اون الحمار وغيره اذا شرب حتى ينتفخ جنباه ومتئم اسم فاعل من اتأمت المرأة اذا وضعت اثنين فى بطن فهى متئم . والشعر فى هذا الباب كثير (الثالث من انوآء الشتاء النثرة) وهى لطخة ضعيفة بين كوكبين وهى مابين فم الاسد وانفه ومن الانسان فرجة مابين الشاربين حيال وترة الانف . وقيل انما سميت نثرة لانها كقطعة سحاب نثرت (الرابع الطرف) وهو عينا الاسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى مرأى العين (الخامسة الجبهة) وهو كما سبق اربعة كواكب معوجة فى اليمانى لها

بريق وهى جبهة الاسد عندهم (السادس الزبرة) وهو كوكبان
نيران فى زبرة الاسد وهى موضع الشعر فى كتفيه ويقال لهما الخرتان
كأنهما نفذا الى جوف الاسد مشتق من الخرت وهو الثقب . وزعم
قوم انهما عجز الاسد والعيان يبطل ذلك كما قاله الزجاجى (السابع
الصرفة) وهو كوكب وقاد عنده كواكب طمس سمى بذلك لانصراف
البرد بسقوطه والحر بطلوعه . فهذه عدة المنازل وصفاتها وانما اضيفت
الى القمر دون الشمس وحظهما فيها واحد لظهورها معه . وتسمى
نجوم الاخذ لان الارض تأخذ عنها بركات المطر . وقيل لاخذ
الشمس والقمر سمتها فى سيرها .

(اقسام الانوآء وايامها لدى العرب)

اعلم ان العرب قسمت المنازل بالنسبة الى انوائها الى سبعة اقسام
على غير الوجه الذى نقلناه عن ابى اسحق الزجاجى فيما سبق (القسم
الاول من الانواء البدرى) وهو تسعة وثلاثون يوما من ثمانية ايام
خلون من ايلول الى سبعة عشر يوما حلت من تشرين الاول ونوءه
على قول من يجعل النوء سقوط الكوكب فى الغرب مع الغداة سقوط
فرغ الدلو المقدم والفرغ المؤخر والحوت (القسم الثانى الوسمى)
وهو اثنان وخمسون يوما ومبدؤه من سبعة عشر يوما خلت من تشرين
الاول الى تسعة ايام تمضى من كانون الاول ونوءه سقوط الشرطين
والبطين والثريا والدبران (القسم الثالث الولى) وهو مائة وثلاثون

يوما . ومبدؤه من تسعة ايام تمضى من كانون الاول الى ثمانية عشر يوما تمضى من نيسان ونوءه سقوط الهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك (القسم الرابع الغمير والمد) وهما متداخلان وهما اثنان وخمسون يوما . ومبدؤه من ثمانية عشر يوما من نيسان الى تسعة ايام تمضى من حزيران ونوءه سقوط الغفر والزبانى والاكليل والقلب (القسم الخامس البسرى) وهو ستة وعشرون يوما ومبدؤه تسعة ايام تمضى من حزيران الى خمسة ايام تمضى من تموز وتسميه العامة النفاخ لانه يكبر فيه البلح فيصير بسرا وكذلك الفواكه والسماك ونوءه سقوط الشولة والنعائم (القسم السادس بارح القيظ) ويسمى ايضاً رياح القيظ الشديدة وهى السموم وتسميه العامة الطباخ لانه يطبخ البسر الذى ينفخه البسرى فيصير رطبا وهو تسعة وثلاثون يوما ومبدؤه من خمسة ايام مضين من تموز الى ثلاثة عشر يوما خلت من آب ونوءه سقوط البلدة وسعد بلع وسعد الذابح (القسم السابع احراق الهوى) وهو ستة وعشرون يوما . من ثلاثة عشر يوما من آب . الى ثمانية ايام من ايلول ونوءه سقوط سعد السعود وسعد الاخبية .

(البعد بين المنازل)

اعلم ان البعد من الشرطين الى البطين اثنتا عشرة درجة . ومن البطين الى الثريا ثلاث عشرة درجة . ومن الثريا الى الدبران خمس

عشرة درجة . ومن الدبران الى الهقعة اربع عشرة درجة. ومن الهقعة الى الهنعة ست عشرة درجة . ومن الهنعة الى الذراع كذلك. ومن الذراع الى النثرة ثلاث عشرة درجة .ومن الطرف الى الجبهة عشر درجات . ومن الجبهة الى الزبرة اربع عشرة درجة . ومن الزبرة الى الصرفة ثلاث عشرة درجة . ومن الصرفة الى العوآء ست عشرة درجة . ومن العوآء الى السماك اثنتا عشرة درجة . ومن السماك الى الغفر مثل ذلك . ومن الغفر الى الزبانى مثل ذلك ايضاً وتسمى هذه متساوية الابعاد . ومن الزبانى الى الاكليل اربع عشرة درجة . ومن الاكليل الى القلب خمس عشرة درجة . ومن القلب الى الشولة ست عشرة درجة . ومن الشولة الى النعائم عشرون درجة . ومن النعائم الى البلدة تسع درجات وهى اوسط الابعاد . ومن البلدة الى سعد الذابح احدى عشرة درجة . ومن سعد الذابح الى سعد بلع عشر درجات . ومن سعد بلع الى سعد السعود مثل ذلك. ومنه الى سعد الاخبية مثل ذلك . ومنه الى الفرغ المقدم مثل ذلك . وهذه الاربعة متساوية الابعاد . ومنه الى الفرغ المؤخر تسع عشرة درجة .

(ماتقوله العرب فى طلوع المنازل والكواكب)

قال ابن قتيبة فى كتاب الانوآء يقول ساجع العرب (اذا طلع الشرطان) استوى الزمان . وحضرت الاوطان . وتهادى الجيران

(اذا طلع البطين) اقتضى الدين . وظهر الزين . واقتنى بالعطار والقين (اذا طلع النجم) يعنى الثريا فالحر فى حدم . والعشب فى حطم والعانات فى كدم (اذا طلع الدبران) توقدت الحزان . وكرهت النيران . واستعرب الزبان . ويبست الغدران . ورمت بانفسها حيث شاءت الصبيان (اذا طلعت الهقعة) تقوض الناس للقلعة . ورجعوا عن النجعة واردفتها الهنعة (اذا طلعت الجوزآء) توقدت المعزاء . وكنست الظباء . وعرقت العلباء . وطاب الخباء (اذا طلعت العذرة) لم يبق بعمان بسرة . الا رطبة او تمرة (اذا طلع الذراع) حسرت الشمس القناع . واشعلت فى الافق الشعاع . وترقرق السراب بكل قاع . (اذا طلعت الشعرى) نشف الثرى . وجعل صاحب النخل يرى (اذا طلعت النثرة) قنأت البسرة . وجنى النخل بكرة . واوت المواشى حجرة . ولم تترك فى ذات در قطرة (اذا طلعت الطرفة) بكرت الخرفة . وكثرت الطرفة . وهانت للضيف الكلفة (اذا طلعت الجبهة) تهافت الولهة . وتنازت السفهة . وقلت فى الارض الرفهة (اذا طلعت الصرفة) احتال كل ذى حرفة . وحفر كل ذى نطفة وامتيز عن المياه زلفة (اذا طلع العوآء) ضرب الخباء وطاب الهوآء وكره العرآء . وشنن السقاء (اذا طلع السماك) ذهب العكاك . وقل على الماء اللكاك (اذا طلع الغفر) اقشعر السفر . وتزيل النظر . وحسن فى العين الجمر (اذا طلع الزبانى) احدثت لكل ذى عيال شانا .

ولكل ذى ماشية هواما . وقالوا كان وكانا . فاجمع لاهلك ولا توانى (اذا طلع الاكليل) هاجت الفحول . وتخوفت السيول (اذا طلع القلب) جاء الشتاء كالكلب . وصار اهل البوادى فى كرب . ولم يمكن الفحل الا ذات ترب (اذا طلعت الشولة) اعجلت الشخ البولة . واشتدت على العائل العولة . وقيل شتوة زولة (اذا طلعت العقرب) جمس المذنب . وقر الاشيب . ومات الجندب . ولم يصر الاخطب (اذا طلعت النعائم) توسقت البهائم . وخاص البرد الى كل نائم . وتلاقت الرعاء بالتمائم (اذا طلعت البلدة) خمت الجعدة وانحلت القشدة وقيل للبرد اهده (اذا طلع سعد الذابح) حمى اهله النابح . ونفع اهله الرابح . وتصبح السارح . وظهر فى الحى الانافح (اذا طلع سعد بلع) اقتحم الربع . ولحق الهبع . وصيد المرع . وصار فى الارض لمع (اذا طلع سعد السعود) نضر العود . ولانت الجلود . وكره فى الشمس القعود (اذا طلع سعد الاخبية) وهنت الاسقية . ونزلت الاحوية . وتجاورت الابنية (اذا طلع الدلو) هيب الجذو . وانسل العفو . وطلب اللهو والخلو (اذا طلعت السمكة) امكنت الحركة . وتعلقت الحسكة . ونصبت الشبكة . وطاب الزمان للنسكة . ولهم غير ذلك من الاسجاع فى سائر الكواكب وانوائها واستيعابها فيما اعد لها من الكتب .

(الطالع والغارب من المنازل والرقيب منها)

اعلم ان المنازل لما كانت ثمانية وعشرين كانت ثلاثة عشر منها ظاهرة فى الافق الاعلى وثلاثة عشر فى الافق الاسفل والطالع فى حكم الطلوع والغارب فى حكم الغروب . فاذا عرفت الطالع كان رقيبه الخامس عشر . وانما سمى الغارب رقيباً تشبيهاً له برقيب يرصده ليسقط من المغرب اذا ظهر ذلك من المشرق والطالع والغارب كما يعدان لاهل الافق الاعلى كذلك يعدان لاهل الافق الاسفل . وبقية الثلاثة عشر الظاهرة . واحد متوسط فى خط السماء . وستة منها الى جهة المشرق . وستة الى المغرب . وكذلك الثلاثة عشر السفلية . فاذا غربت منزلة طلعت من المشرق اخرى فيتوسط مابعد المتوسط فى العدد ومهما كان الطالع فالخامس عشر منه والثامن منه متوسط .

(بروج الفلك الاثنا عشر)

قسم العرب الفلك الى اثنى عشر قسماً وسموا كل قسم برجا . وهى الحمل والثور والجوزآء ويسمى التوأمين والسرطان والاسد والسنبلة وتسمى العذرآء ايضاً . وهذه البروج الست شمالية والميزان والعقرب والقوس ويسمى الرامى ايضاً والجدى والدلو ويسمى ساكب الماء والدالى ايضاً والحوت ويسمى السمكتين ايضاً . وهذه الست جنوبية وجعلوا كل ثلاثة منها لفصل من فصول السنة الاربعة ونظم بعضهم هذه البروج على الترتيب المعتبر عندهم فقال .

حمل الثور جوزة السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس جديا * نزحت دلوها بركة الحيتان

وهذه الاسامى المذكورة ماخوذة من صور توهمت على المنطقة من كواكب ثابتة تنظمها خطوط موهومة وقعت وقت التسمية فى تلك الاقسام (فللحمل) ثلاثة عشر كوكباً على صورة غنم ذى قرنين مقدمه الى المغرب ومؤخره الى المشرق وظهره الى الشمال ورجلاه فى الجنوب وقد التفت الى خلفه (وللثور) اثنان وثلاثون كوكباً على صورة مقدم ثور مقطوع من سرته وقد نكس رأسه مقدمه الى المشرق ومؤخره الى المغرب ومن كواكبه الثريا والدبران (وللتوءمين) ثمانية عشر على صورة صبيين عريانين معتنقين فى جوز السماء اى وسطها رأساهما فى الشمال والمشرق اى فيما بينهما . وارجلهما الى المغرب والجنوب (وللسرطان) تسعة كواكب على صورته مقدمه الى المشرق والشمال ومؤخره الى المغرب والجنوب (وللاسد) سبعة وعشرون على صورته وجهه الى المغرب وظهره الى الشمال والنير الذى هو فيها هو قلب الاسد . ومنها الهلبة وهى كواكب مجتمعة متكاثفة من جملتها الضفيرة (وللعذراء) ستة وعشرون كوكباً على صورة جارية ذات جناحين ارسلت ذيلها ورأسها الى المغرب والشمال . وقدماها الى المشرق والجنوب ويدها اليسرى مسبلة مع جنبها واليمنى مرفوعة حذو منكبيها . وقد قبضت بها سنبلة والنير الذى على كفها اليسرى هو السماك الاعزل (وللميزان) ثمانية على صورة ميزان كفتاه نحو

المغرب وعموده نحو المشرق (والعقرب) احد وعشرون على صورتها
رأسها الى الشمال وحمتها نحو الجنوب والمشرق والاحمر الذى فيه
هو قلب العقرب (والرامى) احد وثلاثون كوكباً على صورة كأنها
جسد دابة الى العنق وهو فى المشرق ثم يخرج من مغرز العنق نصف
رجل من عند الحقو عليه عمامة ذات ذوائب وقد وضع السهم فى قوسه
واغرق فى النزع نحو المغرب (والجدى) ثمانية وعشرون كوكباً
على صورة النصف المقدم من جدى ذى قرنين رأسه ويداه نحو
المغرب وظهره الى الشمال والباقى كمؤخر سمكة الى ذنبها (ولساكب الماء)
اثنان واربعون كوكباً على صورة رجل قائم رأسه فى الشمال
ورجلاه فى الجنوب متوجه الى المشرق مادّ اليدين باحداهما كوز
قد قلبه وانصب الماء الى مقام رجليه وجرى من تحتهما الى فم الحوت
(وللسمكتين) اربعة وثلاثون على صورة سمكتين قد وصل ذنب
احداهما بذنب الاخرى بخيط طويل من كواكب على تعريج يسمى
خيط الكتان احداهما وهى المتقدمة رأسها الى المغرب وذنبها الى
المشرق ورأس الاخرى الى الشمال وذنبها الى الجنوب . ولا يذهب
عليك ان هذه الكواكب عند البروج متحركة بحركة الفلك الثامن فلا
محالة تنتقل هذه الصور عن مواضعها فى تلك الاقسام والله تعالى اعلم

(فصول السنة على مذهب العرب ومالهم فيها من الاختلاف)

اعلم ان العرب قسموا السنة الى اربعة اجزاء (فجعلوا الجزء

الاول الصفرية) وسموا مطره الوسمي واوله عندهم سقوط عرقوة الدلو السفلى و آخره سقوط الهقعة (وجعلوا الجزء الثاني الشتاء) واوله عندهم سقوط الهنعة و آخره سقوط الصرفة (وجعلوا الجزء الثالث الصيف) واوله عندهم سقوط العوآء و آخره سقوط الشولة (وجعلوا الجزء الرابع القيظ) وسموا مطره الخريف واوله عندهم سقوط النعائم و آخره سقوط عرقوة الدلو العليا كذا في كتاب در اللئالي . وقال ابن قتيبة في باب مايضعه الناس في غير موضعه وهو اول كتابه ادب الكاتب ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنور ولا يعرفون الربيع غيره . والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده . ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع . ثم فصل القيظ بعده وهو الذي تدعوه العامة الصيف . ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول . ويسمي الفصل الذي يتلو الشتاء ويأتي فيه الكماة والنور الربيع الثاني . وكلهم مجمعون على ان الخريف هو الربيع . قال شارحه ابن السيد مذهب العامة في الربيع هو مذهب المتقدمين لانهم كانوا يجعلون حلول الشمس برأس الحمل اول الزمان وشبابه . واما العرب فانهم جعلوا حلول الشمس برأس الميزان اول فصول السنة الاربعة وسموه الربيع

واما حلول الشمس برأس الحمل فكان منهم من يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيعان . وكان منهم من لا يجعله ربيعاً ثانياً فيكون في السنة على مذهبهم ربيع واحد واما الربيعان من الشهور فلا خلاف بينهم انهما اثنان ربيع الاول وربيع الاخر . وقال المرزباني في كتاب صنفه في الانواء اتى فيه بفوائد كثيرة مقداره مائة وعشرون كراسة «ومن العرب» من يقسم السنة نصفين ويبدأ بالشتاء لانه ذكر والصيف انثى قال وانما جعلوه انثى لان النبات يظهر فيه. ثم يقسم الشتاء نصفين فيجعل الشتاء اوله والربيع آخره . ويقسم الصيف نصفين فيجعل الصيف اوله والخريف آخره . وفي بعض التعاليق ان من العرب من يجعل السنة ستة ازمنة (الاول الوسمي) وحصته من السنة شهران ومن النجوم اربعة انجم اولها العوآء (الزمن الثاني الشتاء) وحصته من السنة شهران ومن النجوم اربعة وثلثا نجم (الزمن الثالث الربيع) وحصته شهران ومن النجوم اربعة وثلثا نجم (الزمن الرابع الصيف) وحصته شهران ومن النجوم اربعة وثلثا نجم (الخامس الحميم) وحصته شهران واربعة انجم وثلثا نجم (السادس الخريف) وحصته شهران واربعة انجم وثلثا نجم . والذي عليه الغالب من العرب ان الفصول اربعة وهي المشهورة بين الناس وان لكل فصل من فصول السنة سبعة منازل فللربيع من الشرطين الى الذراع . وللصيف من النثرة الى السماك . وللخريف من الغفر الى البلدة . وللشتاء من سعد الذابح

الى الرشا . والاوائل من الاطباء وان كانوا يقسمون السنة على اربعة اقسام الا انهم يجعلون الصيف والشتاء اطول زمانا من الربيع والخريف فيجعلون للشتاء اربعة اشهر وللصيف كذلك وللربيع والخريف اربعة اشهر لكل شهران لكونهما متوسطين بين الحر والبرد فكانهما وصلتان بين الشتاء والصيف . وقد اعرضنا عما يستشهد به من الشعر لكل مذهب لئلا يطول الكلام .

﴿ الجمرات وسقوطها وهل هي كواكب املا ﴾

قال بعض من تكلم في الانواء ان بعض الاعراب كانوا اذا اشتد عليهم البرد دخلوا مغارات في الجبال واسعة وادخلوا معهم اغنامهم ومواشيهم من الابل والبقر والغنم ونحو ذلك . وخصوا لهم موضعاً وللاغنام موضعاً . ولنحو البقر موضعاً . واوقدوا لكل نارا دفعاً لسورة البرد فاذا احسوا بتصرمه اطفؤا ناراً فنارا الى ان يطفؤا الثلاث فعبروا عن ذلك بسقوط الجمرات وعن اطفاء كل نار بسقوط جمرة . ونحوه ماقيل ان ملوك المغل ونحوهم من سكان البلاد كانوا اذا اشتد البرد اوقدوا في مجالسهم ثلاث مجامر فاذا احسوا بتصرمه رفعوها واحدة فواحدة فعبروا عن ذلك بما ذكر . وشاع استعماله فيما بين الناس غير اولئك الفريقين كناية عن انكسار سورة البرد في الماء والهواء والتراب . وعندى ان هذا الوجه في غاية البعد فان اللفظ من اللغة العربية وعوائد المغل لم تكن معهودة للعرب يومئذ . ورأيت

لبعض المحققين فى ذلك وهو الحرى بالاصغاء اليه ان الجمرات عبارة عن كواكب ثلاثة رأس الحية وهو كوكب من كواكب الطرف والذراع الشامى وهو كوكب من كواكب الهنعة وقلب الاسد وهو كوكب من كواكب الجبهة وسميت بالجمرات لتوقدها وضربها الى الحمرة وسقوطها ميلها للغروب . وقد جرت عادة الله تعالى بظهور اثر الحرارة فى الماء عند سقوط رأس الحية فى الغداة سابع شباط وميله للغروب فى ذلك الوقت وبظهور اثرها فى الهواء عند سقوط الذراع الشامى فى الغداة ايضاً فى رابع عشره وبظهوره فى التراب عند سقوط قلب الاسد فى ذلك الوقت فى الواحد والعشرين منه . ولهذه المناسبة قالوا للاولى جمرة الماء . وللثانية جمرة الهوآء . وللثالثة جمرة التراب . وربما وقع فى التقاويم فى الترتيب سقوط جمرة الماء ثم سقوط جمرة التراب ثم سقوط جمرة الهوآء . وفى بعضها سقوط جمرة الهوآء ثم سقوط جمرة الماء ثم سقوط جمرة التراب فلعل ذلك بناء على الاختلاف فى ترتيب ظهور الآثار . وفى تقييد السقوط بقوله بالغداة اندفع اشكال لايخفى على من يعرف الطالع والغارب وذلك اذا اريد بالغداة مايعم وقت طلوع الشمس وما بعده الى الزوال . وقد يقال الامر ايضاً سهل اذا اريد بها وقت الطلوع بناء على ان قلب الاسد مثلا فى الدرجة الرابعة والعشرين من برجه وانهم يبنون الامر على الترتيب كما لايخفى على من راجع كتب الاحكام . من ذوى الافهام . وفى كتب الانواء

زيادة تفصيل لمثل هذه المطالب

(مخائل العرب والانوآء)

لما كانت العرب ايام جاهليتهم في ضنك من العيش . وكلف من الحاجة . وشدة من العوز . الحوا في تتبع مواقع القطر . واوغلوا في بطون الاودية . وجابوا منابت الشجر سداً لفم حوائجهم . وارتياداً لما يقوم بمؤنهم . ويصلح لعلف دوابهم . ومراعى ابلهم وسائر مواشيهم وكانت دارهم كثيرة القحط قليلة الانهار والعيون . فامتدت اعناقهم نحو السماء لمطالعة علائم الظفر بمقصودهم ومطلوبهم . فكانت لهم مخائل لصوادق الانوآء لاتكذب . فعرفوا السحاب الممطر من غيره وميزوا البرق الخلب عما سواه . ووصفوا الغيث والمطر باقسامه . ووقفوا على الرياح وخواصها . وادركوا مايعقبها من الحوادث من غير استناد الى آلة حدثت بعدهم بعدة قرون بل فهموا ذلك من علائم ظهرت لهم . وقد استوى في معرفتها صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم . ولذلك شواهد في منظوم كلامهم ومنثوره توقف الناظرين اليها في موقف الحيرة . لما كان عليه القوم من فصاحة المنطق وذرب اللسان . وحلاوة التعبير وسعة نطاق البيان . وبدا لي اورد من ذلك غالب ماذكره الامام ابو بكر محمد بن الحسن الشهير بابن دريد الازدي في كتاب المطر والسحاب محيلا شرح الالفاظ الى ذلك الكتاب روما للاختصار . وهو كتاب جليل جمع فيه ماذكرته العرب في جاهليتها

واسلامها من وصف المطر والسحاب ومانعته العرب الرواد من البقاع مع الشرح المبسوط لالفاظه (روى ابوبكر ابن دريد بسنده) قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم جالساً مع اصحابه اذنشأت سحابة . فقالوا يارسول الله هذه سحابة . قال كيف ترون قواعدها . قالوا مااحسنها واشد تمكنها. قال وكيف ترون بواسقها قالوا مااحسنها واشد استقامتها . قال وكيف ترون برقها اوميضاً ام خفواً ام يشق شقاً. قالوا بل يشق شقاً. قال وكيف ترون جونها قالوا مااحسنه واشد سواده .فقال الحيا فقالوا يارسول الله مارأينا الذى هو افصح منك قال ومايمنعني وانما نزل القرآن بلساني بلسان عربي مبين

(وروى بسنده عن الاصمعى) قال خرج معقر ابن حماد البارقى ذات يوم وقد كف بصره وابنته تقوده فسمع رعداً فقال لابنته ماترين قالت اراها حماء عقاقة. كأنها حولاء ناقة .لها سيروان وصدردان .فقال مرى فلابأس عليك .ثم سمع رعداً آخر فقال ماترين فقالت اراها كأنها لحم ثدت منه مسيك ومنه منهرت . فقال واابلى الجئ بى الى قفلة فانها لاتنبت الا بنجاة من السيل .

(وروى بسنده الى عم الاصمعى) قال سئل اعرابى عن مطر فقال استقل سد مع انتشار الطفل . فشصا واحزأل . ثم اكفهرت ارجاؤه . واحمومت ارحاؤه . وابذعرت فوارقه . وتضاحكت بوارقه. واستطار وادقه. وارتتقت جوبه. وارثعن هيدبه . وحشكت

اخلافه . واستقلت اردافه . وانتشرت آكنافه . فالرعد مرتجس والبرق مختلس . والماء منبجس . فاترع الغدر . وانبث الوجر . وخلط الاوعال بالآجال . وقرن الصيران بالرئال . فللاودية هدير وللشراج خرير . وللتلاع زفير . وحط النبع والعتم . من القلل الشم . الى القيعان الضخم . فلم يبق في القلل الامعتصم مجرنثم . اوداحض مجرجم . وذلك من فضل رب العالمين على عباده المجرمين.

(وروى بسنده عن الاصمعى) قال سألت اعرابياً من بنى عامر بن صعصعة عن مطر صاب بلادهم . فقال نشأ عارضا . فطلع ناهضا . ثم ابتسم وامضا . فاعس فى الاقطار فاسجاها . وامتد فى الآفاق فغطاها . ثم ارتجز فهمهم . ثم دوى فاظلم . فارل ودث . وبغش وطش . ثم قطقط فاخرط . ثم ديم فاغمط . ثم ركد فاثجم . ثم وبل فسجم . وجاد فانعم . فقمس الزبى . وافرط الربى . سبعاً تباعا . مايريد انقشاعا . حتى اذا ارتوت الحزون . وتضحضحت المتون . ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من حيث شاء .

(وروى بسنده عن عبد الرحمن عن عمه) قال سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جدب . فقال نشأ حلا سد . متقاذف الاحضان . محمومى الاركان . لماع الاقراب . مكفهر الرباب . تحن رعوده حنين اضطراب . وتزمجر زمجرة الليوث الغضاب . لبوارقه التهاب . ولرواعده اضطراب . فجاحفت صدوره الشعاف . وركبت

انجازه التفاف . ثم القى اعبائه وحط اثقاله . فتالق واصعق . وانبجس وانبعق . ثم انحم فانطلق . فغادر النهاء مترعة . والغيطان ممرعة . حياء للبلاد . ورزقا للعباد .

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال سمعت اعرابياً من غني يذكر مطراً اصابهم غب جدب . فقال تدارك ربك خلقه . وقد كابت الامحال . وتقاصرت الامال . وعكف الياس . وكظمت الانفاس واصبح الماشي مصرما . والمثري معدما . وجفيت الحلائل . وامتهنت العقائل . فانشأ الله سحابا نشأ ركاما . كنهوراً سجاما . بروقه متألقة ورعوده متقعقعة . فسح ساحيا ركدا ثلاثا غير ذي فواق . ثم امر ربك الشمال فطحرت ركامه . وفرقت جهامه . فانقشع محمودا وقد احيا فاغنى . وجاد فاروى . فالحمد لله الذي لاتكت نعمه . ولا تنفد قسمه . ولايخيب سائله . ولا ينزر نائله .

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال كان شيخ من الاعراب في حيائه وابنة له بالفناء . اذ سمع رعداً فقال ماترين يابنية . فقالت اراها حواء قرحاء . كأنها اقراب اتان قمراء . ثم سمع راعدة اخرى فقال كيف ترينها . قالت اراها جمة الترجاف . متساقطة الاكناف . تتالق بالبرق الولاف . قال هلمي المغرفة انى نؤيا .

(وعن الاصمعي ايضا) قال وقف اعرابي على ابي المكنون النحوي وهو في حلقته فسأله فقال له مكانك حتى افرغ لك فدعوا استسقى

ثم قال اللهم ربنا والهنا ومولانا صل على نبينا محمد ومن ارادنا بسوء فاحط ذلك السوء به . احاطة القلائد . بترائب الولائد . ثم ارسخه كرسوخ السجيل . على اصحاب الفيل . اللهم اسقنا غيثاً مزناً طبقاً مريعاً تاماً مجلجلاً مسحنفراً هزجاً سحاً سفوحاً غدقاً مثعنجراً . قال فولى الاعرابى مدبراً . فقال له مكانك حتى اقضى حاجتك قال الطوفان ورب الكعبة حتى آوى عيالى الى جبل يعصمهم من الماء .

(وروى بسنده عن الاصمعى) قال مررت بغلمة من الاعراب يتماقلون فى غدير . فقلت لهم ايكم يصف لى الغيث واعطيه درهماً فخرجوا الى فقالوا كلنا وهم ثلاثة فقلت لهم صفوا فايكم ارتضيت وصفه اعطيته الدرهم « فقال احدهم » عن لنا عارض قصرا تسوقه الصبا وتحدوه الجنوب يحبو حبو المعتنك حتى اذا ازلامت صدوره . وانحلت خصوره . ورجع هديره . واصعق زئيره . واستقل نشاصه . وتلام حصاصه . وارتعج ارتعاصه . واوقدت سقابه . وامتدت اطنابه . تدارك ودقه . وتألق برقه . وحفزت تواليه . واسفحت عزاليه . فغادر الثرى عمدا . والغرار تثما . والخبا عقدا . والضحاضح متواصية . والشعاب متداعية « وقال الآخر » تراءت المخائل من الاقطار . تحن حنين العشار . وتترامى بشهب النار . قواعدها متلاحكة . وبواسقها متضاحكة . وارجاؤها متقاذفة . واعجازها مترادفة . وارحاؤها متواصفة . فواصات العرب بالشرق والوبل بالودق . سحا دراكا . متتابعا

لكا كا . فضحضحت الجفاجف . وانهرت الصفاصف . وحوضت الاصالف . ثم اقلعت محمودة الاثار . مومومقة الخيار « فقال الثالث » والله ماخلته بلغ خمسا . فقال هلم الدرهم اصف لك فقلت لا او تقول كما قالا . قال لابدنهما وصفا . ولاوقفنهما رصفا . فقلت هات لله ابوك . فقال بينما الحاضر بين الياس والابلاس . قدغمرهم الاشفاق ورهبة الاملاق . وقد جفت الانواء . ورفرف البلاء . واستولى القنوط على القلوب . وكثر الاستغفار من الذنوب . ارتاح ربك لعباده فانشأ سحابا مستجهرا كنهورا . معنونكا محلولكا . ثم استقل واحزأل . فصار كالسماء دون السماء . وكالارض المدحوة فى لوح الهواء . فاحسب السهول . واناق الهجول . واحيا الرجاء . وامات الضراء . وذلك من فضل رب العالمين . قال فلأ والله اليفع صدرى فاعطيت كل واحد درهماً وكتبت كلامهم .

(وروى عن ابى حاتم عن الاصمعى) قال سألت اعرابياً عن مطر اصابهم بعد جدب . فقال ارتاح لنا ربك بعد مااستولى على الظنون . وخامر القلب القنوط . فانشأ بنوء الجبهة قزعة كالفرض من قبل العين فاحزألت عند ترجل النهار . لاذميم السرار . حتى اذا نهضت فى الافق طالعه امر مسخرها الجنوب . فتنسمت لها فانتشرت احضانها . واحمومت اركانها . وبسق عنانها . واكفهرت رحاها وانبجت كلاها . وذمرت اخراها اولاها . ثم استطارت عقايقها .

وارتجت بوارقها . وتقعقعت صواعقها. ثم ارتعنت جوانبها . وتداعت سواكبها . ودرت حوالبها . فكانت الارض طبقا سح فهضب . وعم فاحسب . فعل القيعان . وضحضح الغيطان . وخوخ الاضواج . واترع الشراج . فالحمد لله الذي جعل كفاء اسائتنا احسانا . وجزاء ظلمنا غفرانا .

(وروى عن عبد الرحمن عن عمه) قال سمعت اعرابيا من بني عامر بن لوى بن صعصعة يصف مطراً فقال نشأ عند القصر بنوء الغفر حيياً عارضا . ضاحكا وامضا . فكلا ولا ماكان . حتى سحبت به اقطار الهواء . واحتجبت به السماء . ثم اطرق فاكفهر وتراكم فادلهم . وبسق فازلام . ثم حدت به الريح فخن فالبرق مرتجج والرعد متبوج . والخروج تنبجج . فانجم ثلاثا . متحيراً هتهانا . اخلافه حاشكة . ودفعه متواشكة . وسوامه متعاركة . ثم ودع منجما . واقلع متهما . محمود البلاء . مترع النهاء . مشكور النعماء . بطول ذى الكبرياء .

(وروى بسنده عن اشياخ من بني الحرث بن كعب) قالوا اجدبت بلاد مذحج فارسلوا رواداً من كل بطن رجلا . فبعث بنو زبيد رائداً . وبعثت جعفى رائداً . وبعثت النخع رائدا . فلما رجع الرواد قيل لرائد بني زبيد ماوراءك . قال رأيت ارضاً موشمة البقاع ناتجة النقاع . مستحلسة الغيطان . ضاحكة القريان . واعدة واحر بوفائها . راضية ارضها عن سمائها « وقيل لرائد جعفى ماوراءك » فقال

رأيت ارضاً جمعت السماء اقطارها. فاترعت اصبارها. وديثت اوعارها فبطنانها عمقه. وظهرانها غدقه. ورياضها مستوسقه. ورقاقها رائخ. وواطيها سائخ. وماشيها مزور. ومصرمها محسور « وقيل للنخعي ماوراءك » فقال مداحي سيل. وزهاء ليل. وغيل يواصي غيل قدارتوت اجرازها. ودمث عزازها. والتبدت اقوازها. فرائدها انق. وراعيها مستنق. فلا قضض ولا رمض. عازبها لايفزع. ووا ردها لاينكع. فاختاروا مرار النخعي.

(وروى عن عمه عن ابن الكلبي) قال خطب ابنة الخس الايادية ثلاثة نفرمن قومها. وارتضت انسابهم وجمالهم. وارادت ان تسبر عقولهم. فقالت لهم اني اريد ان ترتادولي مرعى. فلما اتوها قالت لاحدهم مارأيت. قال رأيت بقلا وبقيلا. وماء غدقا سيلا. يحسبه الجاهل ليلا. قالت امرعت « قال الاخر » رأيت ديمة بعد ديمه. على عهاد غير قديمه. فالناب يشبع قبل الفطيمه « قال الثالث » رأيت غيثاً ثغدا. مغدا متراكما جعدا. كافخاذ نساء بني سعد. تشبع منه الناب وهي نعد.

(وروى عن ابي حاتم عن ابي عبيدة) قال خرج النعمان في بعض ايامه في عقب سماء فاتى اعرابياً على ناقة فاسر فاتى به. فقال كيف تركت الارض وراءك. فقال فيح رحاب. منها السيول ومنها الصحاب. منشوطة بحالها. حاملة لا هالها. قال انما سألتك عن السماء

قال مطلة مستقلة على غير سقاب ولا اطناب . يختلف عصراها . ويتعاقب سراجاها . قال ليس عن هذا اسألك قال فسل مابدالك قال هل صاب الارض غيث . قال نعم اغمطت السماء في ارضنا ثلاثا رهوا فترت وارزغت ورسغت . ثم خرجت من ارض قومي اقرؤها فاذا هي متواصية لاخطيطة بينها حتى هبطت بعشار . فتداعى السحاب من الاقطار . فجاءنا بالسيل الجرار . فعفا الآثار . وملأ الجفار . وفور عالى الاشجار . فاحجر الحضار . ومنع السفار . ثم اقلع عن نفع واضرار . فلما اتلابت لى القيعان . ووضحت السبل في التيطان . وفات الغنان . من اقطار الاعنان . فلم اجد وزرا الا الغيران . فمات جار الضبع فغادرت السهول كالبحار . تتلاطم بالتيار . والحزون متلفعة بالغثاء . والوحوش مقذوفة على الارجاء . فما زلت اطأ السماء . واخوض الماء . حتى وطأت ارضكم .

(وروى عن ابي حاتم عن ابي عبيدة) قال وقف اعرابي على قوم من الحاج فقال يا قومي بدأ شاني والذي الجأني الى مسألتكم ان الغيث كان قد قوى عنا . ثم تكرفأ السحاب . وشصا الرباب . وادلهم سيقه . فارتجس ريقه . وقلنا هذا عام باكر الوسمي . محمود السمى . ثم هبت له الشمال . فاحزألت طخاريره . وتقزع كرفيه متباشرا . ثم تتابع لمعان البرق . حيث تشيه الابصار . وتحده النظار . ومرت الجنوب مائه . فقوض الحي مزلأمين نحوه . فسرحنا المال فيه .

وكان وخماً وخيما . فاساف المال . واضف الحال . فرحم الله امرأ جاد بمير . اودل على خير .

(وروى ابو حاتم عن العتبي) قال حدثني ابي قال خرج الحجاج الى ظهرنا هذا فاتى اعرابا قد انحدروا للميرة فقال كيف تركتم السماء وراءكم. فقال متكلمهم لمثل القوائم حيث انقطع الرمث بضرب فيه نقير . وهو على ذلك يعضد ويرسغ . ثم اصابتنا سماء اميثل منها تسيل الدماث والتلعة الزهيدة . فلما كنا حذآء الحفر اصابنا ضرس جود ملأ الاخاد . فاقبل الحجاج على زياد بن عمرو العتكي فقال مايقول هذا الاعرابي . قال وما انا وما يقول انما انا صاحب سيف ورع . قال بل انت صاحب مجذاف وقلس اسج فجمل يفحص الثرى ويقول لقد رأيتني وان المصعب ليعطيني المائة الف وهاانا اسج بين يدى الحجاج .

وروى عن عبد الرحمن عن عمه) قال قال ابو مجيب وكان اعرابياً من بنى ربيعة بن مالك لقد رأيتنا فى ارض عجفاء . وزمان اعجف . وشجر اعسم . فى قف غليظ . فبينما نحن كذلك اذ انشأ الله تعالى من السماء غيثاً مستكفاً نشوه . مسبلة عزاليه . ضخاما قطره . جوداً صوبه . زاكيا انزله الله تعالى رزقا لنا . فتعيش به اموالنا . ووصل به طرقنا . واصابنا وانا لبنوطة بعيدة الارجاء فاهرس مطرها حتى رأيتنا وما نرى غير السماء والماء . وضهوات

الطلح . وضرب السيل النجاف . وملأ الاودية فرعتها فما لبثا الا عشرا حتى رأيتها روضة تندى .

(وعن عبد الرحمن عن عمه) قال شام اعرابي برقا فقال لابنته انظري اين تريته فقالت .

اناخ بذي بقر بركه * كأن على عضديه كتافا

« ثم قال عودي فشيمي فقالت »

نحته الصبا ومرته الجنوب * وانتحفته السماء انتحافا

(وروى بسنده عن الاصمعي) قال كان اعرابي ضرير تقوده ابنته وهي ترعى غنيمات لها فرأت سحابا فقالت ياابت جاءتك السماء . فقال كيف تريتها . قالت كأنها فرس دهماء تجر جلالها . قال ارعي غنيماتك فرعت مليا . ثم قالت ياابت جاءتك السماء . قال كيف تريتها . قالت كأنها عين جمل طريف . قال ارعي غنيماتك فرعت مليا . ثم قالت ياابت جاءتك السماء . قال كيف تريتها . قالت سطحت وابيضت . قال ادخلي غنيماتك . قال فجاءت السماء بشيء شطا له الزرع واينع وخضر ونضر .

(وروى ابو الفرج الاصبهاني) في الاغاني بسنده قال كان من حديث زهير بن خباب الكلبي انه كان قد بلغ عمراً طويلا حتى ذهب عقله وكان يخرج تائهاً لايدري اين يذهب فتلحقه المرأة من اهله والصبي فيرده . ويقول له اني اخاف عليك الذئب ان يأكلك فاين

تذهب . فذهب يوما من ايامه . ولحقته ابنة له فرجع معها يهدج كأنه رأل . وراحت عليهم سماء فى الصيف فعلتهم منها بغشة ثم اردفها غيث منكر . وسمع له زجلا منكرا . فقال انعتيه لى . فقالت اراه منبطحاً مسلنطحا . قدضاق ذرعا . وركب ذرعا . ذاهيدب يطير . وهماهم وزفير . ينهض نهض الكسير . عليه مثل شباريق الساج . فى ظلمة الليل الداج . يتضاحك مثل شعل النيران . يهرب منه الطير ويوائل منه الحشرة . قال اى بنية وائلى منه الى عصر . قبل ارلا عين ولا اثر * وفى هذا الفن كثير من المنظوم وقد ذكر منه نبذة غير يسيرة فى كتاب جزيرة العرب للهمدانى . والله ولى التوفيق .

(ومن علومهم علم القيافة والعيافة)

اعلم ان القيافة على قسمين قيافة الاثر ويقال لها العيافة وقيافة البشر . اما العيافة فهو علم باحث عن تتبع آثار الاقدام والاخفاف والحوافر فى المقابلة للاثر . وهى التى تكون فى تربة حرة يتشكل بشكل القدم ونفع هذا العلم بين اذا لقائف يجد بهذا العلم الفار من الناس والضال من الحيوان بتتبع اثارها وقوائمها بقوة الباصرة وقوة الخيال والحافظة حتى يحكى ان بعضهم يفرق بين اثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب . واما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات اعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وفى سائر احوالهما واخلاقهما . وقد فسرها ابو القاسم

الاصفهاني في كتاب الذريعة بتفسير او جز فقال والقيافة ضربان. احدها بتتبع اثر الاقدام والاستدلال به على السالكين. والثاني الاستدلال بهيئة الانسان وشكله على نسبته . وخص الاستدلال بالقيافة البشرية من العرب بنو مدلج وبنو لهب وذلك لمناسبة طبيعية حاصلة فيهم لابتعلم . قال الاصفهاني خص الله تعالى بذلك العرب ليكون سبباً لارتداع نسائهم عما يورث ذاب نسبهم وخبث حسبهم وفساد بذورهم وزروعهم صيانة للنسبة. ولاجل حفظه تعالى نسبهم بذلك قال تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا بمعرفة اصله انتهى. ويمثل ذلك قال بعض الحكماء. وحصول هذا العلم بالحدس والتخمين . لابالاستدلال واليقين . ولا يحصل بالمدارسة والتعليم فلهذا لم يصنف فيه مصنف لاحادث ولا قديم . والقيافة اليوم موجودة في بعض قبائل عرب نجد . ويقال انهم بنو مرة وهم اعلم الناس بها . وقد نقل الثقاة ممن سافر الى بلاد نجد ان كثيراً منهم يرى الاثر فيقول هذا اثر فلان وفلان . وهذا اثر بعير فلان وفلان . وهذا اثر اناس لم يطؤا الارض الفلانية . وهؤلاء اناس قدموا من كذا وكذا فلم يخلوا بشئ منها. وسمعت ان اعرابياً اتبع اثر حمار له سرقته اللصوص حتى دخل الحلة وهو ينشده حتى اوقفه اثره عليه من بين اثار حمير لاتحصى . واذا نظروا الى عدة اشخاص الحقوا الابن بابيه والاخ باخيه والقريب بقريبه وميزوا الاجنبي اذا كان بينهم . واهل

مكة فيهم من يقارب هؤلاء فترى كثيراً منهم يميز بين العراقى والشامى والمصرى والمدنى والعربى والعجمى . ولولم يكن بزيه وهيئته . وفى هذا الباب حكايات لولا تواترها لحكم عليها بما يقرب من الاستحالة. والقيافة محكوم بها فى الشرع وهى احد الطرق الحكيمة . ففى الصحيح من حديث مجزز الاسلمى انه دخل فرأى اسامة بن زيد وزيدا وعليهما قطيفة قدغطيا رؤسهما وبدت اقدامهما فنظر اليهما مجزز الاسلمى وقال ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر بذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وهى ناشئة من كمال الفطنة والذكاء ومن توابع غزارة العقل .

(ومن علومهم علم الفراسة)

وهو الاستدلال بهيئة الانسان واشكاله والوانه واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله . وربما يقال هى صناعة صيادة لمعرفة اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله تعالى على صدقها بقوله ان فى ذلك لايات للمتوسمين . وقوله تعرفهم بسيماهم . وقوله ولتعرفنهم فى لحن القول. ولفظها من قولهم فرس السبع الشات فكأن الفراسة احتلاس المعارف وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لايعرف سببه . وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحى واياه عنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله المؤمن ينظر بنور الله وهو الذى يسمى صاحبه المروع والمحدث . وقال عليه الصلوة والسلام ان يكن فى هذه الامة محدث فهو عمر . وقيل فى قوله تعالى وما كان لبشر

ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولا . انما كان وحياً بالقائه فى الروع . وذلك للانبياء كما قال عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقد يكون بالهام فى حال اليقظة وقد يكون فى حال المنام ولاجل ذلك قال عليه الصلوة والسلام الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة (والضرب الثانى من الفراسة) يكون بصناعة متعلمة وهى معرفة ما بين الالوان والاشكال وما بين الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية . ومن عرف ذلك كان ذا فهم ثاقب بالفراسة . وقد عمل فى ذلك كتب كثيرة من تتبع الصحيح منها اطلع على صدق ما ضمنوه . والفراسة ضرب من الظن وهى من توابع العقل وكلما كان العقل اكمل كانت الفراسة اقوى . ولهذا كانت العرب فيها اوفر نصيباً من غيرهم . وما روى عنهم من عجائب هذا الباب شئ كثير . من ذلك ما ذكره الامام الماوردى فى كتاب اعلام النبوة . قال ان اول من اسس لعدنان مجداً . وشيد لهم ذكراً . معد ابن عدنان . حين اصطفاه بخت نصر . وقد ملك اقاليم الارض وكان قدهم بقتله حين غزا بلاد العرب فانذره نبى كان فى وقته بان النبوة فى ولده فاستبقاه واكرمه ومكنه واستولى على تهامة بيد عالية وامر مطاع . وفيه يقول مهلهل الشاعر .

غنيت دارنا تهامة بالامس * وفيها بنو معد حلولا

ثم ازداد العز بولده نزار وانبسطت به اليد وتقدم عند ملوك الفرس

واجتباه شتاسف ملك الفرس وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال الملك مالك يانزار وتفسيره في لغتهم يامهزول فغلب عليه هذا الاسم فسمي نزارا . وفيه يقول قمة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

جديسا خلفناه وطسما بارضه * فاكرم بنا عند الفخار فخارا
فنحن بنو عدنان خلدان جدنا * فسماه تستشف الهمام نزارا
فسمي نزاراً بعد ماكان اسمه * لدى العرب خلدان بنوه خيارا

وكان لنزار اربعة اولاد مضر وربيعة واياد وانمار . فلما حضرته الوفاة وصاهم فقال يابني هذه القبة الحمرآء وما اشبهها لمضر . وهذا الخباء الاسود وما اشبهه لربيعة . وهذه الخادمة وما اشبهها لاياد . وهذه الندوة والمجلس وما اشبهه لانمار . فان اشكل عليكم واختلفتم فعليكم بالافعى الجرهمي بنجران . فاختلفوا في القسمة فتوجهوا اليه فبينماهم يسيرون اذ رأى مضر كلأً قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا الكلأ لاعور وقال ربيعة هو ازور . وقال اياد هو ابتر . وقال انمار هو شرود . فلم يسيروا قليلا حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير . فقال مضر هو اعور قال نعم . وقال ربيعة هو ازور قال نعم . وقال اياد هو ابتر قال نعم . وقال انمار هو شرود قال نعم . وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه فقالوا والله مارأيناه قال قد وصفتموه بصفته فكيف لم تروه وسار معهم الى نجران حتى نزلوا

بالافعى الجرهمي فناداه صاحب البعير هؤلاء اصحاب بعيري وصفوه لي بصفته وقالوا لم نره . فقال لهم الافعى الجرهمي كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته يرعى جانباً فعرفت انه اعور . وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه ازور وقال اياد رأيت بعره مجتمعاً فعرفت انه ابتر . وقال انمار رأيته يرعى المكان الملتف ثم يجوز الى غيره فعرفته انه شرود . فقال الجرهمي لصاحب البعير ليسو اصحاب بعيرك فاطلبه من غيرهم ثم سألهم من هم فاخبروه انهم بنو نزار بن معد فقال اتحتاجون الي وانتم كما ارى فدعا لهم بطعام فاكلوا واكل وبشراب فشربوا وشرب فقال مضر لم ار كاليوم خمراً اجود لولا انها نبتت على قبر . وقال ربيعة لم ار كاليوم لحماً اطيب لولا انه ربي بلبن كلب . وقال اياد لم ار كاليوم رجلا اسرى لولا انه يدعى لغير ابيه . وقال انمار لم ار كاليوم كلاما انفع في حاجتنا . وسمع الجرهمي الكلام فتعجب لقولهم واتى امه فسألها فاخبرته انها كانت تحت ملك لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلا من نفسها كان نزل به فوطئها فحملت منه به . وسأل القهرمان عن الخمر فقال من كرمة غرستها على قبر ابيك . وسأل الراعي عن اللحم فقال شاة ارضعتها بابن كلبة لان الشاة حين ولدت ماتت ولم يكن ولد في الغنم شاة غيرها . فقيل لمضر من اين عرفت الخمر ونباتها على قبر قال لانه اصابني عليها عطش شديد . وقيل لربيعة

من اين عرفت ان الشاة ارتضعت على لبن كلبة قال لانى شممت منه رائحة الكلب . وقيل لاياد من اين عرفت ان الرجل يدعى لغير ابيه قال لانى رأيته يتكلف مايعمله . ثم اتاهم الجرهمى وقال صفوالى صفتكم فقصوا عليه ماا وصاهم به ابوهم نزار فقضى لمضر بالقبة الحمراء والدنانير والابل وهى حمر فسمى مضر الحمراء . وقضى لربيعة بالخباء الاسود والخيل الدهم فسمى ربيعة الفرس . وقضى لاياد بالخادمة الشمطاء والماشية البلق وقضى لانمار بالارض والدراهم . وهذا الذى ظهر فى اولاد نزار من قوة الذكاء وحدة الفطنة تأسيساً لتميزهم بالفضل واختصاصهم بوفور العقل مقدمة لما يراد بهم انتهى . فانظر الى هذه الفراسة التى كادت تصل الى حد الاعجاز . وكانت فى الوصول الى مكنون الحقائق اقوم مجاز . فلله تعالى در العرب . فهم مظهر كل عجب . وقد ازدادت فيهم الفراسة بعد ان اشرقت انوار الاسلام على قلوبهم . فنظروا بنور الله تعالى المودع فى اعين بصائرهم ماخفى من غيوبهم . فقد ذكر ابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة ان الامام الشافعى القرشى كان له النصيب الاوفى منها فقد حكى انه ومحمد ابن الحسن رأيا رجلا فقال محمد انه نجار . وقال الشافعى انه حداد فسألاه عن صنعته فقال كنت حداداً والان نجار . بل ان كثيراً من اعراب البادية اليوم من له حظ منها . وسمعت ان كثيراً منهم اذا نظر الى السحاب المبراق قال امطرت ارض كذا وكذا وسال

وادى كذا وكذا ولم تمطر ارض كذا وابتدئ ارض كذا فيكون كما قال . وعرب اليمن اوفر حظاً من غيرهم فى الضرب الثانى من الفراسة والامام الشافعى اخذ ذلك عنهم وله فى هذا الفن طرائف . ففى مفتاح دار السعادة ان الامام الشافعى قال خرجت الى اليمن فى طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها ثم لما كان انصرافى مررت فى الطريق برجل وهو محتب بفناء داره ازرق العين ناتئ الجبهة فقلت له هل من منزل قال نعم قال الشافعى وهذا النعت اخبث مايكون فى الفراسة فانزلنى فرأيته اكرم رجل بعث الىّ بعشاء وطيب وعلف للدواب وفراش ولحاف وجعلت اتقلب الليل اجمع ماذا اصنع بهذه الكتب فلما اصبحت قلت للغلام اسرج فاسرج فركبت ومررت عليه وقلت له اذا قدمت مكة ومررت بذى طوى فسل عن منزل محمد بن ادريس الشافعى فقال لى الرجل امولى لابيك كنت انا قلت لا قال فهل كانت لك عندى نعمة قلت لا . قال فاين ماتكلفت لك البارحة قلت وما هو قال اشتريت لك طعاما بدرهمين وادما بكذا وعطراً بثلاثة دراهم وعلفاً لدوابك بدرهمين . وكرى الفراش واللحاف درهمان قلت فهل بقى شئ قال كرى المنزل فانى وسعت عليك وضيقت على نفسى فغبطت نفسى حينئذ بتلك الكتب . فقلت له بعد ان اعطيته ماطلب هل بقى شئ قال امض اخزاك الله فما رأيت شراً منك . وفى الكتاب المذكور ايضاً عن الربيع انه قال اشتريت للشافعى طيباً بدينار

فقال لى ممن اشتريته فقلت من ذلك الاشقر الازرق فقال اشقر ازرق اذهب فرده . وعن حرملة قال سمعت الشافعى يقول احذروا من كل ذى عاهة فى بدنه فانه شيطان قال حرملة قلت من اولئك قال الاعرج والاحول ونحوهما انتهى « قال الاصفهانى فى الذريعة » ومن الفراسة علم الرؤيا وقد عظم الله تعالى امرها فى جميع الكتب المنزلة وقال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن . وقال اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية . وقال فى قصة ابراهيم يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك . وقوله يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا . والرؤيا هى فعل النفس الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوة فى الانسان فائدة والله يتعالى عن الباطل . وهى ضربان ضرب وهو الاكثر اضغاث احلام واحاديث النفس بالخواطر الردية لكون النفس فى تلك الحال كالماء المتموج لا يقبل صورة . وضرب وهو الاول صحيح . وذلك قسمان قسم لا يحتاج الى تأويل ولذلك يحتاج المعبر الى مهارة يفرق بين الاضغاث وبين غيرها وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا تصح له رؤيا وفيهم من تصح رؤياه . ثم من صح له ذلك منهم من يرشح ان تاتى اليه فى المنام الاشياء العظيمة الخطيرة . ومنهم من لا يرشح له ذلك ولهذا قال اليونانيون يجب ان يشتغل المعبر بعبارة رؤيا الحكماء والملوك دون الطغام وذلك لان له حظاً من النبوة . وقد قال عليه

الصلوة والسلام الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وهذا العلم لايحتاج الى مناسبة بين متحريه وبينه فرب حكيم لايرزق حذقا فيه ورب نزر الحظ من الحكمة وسائر العلوم توجد له فيه قوة عجيبة. ويحكى عن العرب فى التعبير حكايات عجيبة حتى عن المولدين منهم. قال ابن القيم فى مفتاح دار السعادة حكى عن المهدى انه رأى رؤيا ونسيها فاصبح مغتماً بها فدل على رجل كان يعرف الزجر والفال والتعبير وكان حاذقا واسمه خويلد فلما دخل عليه اخبره بالذى اراده له قال له ياامير المؤمنين صاحب الزجر والفال الى الحركة فغضب المهدى وقال سبحان الله احدكم يذكر بعلم ولا يدرى ماهو ومسح يده ووجهه وضرب بها على فخذه فقال له اخبرك برؤياك ياامير المؤمنين قال هات قال رأيت كانك صعدت جبلا فقال المهدى لله ابوك ياسحار صدقت قال ماانا بسحار ياامير المؤمنين غير انك مسحت بيدك على رأسك فزجرت لك وعلمت ان الرأس ليس فوقه شئ الا السماء فاولته بالجبل ثم نزلت بيدك الى جبهتك فزجرت لك بنزولك الى ارض ملساء فيها عينان ماخلتا ثم انحدرت الى سفح الجبل فلقيت رجلا من قريش لان امير المؤمنين مسح بعد ذلك بيده على فخذه فعلمت ان الرجل الذى لقيته من قرابتك قال صدقت وامر له بمال وامر ان لا يحجب عنه ومثل هذه الحكاية كثير. قال الاصفهانى والزكانة ضرب من الفراسة ايضاً وهى معرفة فعل باطن بفعل ظاهر

بضرب من التوهم . والقيافة ضرب من الزكانة لكنها ادق وقد ذكرناها سابقاً بقسميها . والله ولى الهداية والتوفيق .

(ومن علومهم علم الكهانة والعرافة)

كان هذا العلم فى العرب ايام الجاهلية شايعاً فيهم وعليه مدار فصل خصوماتهم ومنازعاتهم وقد تكلم فى الكهانة كثير من اهل العلم وبسطوا الكلام فيها واوجزوا ونحن نلخص هنا ماوقفنا عليه « فنقول » الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرها قيل هى ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع فى الارض مع الاستناد الى سبب والاصل فيها استراق الجنى السمع من كلام الملائكة فيلقيه فى اذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذى يضرب بالحصى والمنجم . ويطلق على من يقوم بامر آخر ويسعى فى قضاء حوائجه . وقال فى المحكم الكاهن القاضى بالغيب وقال فى الجامع العرب تسمى كل من اذن بشئ قبل وقوعه كاهنا . وقال الخطابى الكهنة قوم لهم اذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فالفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب فى هذه الامور ومساعدتهم بكل ماتصل قدرتهم اليه . قال بعض الافاضل وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية خصوصاً فى العرب لانقطاع النبوة فيهم . وهى على اصناف منها مايتلقونه من الجن فان الجن كانوا يصعدون الى جهة السماء فيركب بعضهم بعضا الى ان يدنو الاعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه الى الذى يليه الى ان يتلقاه من يلقيه فى اذن الكاهن فيزيد فيه فلما جاء الاسلام

ونزل القرأن حرست السماء من الشياطين وارسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم مايخطفه الاعلى فيلقيه الى الاسفل قبل ان يصيبه الشهاب والى ذلك الاشارة بقوله تعالى الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب . وكانت اصابة الكهان قبل الاسلام كثيرة جدا كما سنبين من اخبار شق وسطيح ونحوهما واما فى الاسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل . ثانيها مايخبر به الجنى من يواليه بما غاب عن غيره مما لايطلع عليه الانسان غالباً اويطلع عليه من قرب منه لامن بعد . ثالثها مايستند الى ظن وتخمين وحدس وهذا قد يجعل الله تعالى فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه. رابعها مايستند الى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك . ومن هذا القسم الاخير مايضاهى السحر وقد يعتضد بعضهم فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم . وقال الامام النوى فى شرح صحيح مسلم الكهانة فى العرب ثلاثة اضرب . احدها ان يكون للانسان رئى من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . الثانى ان يخبره بما يطرأ ويكون فى اقطار الارض وما خفى عنه مما قرب اوبعد وهذا لايبعد وجوده . ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين واحالوهما ولا استحالة فى ذلك ولا بعد فى وجوده لكنهم يصدقون ويكذبون . والنهى عن تصديقهم والسماع منهم عام . الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى

فى بعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه اغلب ومن هذا الفن العرافة فصاحبها عراف وهو الذى يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها كالزجر والطرق بالحصى . وهذه الاضراب كلها تسمى كهانة وقد اكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم انتهى. يريد بالنهى حديث من اتى كاهناً اوعرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد . ولعل الحكمة فى النهى عن ذلك لغلبة الكذب فى كلامهم ولان فى تصديقهم فتح باب يوصل الى لظى اذقد يجر الى تعطيل الشريعة والطعن فيها لاسيما من العوام واستثناء ماهو من جنس الكسوف لندرة خطأهم فيه بل لعدمه اذا امكنوا الحساب . ولا كذلك مايخبرون به من الحوادث اذقد بنوا ذلك على اوضاع السيارات بعضها مع بعض اومع بعض الثوابت ولا شك ان ذلك لايكفى فى الغرض والوقوف على جميع الاوضاع وما تقتضيه مما يتعذر الوقوف عليه لغير علام الغيوب . وقد اطال الكلام ابن خلدون فى مقدمته على المدركات الغيبية ومنها الكهانة ومن كلامه فيها انه قال واما الكهانة فهى ايضاً من خواص النفس الانسانية وذلك ان للنفس الانسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التى فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر فى صنف الانبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشئ من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما اوحركة ولا بامر

من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة فى لحظة اقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً فى الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلى ان هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة فى ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا اعطى تقسيم الوجود ان هنا صنفاً آخر من البشر مفطوراً على ان تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عند ما يبعثها النزوع لذلك وهى ناقصة عنه بالجبلة فيكون لها بالجبلة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كالاجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سنح من طير او حيوان فيستديم ذلك الاحساس او التخيل مستعيناً به فى ذلك الانسلاخ الذى يقصده ويكون كالمشيع له وهذه القوة التى فيهم مبدأ لذلك الادراك هى الكهانة . ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها فى الجزئيات اكثر من الكليات ولذلك تكون المخيلة فيهم فى غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذاً تاماً فى نوم او يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المخيلة وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائماً ولا يقوى الكاهن على الكمال فى ادراك المعقولات لان وحيه من وحى الشيطان وارفع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذى فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ويقوى بعض الشئ على

ذلك الاتصال الناقص فيهجس في قلبه في تلك الحركة والذي يشيعها
من ذلك الاجنبي مايقذفه على لسانه فربما صدق ووافق وربما كذب
لانه يتمم نقصه بامر اجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم
فيعرض له الصدق والكذب جميعاً ولا يكون موثوقا به وربما يفزع
الى الظنون والتخمينات حرصاً على الظفر بالادراك بزعمه وتمويهاً
على السائلين واصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان
لانهم ارفع سائر اصنافهم . وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصاً بهم بمقتضى الاضافة
وقد قال لابن صياد حين سأله كاشفاً عن حاله بالاختبار كيف يأتيك
هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني
ان النبوة خاصتها الصدق فلا يعتريها الكذب بحال لانها اتصال
من ذات النبي بالملأ الاعلى من غير مشيع ولا استعانة باجنبي والكهانة
لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية
كانت داخلة في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار
مختلطاً بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة .
وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معنى السجع
اخف من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات وتدل خفة المعنى
على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشيء .
وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة

بما وقع من شان رجم الشياطين بالشهب بين يدى البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع فى القرآن . والكهان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم ايضاً كما قررناه . وايضاً فالاية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو مايتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك . وايضاً فانما كان ذلك الانقطاع بين يدى النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ماكانت عليه . وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد فى زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس لان النبوة هى النور الاعظم الذى يخفى معه كل نور ويذهب. وقد زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدى النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لابد له من وضع فلكى يقتضيه وفى تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التى دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضى وجود طبيعة من ذلك النوع الذى يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ماقررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضى وجود الكاهن اما واحداً اومتعدداً فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبى بكماله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شئ بعد . وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلكى يقتضى بعض اثره وهو غير مسلم فلعل

الوضع انما يقتضى ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزائها فلا يقتضى شيئاً لانه يقتضى ذلك الاثر ناقصاً كما قالوه . ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر النوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن باشد مما للنائم ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم فى التكذيب الاقوة المطامع فى انها نبوة لهم فيقعون فى العناد كما وقع لامية ابن ابى الصلت فانه كان يطمع ان يكون نبياً وكذا وقع لابن الصياد ولمسيلة وغيرهم . فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الامانى آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدى وسواد بن قارب . وكان لهمـا فى الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان . انتهى المقصود من نقله .

(كلام فى العرافة)

والعرافة قسيمة للكهانة حسبما يفهم من كلام كثير من اهل العلم . قال الاصفهانى فى كتاب الذريعة الكهانة مختصة بالامور المستقبلة والعرافة بالامور الماضية . وعرفها بعضهم بقوله العرافة الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على الحوادث الآتية بالمناسبة او المشابهة الخفية التى تكون بينهما او الاختلاط او الارتباط على ان يكونا معلولى امر واحد ويكون ما فى الحال علة لما فى الاستقبال وشرط كون الارتباط المذكور خفياً ان لا يطلع عليه الا الافراد وذلك اما بالتجارب او بالحالة

المودعة في انفسهم عند الفطرة . وهي كثيرة في العرب جاهلية واسلاما.
يحكى انه كان في زمن هرون الرشيد رجل اعمى من اهل العرافة
وكان يستدل على المسؤل عنه بكلام صدر عن الحاضرين عقب السؤال
فسرق يوما من خزانة الرشيد بعض من الاشياء فطلب الرجل وامر
ان لا يتكلم احد بعد السؤال اصلا ففعلوا كما امر والاعمى التي سمعه
ولم يسمع شيئاً فامرّ يده على البساط فوجد فيه نواة تمرة فقال ان
المسؤل عنه در وزبرجد وياقوت فقال الرشيد اين هو قال في بئر
فوجدوه كما ذكر الاعمى فتحير الرشيد فيه فسئل عن سبب معرفته فقال
وجدت نواة تمرة وطلع النخل ابيض وهو كالدر . ثم يكون بسرا
وهو اخضر ولون الزمرد كذلك . ثم يكون رطباً وهو احمر ولون
الياقوت كذلك . ثم لما سألتم عن مكان المسروق سمعت صوت دلو فعرفت
انه في بئر فاستحسن الرشيد استخراجه وفراسته فاعطاه مالاً جزيلا.
وحكى ان ابا معشر وصاحبه ذهبا الى عراف فسألاه عن شيء فقال
انكما سألتما عن مسجون فقالا انه يخلص قريبا ام يحبس فسألاه عن سبب
معرفته فقال انكما حين سألتماني وقع نظري على قربة ماء فعرفت
ان المسؤل عنه مسجون . ولما سألتماني عن خلاصه نظرت فاذا هو
قد فرغ قربته. ولابن خلدون كلام في حقيقة العرافة ونحوها يستحسنه
اهل النظر ولعلنا نذكره في علم الزجر .

(نبذة من اخبار بعض من اشتهر من الكهان والعرافين)

قدكان العرب على ماذكرنا سابقاً يفزعون الى الكهان والعرافين في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم . وفى كتب اهل الادب كثير من ذلك . واشتهر منهم في الجاهلية جماعة معدودون .

(منهم عزى سلمة الكاهن)

روى هشام بن محمد الكلبي عن ابيه عن ابي صالح عن عقيل ابن ابي طالب قال كان عبد المطلب بن هاشم نديماً لحارث بن امية حتى تنافرا الى نفيل بن عبد العزى فما نفر عبدالمطلب فتفرقا ومات عبد المطلب وهو ابن عشرين ومائة سنة ومات قبل الفجار فى الحرب التى بين هوازن . ويقال بل تنافرا الى عزى سلمة الكاهن قالوا كان لعبدالمطلب ماء بالطائف يقال له ذو الهرم فجاء الثقفيون فاحتفروه فخاصمهم عبد المطلب الى عزى اوالى نفيل . فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث وليس له يومئذ غيره وخرج الثقفيون مع صاحبهم وحرب بن امية معهم على عبد المطلب فنفد ماء عبد المطلب فطلب اليهم ان يسقوه فابوا فبلغ العطش منهم كل مبلغ واشفوا على الهلاك فبينا عبدالمطلب يثير بعيره ليركب اذ فجر الله له عيناً من تحت جرانه فحمدالله وعلم ان ذلك منه فشرب وشرب اصحابه ريهم وتزودوا منه حاجتهم ونفد ماء الثقفيين فطلبوا الى عبد المطلب ان يسقيهم فانعم لهم فقال له ابنه الحارث لانحنين على سيفى حتى يخرج من ظهرى . فقال عبد المطلب

لاسقينهم فلا تفعل ذلك بنفسك فسقاهم ثم اطلقوا حتى اتوا الكاهن وقد خبؤا له رأس جراده في خرزة مزادة وجعلوه في قلادة كلب لهم يقال له سوار فلما اتوا الكاهن اذاهم ببقرتين تسوقان بينهما بخرجا كاتاهما تزعم انه ولدها ولدتا في ليلة واحدة فاكل النمر احد البخرجين فهما توأمان الباقي فلما وقفا بين يديه قال الكاهن هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان قالوا لا. قال الكاهن ذهب به ذو جسد اربد. وشدق مرمع وناب معلق. ماللصغرى في ولد الكبرى حق فقضى به للكبرى. ثم قال حاجتكم قالوا قد خبأنا لك حيئاً فانبئنا عنه ثم نخبرك بحاجتنا قال خبأتم لي شيئاً طار فسطع . فتصوب فوقع . في الارض منه بقع. فقالوا لاده اي بينه . قال هو شيء طار فاستطار. ذو ذنب جرار. وساق كالمنشار . ورأس كالمسمار. فقالوا لاده. قال ان لاده فلاده هو رأس جراده . في خرز مزاده . في عنق سوار ذي القلاده. قالوا صدقت فاخبرنا فيما اختصمنا اليك فاخبرهم فانتسبوا له فقضى بينهم ورجعوا الى منازلهم على حكمه . وقد اورد هذه القصة الميداني ايضاً عند الكلام على قولهم "لاده فلاده. قال وروى ابن الاعرابي الاده فلاده . ويروى ايضاً الاده فلاده اي ان لم تعط الاثنين لا تعطى العشرة . قال ابو عبيد يضرب للرجل يقول اريد كذا وكذا فان قيل له ليس يمكن ذا قال فكذا وكذا . وقال الاصمعي معناه ان لم يكن هذا الان فلا يكون بعد الان وقال لا ادري ما اصله قال رؤبة وقول الاده

فلاده » قال المنذرى قالوا معناه الاهذه فلاهذه يعنى ان الاصل الاذه فلاذه بالذال المعجمة فعرب بالدال غير المعجمة . كما قالوا يهوذ ثم عرب فقيل يهود . وقيل اصله الادهى اى ان لم تضرب فادخل التنوين فسقط الياء وقبله .

فاليوم قدنهنهنى تنهنى * واول حلم ليس بالمسفه
وقول الاده فلاده * وحقة ليست بقول التره

يقول زجرنى زواجر العقل ورجوع حلم ليس ينسب الى السفه . وقول اى ورجوع قول اى نساء قول يقلن ان لم يتب الان مع هذه الدواعى لايتب ابداً. وقوله وحقة. اى وقالة حقة يقال حق وحقة كما يقال اهل واهلة يريد الموت وقربه انتهى. وقال عبد القادر البغدادى فى كتاب خزانة الادب بعد ان اورد هذه الابيات وصف روبة قبل هذه الابيات شبابه وما كان فيه من مغازلة الغوانى. ومواصلة الامانى الى ان قال فاليوم قدزجرنى عما كنت فيه اربعة اشياء . الاول التنهنه وهو مطاوع نهنهته عن كذا فتنهنه اى كففته وزجرته عنه فكف اى زجرنى زواجر العقل . الثانى اول حلم اى رجوع عقل لاينسب الى السفه . الثالث عذل القائلين ان لم تتب الان مع هذه الدواعى الى التوبة فلا تتوب ابداً فقوله وقول على حذف مضاف. والرابع حقة اى خطة حقة فالموصوف محذوف واراد بها الموت وقربه يقال حق وحقة كما يقال اهل واهلة . والتره اسم مفرد بمعنى الباطل يقال تره وترهة وجمع

الاول تراوه وجمع الثانى ترهات . وقول الرضى ده بفتح الدال وسكون الهاء الى آخر ماذكره هذا كلام شارح اللباب اسمعيل القالى من غير زيادة ولا نقص . ولا يخفى انه اذا كان ده بمعنى اضرب فهو اسم فعل لاصوت . والحق انها فى لغة الفرس زجر لذى الحافر ليسرع اوليذهب وليست بمعنى اضرب وهذا امر ظاهر من استعمالهم الى الان ولكنهم اجمعوا على انها بمعنى الضرب وحينئذ فيرد عليهم انها تكون اسم فعل لاصوتا . قال صاحب اللباب ذكر جار الله ان ده زجر للابل مثل هيدوهاد . وذكر فى امثاله ان ده بفتح الدال وكسرها فارسية معناها الضرب قد استعملها العرب فى كلامهم . واصله ان الموتور يلقى واتره فلا يتعرض له فيقال له الاده فلاده . اى انك ان لم تضربه الان فانك لاتضربه ابداً وتقديره ان لم يكن ده فلا يكون ده اى ان لم يوجد ضرب الساعة فلا يوجد ضرب ابدا . ثم اتسعوا فيه فضربوه مثلا فى كل شئ لايقدم عليه الرجل وقد حان حينه من قضاء دين قد حل او حاجة طلبت اوما اشبه ذلك من الاحوال التى لايسوغ تأخيرها . والحاصل ان قولهم الاده فلاده قد اختلف فى ضبط لفظه وشرح معناه وجميع الاقوال على انها كلمة فارسية معربة . وقد ابى ابو محمد عبد الله الشهير بابن برى المقدسى ان تكون هذه الكلمة فى هذا المثل غير عربية وذهب الى انها صفة مشبهة من الدهاء وهو الفطنة ورد على ملك النحاة فى زعمه انها اعجمية فى الاصل بمعنى اسم

الفعل . ولقد اجاد فيما افاد . وحقق مدعاه فوق المراد . وهو مذكور فى كتاب الخزانة .

(ومنهم شق من انمار بن نزار)

كان شق هذا انسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة . ذكر الحافظ ابن الجوزى ان خالد بن عبد الله الفهرى كان من ولد شق هذا . وهذا الاسم فى الاصل اسم لحيوان وهو بكسر الشين . قال القزوينى الشق من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمى . ويزعمون ان النسناس مركب من الشق ومن الادمى ويظهر للانسان فى اسفاره . وذكروا ان علقمة بن صفوان بن امية خرج فى بعض الليالى فانتهى الى موضع فعرض له شق فقال علقمة ياشق مالى ولك . اغمد عنى منصلك . اتقتل من لا يقتلك . فقال شق هيت لك . واصبر لما قدحم لك . فضرب كل واحد منهما صاحبه فوقع ميتاً . وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحق ان مالك ابن نصر اللخمى رأى رؤيا هالته فبعث الى جميع الكهان والسحرة والمنجمين من رعيته فاجتمعوا اليه فقال انى رأيت رؤيا هالتنى وفظعت منها فقالوا قصها علينا نخبرك بتأويلها فقال لهم ان اخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم فى تأويلها واست اصدق فى تأويلها الا من عرفها قبل ان اخبره بها فقال بعضهم لبعض ان هذا الذى يرومه الملك لا يجده الا عند شق وسطيح . فلما قالوا له ذلك ارسل الملك من اتاه بهما فسأل سطيحاً فقال

ايها الملك انك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فاكلت كل ذات جمجمة. فقال الملك ما اخطأت شيئاً. فما عندك فى تأويلها. فقال سطيح احلف بما بين الحرتين من حنش. ليهبطن ارضكم الحبش. وليملكن ما بين ابين الى جرس. فقال الملك وابيك ياسطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى يكون ذلك افى زمانى ام بعده. فقال بل بعده بحين. اكثر من ستين اوسبعين. تمضين من السنين. ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين. قال الملك ومن الذى يلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليه ابن ذى يزن. يخرج عليهم من عدن. فلا يترك احداً منهم باليمن. قال افيدوم ذلك من سلطانه ام ينقطع. قال بل ينقطع. قال ومن يقطعه قال نبى زكى. يأتيه الوحى من ربه العلى. قال وممن هذا النبى. قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر. يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر. فقال الملك وهل للدهر من آخر ياسطيح. قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والاخرون. ويسعد فيه المحسنون. ويشقى فيه المسيؤن. فقال الملك احق ما تقول ياسطيح قال نعم والشفق والغسق. والقمر اذا اتسق. ان ما اخبرتكم به لحق (ثم ان الملك) دعا شقاً فسأله كما سأل سطيحاً. فقال له شق انك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة. فوقعت بين روضة واكمة. فاكلت كل ذات نسمة. فلما سمع الملك مقالة شق قال له ما اخطأت شيئاً فما عندك فى تأويلها فقال شق احلف بما بين الحرتين من انسان. لينزلن ارضكم السودان.

وليغلبن على كل طفلة البنان . وليملكن مابين ابين الى نجران . فقال الملك وابيك ياشق ان ذلك لنا لغائظ مولم فمتى يكون ذلك افى زمانى ام بعده . فقال بل بعده بزمان. ثم يستنقذكم منه عظيم الشان. ويذيقهم اشد الهوان. فقال الملك من هو العظيم الشان . قال غلام من غلمان اليمن . يخرج من بيت ذى يزن . فقال الملك افيدوم ذلك من سلطانه ام ينقطع . قال بل ينقطع برسول هو خاتم الرسل . يأتى بالحق والعدل . بين اهل الدين والفضل . يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل . فقال الملك وما يوم الفصل . فقال شق يوم يجزى فيه الولاة . ويدعى من السماء دعوات . يسمعها الاحياء والاموات . ويجمع الناس فيه للميقات . فيفوز فيه الصالحون بالخيرات . فقال الملك احق ماتقول ياشق . قال اى ورب السماء والارض . وما بينهما من رفع وخفض . انما انبأتكم به لحق ماله من نقض . فوقع ذلك فى نفس الملك لما رأى من تطابق شق وسطيح على ماذكراه فجهز اهل بيته الى الحيرة فرقا من سلطان الحبشة .

﴿ ومنهم سطيح بن مارن بن غسان ﴾

كان سطيح يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا الجمجمة ويقال انه كان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق . وكان فى عصره من اشهر الكهان واخباره فى التواريخ والسير كثيرة وكان هو وشق ولدا فى يوم واحد وكانا من المعمرين . قال كثير من اهل

السير وبعضهم يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما كان ليلة ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة فعظم ذلك على اهل مملكته فما كان اوشك ان كتب اليه صاحب اليمن يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب السماوة يخبره ان وادى السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة فى بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس يخبره ان بيوت النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بالف سنة . فلما تواترت الكتب ابرز سريره وظهر لاهل مملكته فاخبرهم الخبر . فقال الموبذان ايها الملك انى رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني قال له ومارأيت قال رأيت ابلا صعابا . تقود خيلا عرابا . قداقتحمت دجلة وانتشرت فى بلادنا قال رأيت عظيما فما عندك فى تأويلها قال ماعندى فيها ولا فى تأويلها شئ ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم اصحاب علم بالحدثان فبعث اليه عبد المسيح بن نفيلة الغسانى فلما قدم عليه اخبره كسرى الخبر فقال له ايها الملك والله ماعندى فيها ولا فى تأويلها شئ ولكن جهزنى الى خال لى بالشام يقال له سطيح قال جهزوه فلما قدم على سطيح وجده قداحتضر فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه فقال عبد المسيح .

اصم ام تسمع غطريف اليمن * يافاصل الخطة اعيت من ومن

اتاك شيخ الحى من آل سطن * ابيض فضفاض الردآء والسدن
رسول قيل العجم يهوى للوثن * لايرهب الرعد ولاريب الزمن

فرفع اليه رأسه وقال عبدالمسيح . على جمل مشيح . جاء الى سطيح . وقد اوفى على الضريح . بعثك ملك بنى ساسان . لارتجاج الايوان . وخمود النيران . ورؤيا الموبذان . رأى ابلا صعابا . تقود خيلا عرابا . قد اقتحمت فى الواد . وانتشرت فى البلاد . ثم قال ياعبدالمسيح اذا ظهرت التلاوة . وفاض وادى السماوة . وظهر صاحب الهراوة . فليست الشام لسطيح بشام . يملك منهم ملوك وملكات . عدد سقوط الشرفات . وكل ماهو آت آت . ثم قال .

ان كان ملك بنى ساسان افرطهم * فان ذا الدهر اطوار دهارير
منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور
فربما اصبحوا منهم بمنزلة * يهاب صولهم الاسد المهاصير
حثوا المطى وجدوا فى رحالهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور
والناس اولاد علات فمن علموا * ان قد اقل فمحقور ومهجور
والخير والشر مقرونان فى قرن * فالخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى واخبره قال كسرى الى ان يملك منا اربعة عشر ملكا تكون امور ويدور الزمان فهلكوا كلهم فى اربعين سنة . والموابذة عند الفرس هم القضاة والهرابذة هم كالخلفاء للموابذة والاصبهبذ حافظ الجيش وامير الامراء والمدار هو الوزير الاعلى

والمرازبة حفظة الثغور وولاة المملكة كذا في كتب السير . واخبار شق وسطيح كثيرة. قال ابن خلدون في مقدمته. ومن مشهور الحكايات عنهما تأويل رؤيا ربيعة بن مضر وما اخبرا به من ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قريش . ورؤيا الموبذان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فاخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة .

(ومنهم طريفة الكاهنة)

كانت طريفة هذه من اشهر كهان عصرها وهي التي انذرت عمرو بن عامر احد ملوك اليمن بزوال ملكه واخبرته بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم وافساد الجنتين بمقتضى ماظهر لها من الكهانة قال عبد الملك في شرح قصيدة ابن عبدون ان ارض سبا من اليمن كانت العمارة فيها ازيد من مسيرة شهرين للراكب المجد وكان اهلها يقتبسون النار بعضهم من بعض مسيرة اربعة اشهر فمزقوا كل ممزق وكان اول من خرج من اليمن في اول الامر عمرو بن عامر مزيقيا وكان سبب خروجه انه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريفة الخير وكانت رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم فارعدت وابرقت ثم صعقت فاحرقت كل ماوقعت عليه ففزعت طريفة لذلك فزعاً شديداً واتت الملك عمراً وهي تقول مارأيت كاليوم . ازال عني النوم . رأيت غيماً ارعد وابرق . وزمجر واصعق . فما وقع على شيء الا احرق.

فلما رأى ماداخلها من الفزع سكنها . ثم ان عمراً دخل على حديقة له ومعه جاريتان من جواريه فبلغ ذلك طريفة فخرجت اليه وخرج معها وصيف لها اسمه سنان . فلما برزت من بيتها عرض لها ثلاث مناجد منتصبات على ارجلهن واضعات ايديهن على اعينهن . وهى دواب تشبه اليرابيع . فقعدت الى الارض واضعة يديها على عينيها وقالت لوصيفها اذا ذهبت هذه المناجد فاخبرنى . فلما ذهبت اخبرها فانطلقت مسرعة فلما عارضها الخليج الذى فى حديقة عمرو وثبت من الماء سلحفاة فوقعت على الطريق على ظهرها وجعلت تروم الانقلاب فلا تستطيع .وتستعين بذنبها فتحثو التراب على بطنها من جنباته وتقذف بالبول على بطنها قذفا فلما رأتها طريفة جلست الى الارض فلما عادت السلحفاة الى الماء مضت طريفة الى ان دخلت على عمرو وذلك حين انتصف النهار فى ساعة شديد حرها فاذا الشجر يتكافأ من غير ريح فلما رآها استحى منها وامر الجاريتين بالانصراف الى ناحية ثم قال لها ياطريفة فكهنت وقالت والنور والظلماء . والارض والسماء . ان الشجر لهالك . وليعودن الماء كما كان فى الزمن السالك . قال عمرو من اخبرك بهذا . قالت اخبرتنى المناجد . بسنين شدائد . يقطع فيها الولد والوالد . قال ماتقولين قالت اقول قول الندمان لهفا . لقد رأيت سلحفا . تجرف التراب جرفا . وتقذف بالبول قذفا . فدخلت الحديقة فاذا الشجر من غير ريح يتكفأ . قال ماترين فى ذلك

قالت هى داهية دهياء من امور جسيمة . ومصائب عظيمة . قال وما هو ويلك . قالت اجل وان فيه الويل . ومالك فيه من نيل . وان الويل فيما يجئ به السيل . فالقى عمرو عن فراشه . وقال ماهذا ياطريفة قالت خطب جليل . وحزن طويل . وخلف قليل . قال وما علامة ماتذكرين . قالت اذهب الى السد فاذا رأيت جرذاً يكثر بيديه فى السد الحفر . ويقلب برجليه من اجل الصخر . فاعلم ان الغمر غمر . وانه قد وقع الامر . قال وما الذى تذكرين قالت وعد من الله تعالى نزل . وباطل بطل . ونكال بنا نكل . فبغيرك ياعمرو يكون الثكل . فانطلق عمرو فاذا الجرذ يقلب برجليه صخرة مايقلها خمسون رجلا . فرجع وهو يقول .

ابصرت امراً عادنى منه الم * وهاج لى من هوله برح السقم
من جرذ كفحل خنزير الاجم * اوكبش صرم من افاويق الغنم
يسحب قطراً من جلاميد العرم * له مخاليب وانياب قضم
* مافاته سحلا من الصخر قصم *

فقالت طريفة وان من علامة ذلك الذى ذكرته لك ان تجلس فتأمر بزجاجة توضع بين يديك فان الريح يملؤها من تراب البطحاء من سهل الوادى وحزنه . وقد علمت ان الجنان مظللة لايدخلها شمس ولا ريح . فامر عمرو بزجاجة فوضعت بين يديه ولم تمكث الا قليلا حتى امتلأت من التراب فاخبرها بذلك . وقال لها متى يكون ذلك الخراب

الذى يحدث فى السد قالت فيما بينى وبينك سبع سنين . قال ففى ايها
يكون قالت لايعلم بذلك الا الله تعالى ولو علمه احد لعلمته وانه لاتأتى على
ليلة فيما بينى وبين السبع سنين الا ظننت هلاكه فى غدها اوفى مسائها
ثم رأى عمرو فى منامه سيل العرم وقيل له ان آية ذلك ان ترى الحصباء
قد ظهرت فى سعف النخل . فنظر اليها فوجد الحصباء قد ظهرت
فيها فعلم انه واقع وان بلادهم ستخرب فكتم ذلك واجمع على بيع
كل شئ له بارض مأرب وان يخرج منها هو وولده . ثم خشى ان تنكر
الناس عليه ذلك فامر احد اولاده اذا دعاه لما يدعوه اليه ان يتأبى عليه
وان يفعل ذلك به فى الملأ من الناس واذا لطمه يرفع هو يده ويلطمه
ثم صنع عمرو طعاما وبعث الى اهل مأرب ان عمراً قد صنع طعاما
يوم مجد وذكر فاحضروا طعامه . فلما جلس الناس للطعام جلس
عنده ابنه الذى امره بما قدامره فجعل يأمره فيتأبى عليه فرفع عمرو
يده فلطمه ابنه وكان اسمه مالكا فصاح عمرو واذلاه يوم فخر
عمرو وبهجته . صبي يضرب وجهه . وحلف ليقتانه فلم يزالوا يرغبون
اليه حتى ترك وقال والله لااقيم بموضع صنع فيه بى هذا ولابيعن
اموالى حتى لايرث بعدى منها شيئاً . فقال الناس بعضهم لبعض
اغتنموا غيض عمرو واشتروا منه امواله قبل ان يرضى فابتاع الناس
من كل ماله بارض مأرب وفشا بعض حديثه فيما بلغه من شأن سيل
العرم [illegible] ناس من الازد فباعوا اموالهم فلما اكثروا البيع استنكر

الناس ذلك فامسكوا عن الشراء فلما اجتمعت الى عمرو امواله اخبر الناس بشأن السيل وخرج فخرج لخروجه منها بشر كثير فنزلوا ارض عك فحاربتهم عك فارتحلوا عن بلادهم ثم اصطلحوا وبقوا بها حتى مات عمرو وتفرقوا فى البلاد . فمنهم من سار الى الشام وهم اولاد جفنة عمرو بن عامر . ومنهم من سار الى يثرب وهم ابناء قيلة الاوس والخزرج وابوهما حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . وسارت ازد السراة الى السراة وازد عمان الى عمان . وسار مالك بن فهم الى العراق . ثم خرجت بعد عمرو بيسير من ارض اليمن طيئ فنزلت اجا وسلمى . ونزلت ابناء ربيعة بن حارثة بن عامر بن عمرو تهامة وسموا خزاعة لانخزاعهم من اخوانهم . ثم ارسل الله تعالى على السد السيل فهدمه . وفى ذلك يقول ميمون بن قيس الاعشى .

وفى ذلك للمؤتسى اسوة * ومأرب عفا عليها العرم
رخام بنته لهم حمير * اذا جاء مواره لم يرم
فاروى الزروع واعنابها * على سعة ماؤهم اذ قسم
فصاروا ايادى ما يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

وذكر الميدانى عند قول العرب فى المثل «تفرقوا ايادى سبا» عن فروة ابن مسيك . قال اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله اخبرنى عن سبا ارجل هو ام امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فاما الذين تيامنوا فالازد

والكندة والمذحج والاشعرون وانمار منهم بجيلة . واما الذين تشأموا فعاملة وغسان ولخم وجذام وهم الذين ارسل عليهم سيل العرم وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبا من الشحر واودية اليمن فردموا ردما بين جبلين وحبسوا الماء وجعلوا فى ذلك الردم ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض . فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث فاخصبوا وكثرت اموالهم . فلما كذبوا رسلهم بعث الله جرذاً نقبت ذلك الردم حتى انتقض فدخل الماء جنتيهم فغرقهما ودفن السيل بيوتهم . فذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم والعرم جمع عرمة وهى السكر الذى يحبس الماء . وقال ابن الاعرابى العرم السيل الذى لايطاق . وقال قتادة ومقاتل العرم اسم وادى سبا . ثم ذكر الميدانى عن الكلبي عن ابى صالح ان طريفة الكاهنة قدرأت فى كهانتها ان سد مأرب سيخرب وانه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر امواله وسار هو وقومه حتى انتهوا الى مكة فاقاموا بها وبما حولها فاصابتهم الحمى وكانوا ببلد لايدرون فيه ماالحمى فدعوا طريفة فشكوا اليها الذى اصابهم فقالت لهم قداصابنى الذى تشكون وهو مفرق بيننا . قالوا فماذا تأمرين . قالت من كان منكم ذاهم بعيد . وجمل شديد . ومزاد جديد . فليلحق بقصر عمان المشيد . فكانت ازد عمان . ثم قالت من كان منكم ذاجلد وقسر . وصبر على ازمات الدهر . فعليه بالاراك من بطن مر . فكانت خزاعة

ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل . المطعمات فى المحل . فليلحق بيثرب ذات النخل . فكانت الاوس والخزرج . ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير . والملك والتأسير . ويلبس الديباج والحرير . فليلحق ببصرى وغوير . وهما من ارض الشام . فكان الذين سكنوها آل جفنة من غسان . ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق . والخيل العتاق . وكنوز الارزاق . والدم المهراق . فليلحق بارض العراق . فكان الذين سكنوها آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق . والمقصود ان طريفة كانت من مشاهير الكهان فى زمنها ولها اخبار كثيرة . ونوادر شهيرة .

(ومنهم زبراء الكاهنة)

كانت من الكهنة المذكورين عند العرب وكلامها له وقع فى نفوسهم ولها فى ذلك نوادر معجبة . روى القالى فى اماليه عن ابى بكر قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابى مخنف عن اشياخ من علماء قضاعة . قال كان ثلاثة ابطن من قضاعة مجتورين بين الشحر وحضرموت بنو ناعب . وبنو داهن . وبنو رئام . وكانت بنو رئام اقلهم عدداً واشجعهم لقاء . وكانت لبنى رئام عجوز وتسمى خويلة وكانت لها امة من مولدات العرب تسمى زبراء . وكان يدخل على خويلة اربعون رجلا كلهم محرم لها بنو اخوة وبنو اخوات وكانت خويلة عقيماً . وكانت بنو ناعب وبنو داهن متظاهرين على بنى رئام فاجتمع بنو رئام

ذات يوم فى عرس لهم وهم سبعون رجلا كلهم شجاع بئس فطعموا واقبلوا على شرابهم وكانت زبراء كاهنة . فقالت انطلقى بنا الى قومك انذرهم . فاقبلت خويلة تتوكأ على زبراء فلما ابصرها القوم قاموا اجلالا لها . فقالت يائمر الأكباد . وانداد الاولاد . وشجى الحساد . هذه زبراء . تخبركم عن انباء . قبل انحسار الظلماء . بالمؤيدة الشنعاء . فاسمعوا ماتقول . قالوا ماتقولين يازبراء . فقالت والليل الغاسق . واللوح الخافق . والصباح الشارق . والنجم الطارق . والمزن البوارق ان شجر الوادى ليأدوا ختلا . ويحرق انيابا عصلا . وان صخر الطود لينذر ثكلا . لاتجدون عنه معلا . فوافقت قوما اشارى سكارى فقالوا ريح خجوج . بعيدة مابين الفجوج . اتت زبراء بالابلق النتوج . فقالت زبراء مهلا يابنى الاعزة والله انى لاشم ذفر الرجال تحت الحديد . فقال لها فتى منهم يقال له هذيل بن منقذ ياخراق والله ماتشمين الاذفر ابطيك . فانصرفت عنهم فارتاب قوم من ذوى اسنانهم فانصرف منهم اربعون وبقى ثلاثون فرقدوا فى شربهم وطرقتهم بنو داهن وبنو ناعب فقتلوهم اجمعين . واقبلت خويلة مع الصباح فوقفت على مصارعهم ثم عمدت الى خناجرهم فقطعتها وانتظمت منها قلادة والقتها فى عنقها وخرجت حتى لحقت بمرضاوى بن شعوة المهرى وهو ابن اختها فاناخت بفنائه وانشأت تقول .

يا خير معتمد واعظم ملجأ * واعز منتقم وادرك طالب

جاءتك وافدة الثكالى تعتلي * بسوادها فوق القضاء الناضب
عيرانة سرح اليدين شملة * غبر الهواجر كالزف الخاضب
هذى حناجر اسرتى مسرودة * فى الجيد منى مثل سمط الكاعب
عشرون مقتبلا وشطر عديدهم * صيانة فى القدم غير اشائب
طرقتهم ام اللهيم فاصبحوا * تستن فوقهم ذيول حواصب
جزراً لعافية الخوامع بعدما * كانوا الغياث من الزمان اللاحب
قسمت رجال بني ابيم بينهم * جرع الردى بمخارص وقواضب
فابرد غليل خويلة الثكلى التى * رميت باثقل من صخور الصاقب
وتلاف قبل الموت ثارى انه * علق بثوبى داهن اوناعب
فقال حجر على مرضاوى الاعذبان والاحمران اوقتل بعدد رئام من داهن وناعب ثم قال .

اخالتنا سر النساء محرم * علينا وتشهاد الندامى على الخمر
كذاك وافلاد الفيد وما ارتمت * به بني حلب الوثة ملوذر
لئن لم اصبح داهنا ولفيفها * وناعبها جهراً براغية البكر
فوارى بنان القوم فى غامض الثرى * وجودى عليك من قناع ومن صبر
فانى زعيم ان اروى هامهم * واظمى هاماما انسرى الليل فى الفجر
ثم خرج فى منسر من قومه فطرق داهناً وناعباً فاوجع منهم .

(ومنهم خنافر بن التوأم الحميرى)

ذكر القالى فى اماليه عن ابى بكر قال حدثنى عمى عن ابيه عن ابن

الكلبي عن ابيه قال كان خنافر ابن التوأم الحميرى كاهناً وكان قداوتى بسطة فى الجسم وسعة فى المال وكان عاتياً فلما وفدت وفود اليمن على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فاكتسحها وخرج باهله وماله ولحق بالشحر فحالف حودان بن يحيى القرصي وكان سيداً منيعاً ونزل بواد من اودية الشحر من الايك والعرين قال خنافر وكان رئي من الجاهلية لايكاد يتغيب عني . فلما شاع الاسلام فقدته مدة طويلة وسائني ذلك فبينا انا فى ذلك الوادى نائم اذهوى هوى العقاب فقال خنافر فقلت شطار قال اقول فقلت قل اسمع . فقال عه تغنم . لكل مدة نهاية . ولكل ذى امد غاية . قلت اجل . قال كل ذى دولة الى اجل . ثم يتاح لها الحول . انتسخت النحل . ورجعت الى حقائقها الملل . انك سجير موصول . والنصح لك مبذول . انى آنست بارض الشام . نفراً من آل العرام . حكاما على الحكام . يذبرون ذارونق من الكلام . ليس بالشعر المؤلف . ولا بالسجع المتكلف . فاصغيت فزجرت . فعاودت فظلفت . فقلت بم تهيمنون . والام تعتزون . قالوا خطاب كبار . جاء من عند الملك الجبار . فاسمع ياشصار . عن اصدق الاخبار . واسلك اوضح الآثار . تنج من اوار النار . قلت وما هذا الكلام قالوا فرقان بين الكفر والايمان . رسول من مضر . من اهل المدر . ابتعث فظهر . فجاء بقول قد بهر . واوضح نهجاً قد دثر . فيه مواعظ لمن اعتبر . ومعاذ

لمن ازدجر. الف بالآى الكبر. قلت ومن هذا المبعوث من مضر. قالوا احمد خير البشر. فان آمنت به اعطيت السبر. وان خالفت اصليت سقر. فآمنت ياخافر. واقبلت اليك ابادر. فجانب كل نجس كافر. وشايع كل مؤمن طاهر. والا فهو الفراق. عن لا تلاق. قلت من اين ابغي هذا الدين. قال من ذات الاحرين. والنفر اليمانين. اهل الماء والطين. قلت اوضح قال الحق يثرب ذات النخل. والحرة ذات النعل. فهناك اهل الطول والفضل. والمواساة والبذل. ثم امّاس عني فبت مذعوراً اراعي الصباح فلما برق لي النور امتطيت راحلتي واذنت اعبدي واحتملت باهلي حتى وردت الجوف فرددت الابل على اربابها. بحولها واسقابها. وسرت اريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل امير الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سوراً من القرآن فمن الله علي بالهدى بعد الضلالة. والعلم بعد الجهالة. وقلت.

الم تر ان الله عاد بفضله * وانقذ من لفح الرجيح خنافرا
وكشف لي عن جمجمتي عماها * واوضح لي نهجي وقد كان دائرا
دعاني شصار للتي لو رفضتها * لاصليت جمراً من لظى الهوب وافرا
فاصبحت والاسلام حشو جوانحي * وجانبت من امسى عن الحق نايرا
وكان مضلي من هديت برشده * فلله مغو عاد بالرشد آمرا
نجوت بحمد الله من كل قحمة * تورث هلكا يوم شايعت شاصرا

وقد آمنتي بعـد ذاك نجـارٌ * بمـا كنت اغشى المنديات نجارًا
فمن مبلغ غسـان قومى الوكة * بانى من اقبال من كان كافرا

(ومنهم صواحبات مصادر بن مذعور القيسى)

روى عن ابى بكر بن دريد قال حدثنا السكن بن سعيد عن العباس ابن هشام عن ابيه . قال كان مصادر بن مذعور القيسى قد اخذ مرباع قومه دهرا . وهو ربع الغنيمة وكان ذا مال فند ذود من اذواده فخرج فى بغائها قال فانى فى طلبها اذهبطت واديا شجيرا كثيف الظلال وقد تفسخت انيأ فانخت راحلتى فى ظل شجرة وحططت رحلى ورسفت بعيرى واضطجعت فى بردلى واذا اربع جوار كأنهن اللئالى يرعين بهما لهن فلما خالطت عينى السنة اقبلن حتى جلسن قريباً منى وفى كف كل واحدة حصيات تقلبهن فخطبت احداهن ثم طرقت فقالت قلن يابنات عراف. اصاحب الجمل النياف . والبرد الخفاف. والجرم الكثاف. ثم طرقت الثانية فقالت ضل اذواد علاكد . كوم صلاخد . منهن ثلاث مناجد . واربع حدائد . شسف صوارد . ثم طرقت الثالثة فقالت . رعين الفرع. ثم هبطن الكرع. بين العقدات والجرع. فقالت الرابعة ليهبط الغائط الافيح . ثم ليظهر فى الملأ الصحصح . بين سدير واملح . فهناك الذود رتاع . بمنعرج الاجراع . قال فقمت الى جملى فشددت عليه رحله فركبت فوالله ماشافهتهن منهن ولا ممن هن . فلما ادبرت قالت احداهن ابرح فتى ان جد فى الطلب .

فاله غيرهن نشب . وسيثوب عن كثب . فقرع قلبي والله من قولها فقلت وكيف هذا وقد خلفت بوادى عرجا فركبت السمت الذى وصفن لى حتى انتهيت الى الموضع فاذا اذوادى رواتع فضربت اعجازهن حتى اشرفت على تلك فاسجفتها فامسيت والله مالى غير الذود فرمى الله نواصيهن بالرعس فانى اليوم لاكثر بنى القين مالا . وفى ذلك اقول .

هوالدهر آس تارة وهو جارح * سوانحه مبثوثة والبوارح
فبينا الفتى فى ظل نعماء غضة * تباكره افياؤه وتراوح
الى ان رمته الحادثات بنكبة * تضيق لها منها الرحاب الفسائح
فاصبح نضواً لاينوء كأنما * باعظمه مما عراه الفوادح
فما خلتنى من بعد عرج عكابس * اقسس اذواداً وهن روازح
حدابير لاينهضن الا تحاملا * شراسف عرج اسأرتها الجوائح
فياواثقاً بالدهر كن غير آمن * لما تقتضيه الباهضات الفوادح
فلست على ايامه بمحكم * اذا قفرت فاه الخطوب الكوائح
بجيرك منه الصبر ان كنت صابراً * والا كما يهوى العدو الكاشح

﴿ ومنهم سلمى الهمدانية الحميرية ﴾

روى ابو على القالى فى اماليه عن ابى بكر قال حدثنا السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال اغار رجل من مراد يقال له خزيم على ابل عمرو بن براقة الهمدانى . وقيل له فذهب بها فاتى عمرو سلمى وكانت بنت سيدهم وكانوا عن رأيها يصدرون

فاخبرها ان خزيما المرادى اغار على ابله وخيله . فقالت والخفو والوميض . والشفق والاعريض . والقلة والحضيض . ان خزيما لمنيع الجيز . سيد مزيز . ذومعقل حريز . غير ان الحمة ستظهر منه بعثرة . بطيئة الجبرة . فاغز ولا تنكع . فاغار عمرو فاستاق كل شئ لخزيم فاتى خزيم بعد ذلك يطلب الى عمرو ان يرد عليه بعض مااخذ منه فامتنع ورجع فقال عمرو قصيدة منها .

تقول سليمى لاتعرض لتلفه * وليلك عن ليل الصعاليك نائم

(ومنهم عفيرآء الكاهنة الحميرية)

ذكر رواة اخبار العرب نوادر طريفة لعفيرآء هذه . من ذلك مااورده محمد بن ظفر فى كتابه خير البشر بخير البشر . قال روى ان مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة فوفد عليه زعماء العرب وشعرآؤها وخطباؤها يهنونه . فرفع الحجاب عن الوافدين واوسعهم عطاء واشتد سروره بهم . فبينما هو كذلك اذنام يوما فرأى رؤيا فى المنام اخافته واذعرته واهالته فى حال منامه فلما انتبه انسيها حتى لم يذكر منها شيئاً وثبت ارتياعه فى نفسه بها فانقلب سروره حزنا واحتجب عن الوفود حتى اساء به الوفود الظن . ثم انه حشر الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له اخبرنى عما اريد ان اسألك عنه فيجيبه الكاهن بان لاعلم عندى حتى لم يدع كاهناً عليه الا كذب منه ذلك فتضاعف قلقه وطال ارقه . وكانت امه

قدتكهنت فقالت له ابيت اللعن ايها الملك ان الكواهن اهدى الى ماتسأل عنه لان اتباع الكواهن من الجان . الطف واظرف من اتباع الكهان . فامر بحشر الكواهن اليه وسألهن كما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهن علماً بما اراد علمه . ولما يئس من طلبته سلا عنها ثم انه بعد ذلك ذهب يتصيد فاوغل في طلب الصيد وانفرد عن اصحابه فرفعت له ابيات في ذرى جبل وكان قد لفحه الهجير فعدل الى الابيات وقصد بيتاً منها كان منفرداً عنها فبرزت اليه منه عجوز فقالت له انزل بالرحب والسعة . والامن والدعة . والجفنة المدعدعة . والعلبة المترعة . فنزل عن جواده ودخل البيت فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الارواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم الهجير . فجلس يمسح عينيه فاذا بين يديه فتاة لم ير مثلها قواما ولا جمالا . فقالت ابيت اللعن ايها الملك الهمام . هل لك في الطعام . فاشتد اشفاقه وخاف على نفسه لما رأى انها عرفته وتصامم عن كلمتها . فقالت له لا حذر . فداك البشر . فجدك الاكبر . وحظنا بك الاوفر . ثم قربت اليه ثريداً وقديداً وحيساً وقامت تذب عنه حتى انتهى اكله . ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً فشرب ماشاء وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حسنا وقلبه هوى . فقال لها مااسمك يا جارية قالت اسمي عفيراء فقال لها ياعفيراء من الذى دعوته بالملك الهمام . قالت مرثد العظيم الشان . حاشر الكواهن والكهان . لمعضلة بعد عنها الجان . فقال

ياعفيراء العلين تلك المعضلة . قالت اجل ايها الملك انها رؤيا منام. ليست باضغاث احلام. قال الملك اصبت ياعفيراء فما تلك الرؤيا . قالت رأيت اعاصير زوابع. بعضها لبعض تابع. فيها لهب لامع . ولها دخان ساطع . يقفوها نهر متدافع . وسمعت فيما انت سامع . دعاء ذى جرس صادع . هلموا الى المشارع . فروى جارع . وغرق كارع . فقال الملك اجل هذه رؤياى فما تأويلها ياعفيراء . قالت الاعاصير الزوابع. ملوك تبابع . والنهر علم واسع . والداعى نبى شافع . والجارع ولى تابع . والكارع عدو منازع . فقال الملك ياعفيراء اسلم هذا النبى ام حرب . فقالت اقسم برافع السماء . ومنزل الماء من العماء . انه لمطل الدماء . ومنطق العقائل نطق الاماء . فقال الملك الام يدعو ياعفيراء . قالت الى صلوة وصيام . وصلة ارحام . وكسر اصنام . وتعطيل ازلام . واجتناب آثام . فقال الملك ياعفيراء اذا ذبح قومه فمن اعضاده . قالت اعضاده غطاريف يمانون. طائرهم به ميمون . يغزيهم فيغزون . ويدمث بهم الحزون . والى نصره يعتزون . فاطرق الملك يوامر نفسه فى خطبتها . فقالت ابيت اللعن ايها الملك ان تابعى غيور . ولامرى صبور . وناكحى مثبور . والكلف بى ثبور . فنهض الملك وجال فى صهوة جواده وانطلق فبعث اليها بمائة ناقة كوماء .

«قال محمد بن ظفر» اوغل فى طلب الصيد اى بالغ فى ذلك وامعن والوغول الدخول فى الشئ بقوة . وذرى جبل بفتح الذال المعجمة

الكن . والمدعدعة هي التي ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص مافيها ثم ملئت بعد ذلك . والعلبة بضم العين المهملة واسكان اللام اناء من جلد. والارواح هي الرياح. وصريفاً اللبن المحض يحدث آن الحلاب يصرف عن الضرع الى الشارب . وضريباً اللبن الرائب . وبعدعنها الجان اى جنبوا عنها ولم يطيقوها . واعاصير زوابع هي من الرياح مايثير التراب فيعليه في الجو ويديره وساطع اى مرتفع . ودعاء ذى جرس صادع . الجرس الصوت . والمشارع الداخل الى النهر. وجارع اى من شرب جرعا امن . وكارع اى من امعن غرق . وتبابع جمع تبع. وهذا لقب الملوك اليمن وهو من الاتباع لان بعضهم كان يتبع في الملك بعضا . والعماء هو الغيم والغمام . ومنطق العقائل هن الكرائم من النساء اى يسبين فيشددن النطق على اوساطهن كالاماء للمهنة والخدمة. ونقع مثار النقع الغبار يثيره المحاربون . والاعضاد الانصار والغطاريف السادة والتغطرف التكبر . ويدمث اى يسهل . ويوامر نفسه يراد به تعاضد الرأيين المتضادين في النفس . وجال في صهوة جواده جال اى وثب . والصهوة مقعد الفارس من ظهر فرسه . والكوماء الناقة العظيمة السنام .

(ومنهم سواد بن قارب الدوسي)

روى ابو بكر بن دريد قال حدثني عمي الحسين عن ابيه ابن الكلبي عن الذيال بن نفر عن الطرماح بن حكيم قال خرج خمسة نفر

من طيء من ذوي الحجى والرأى منهم برح بن مسهر وهو احد المعمرين وانيف بن حارثة بن لام وعبدالله بن سعد بن الحشرج ابو حاتم طيء وعارق الشاعر ومرة بن عبد رضى . يريدون سواد بن قارب الدوسى ليختبروا علمه . فلما قربوا من السراة قالوا ليخبأ كل واحد منا خبأ ولا يخبر به صاحبه انسأله عنه فان اصاب عرفنا علمه وان اخطأ ارتحلنا عنه فخبأ كل واحد منهم خبأ ثم صاروا اليه فاهدوا اليه ابلا وطرفا من طرف الحيرة فضرب عليهم قبة ونحر لهم فلما مضت ثلاثة دعا بهم فدخلوا عليه . فتكلم برح وكان اسنهم . فقال جادك السحاب . وامرع لك الجناب . وحفت عليك النعم الرغاب . نحن اولو الآكال . والحد آنق والاغيال . والنعم الجفال . ونحن اصهار املاك . وفرسان العراك . يورى عنه انه من بكر بن وائل . فقال سواد والسماء والارض . والغمر والبرض . والقرض والفرض . انكم لاهل الهضبات الشم . والنخيل الم . والصخور الصم . من اجا العيطاء . وسلمى ذات الرقبة السطعاء . قالوا انا كذلك وقد خبأ كل رجل منا خبأ لتخبر باسمه وخبئه « فقال لبرح » اقسم بالضياء والحلك . والنجوم والفلك . والشروق والدلك . لقد خبأت برئن فرخ . فى اعليط مرخ . تحت اسرة الشرخ . فقال ما اخطأت شيئاً فمن انا قال برح بن مسهر . عصرة الممر . وثمال المحجر « ثم قام انيف بن حارثة » فقال ماخبيئتي بـ اسمى فقال والسحاب والتراب . والاصباب والاحداب .

وانجم الكتاب . لقد خبأت قطامة فسيط . وقذة مريط . فى مدرة من مدى مطيط . قال ماالخطأت شيئاً فمن انا قال انيف . قارى الضيف . ومعمل السيف . وخالط الشتاء بالصيف « ثم قام عبد الله بن سعد » فقال ماخبيئتى وما اسمى فقال سواد . اقسم بالسوام العازب . والوقير الكارب . والمجد الراكب . والمسج الحارب . لقد خبأت نفاثة نتن . فى قطيع قدمرن . واديم قدجرن . قال ماالخطأت حرفا فمن انا قال انت ابن سعد النوال . عطاؤك سجال . وشرك عضال . وعمدك طوال . وبيتك لايدال « ثم قام عارق » فقال ماخبيئتى وما اسمى فقال سواد . اقسم نفيف اللوح والماء المسفوح . والفضاء المدوح . لقد خبأت طلى اعفر . فى زعنفة اديم احمر . تحت حلس نضو ادبر . قال ماالخطأت شيئاً فمن انا قال انت عارق ذواللسان العضب . والقلب الندب . والمضاء الغرب . مناع السرب . مبيح النهب « ثم قام مره بن عبد رضى » فقال ماخبيئتى وما اسمى فقال سواد . اقسم بالارض والسماء . والبروج والانواء . والظلمة والضياء . لقد خبأت ذمة فى رمة . تحت نشيط لمة . قال ماالخطأت شيئاً فمن انا قال انت مره السريع الكره . البطئ الفره . الشديد المره . قالوا فاخبرنا بما رأينا فى طريقنا اليك قال والناظر من حيث لايرى . والسامع قبل ان يناجى . العالم بما لايدرى . لقد عنت لكم عقاب عجزاء . فى شناخيب دوحة حرداء . تحمل جدلا . فتماريتم ايداً اورحلا . فقالوا كذلك ثم مه قال

سنح لكم قبل طلوع الشرق . سيد امق . على ماء طرق . قالوا ثم ماذا قال تيس افرق . سند فى ابرق . فرماه غلام ازرق . فاصاب ما بين الوابلة والمرفق . قالوا صدقت وانت اعلم من تحمل الارض ثم ارتحلوا عنه . وقال عارق .

الا لله علم لايجارى * الى الغايات فى جنبى سواد
اتيناه نسائله امتحانا * ونحسب ان سيثقل بالعناد
فابدى عن خفى مخبآت * فاضحى سرها للناس بادى
حسام لايليق ولا نباتا * عن القصد الميم والسداد
كما خبأنا لما انتحينا * بعينيه يصرح او ينادى
فاقسم بالعنابز جنب فلس * ومن نسك الاقيص من العباد
اقد حزت الكهانة عن سطيح * وشق والمرقل من اياد

(سبب اسلام سواد بن قارب وقصته البديعة)

كان سواد بن قارب من اعلم اهل وقته . واشهرهم فى الكهانة والشعر . واطولهم باعا فى جميع المكارم . وقد وفد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم . وكان رئيه قد اتاه ثلاث ليال فى حال سنته يضربه برجله . ويقول قم ياسواد بن قارب واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث نبى من لوى بن غالب . وقد اورد قصته هذه مفصلة جمع من الائمة منهم الامام الماوردى فى كتابه اعلام النبوة . قال بسنده بينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ذات يوم جالساً اذ مر به رجل

فقيل له اتعرف هذا المار ياامير المؤمنين قال ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب رجل من اهل اليمن وكان له رئى من الجن فارسل اليه عمر فقال انت سواد بن قارب قال نعم ياامير المؤمنين فقال انت الذى اتاك رئيك بظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم ياامير المؤمنين بينا انا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذاتانى رئى من الجن فضربنى برجله . وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل ان كنت تعقل انه قدبعث رسول من لوى ابن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول .

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كاذنابها

فقلت له دعنى فانى امسيت ناعساً . ولم ارفع بما قال رأساً . فلما كان الليلة الثانية اتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل انه قدبعث رسول من لوى بن غالب يدعوالى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول .

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * مامؤمنوا الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها واحجارها

فقلت دعنى فقد امسيت ناعساً . ولم ارفع بما قال رأساً . فلما كانت

الليلة الثالثة اتانى فضربنى برجله وقال قم ياسواد بن قارب فاسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لوى بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته وانشأ يقول .

عجبت للجن وتجساسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماخير الجن كانجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

قال فاصبحت وقد امتحن الله قلبى للاسلام فرحلت ناقتى واتيت المدينة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه فقلت اسمع مقالى يارسول الله . قال هات فانشأت .

اتانى رئيى بعد هدء ورقدة * ولم اك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك رسول من لوى بن غالب
فشمرت عن ذيلى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد ان الله لاشئ غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله ياابن الاكرمين الاطائب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل * وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعاً يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

الرئى الخادم من الجن . والهدء السكون . والذعلب بكسر الذال وسكون العين وكسر اللام الناقة السريعة . والوجناء الشديدة . والسباسب جمع سبسب المفازة . ففرح رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم واصحابه تعالى فرحا شديداً حتى رؤى الفرح في وجوههم. قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت احب ان اسمع منك هذا الحديث . فهل يأتيك رئيك اليوم . فقال مذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن . وتمام الكلام على اخباره في الاستيعاب والاصابة .

(ومنهم فاطمة بنت مرّ الخثعمية)

وهي كاهنة كانت بمكة . ويحكى عنها امور في باب الكهانة عجيبة ومن الامثال الشايعة بين العرب « قد كان ذلك مرة فاليوم لا » قال الميداني اول من قال ذلك فاطمة بنت مر الخثعمية قال وكانت قد قرأت الكتب فاقبل عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد ان يزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فمر على فاطمة وهي بمكة فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له من انت يا فتى قال انا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فقالت هل لك ان تقع على واعطيك مائة من الابل . فقال .

اما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه

* فكيف بالامر الذي تنوينه *

ومضى مع ابيه فزوجه آمنة وظل عندها يومه وليلته فاشتملت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف وقد دعته نفسه الى الابل فاتاها فلم ير منها حرصاً فقال لها هل لك فيما قلت لي . فقالت « قد كان ذلك

مرة فاليوم لا » فارسلتها مثلا يضرب في الندم والانابة بعد الاحترام ثم قالت له اى شئ صنعت بعدى قال زوجني ابي آمنة بنت وهب فكنت عندها فقالت رأيت في وجهك نور النبوة فاردت ان يكون ذلك فيّ فابى الله تعالى الا ان يضعه حيث احبه وقالت .

بني هاشم قد غادرت من اخيكم * امينة اذ للباه يعتلجان
كما غادر المصباح بعد خبوه * فتائل قد ميثت له بدهان
وما كل ما نال الفتى من نصيبه * بحزم ولا ما فاته بتوان
فاجمل اذا طالبت امراً فانه * سيكفيكه جدّان يصطرعان

« وقالت ايضاً »

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر
لله مازهرية سلبت * ثوبيك ما استلبت وما تدرى

وقد اورد هذه القصة الامام الماوردى ايضاً في كتاب اعلام النبوة مع بعض الزيادة . قولها بعد خبوه اى طفئه والمخيلة السحابة التي هي مظنة المطر . قال في الصحاح وقد خالت السحاب واخيلت وخايلت اذا كانت ترجى المطر وقد اخات السحابة واخيلتها اذا رأيتها مخيلة . والحناتم سحائب سود لان السواد عندهم خضرة والحنتم الجرة الخضراء . وزهرية منسوبة الى زهرة حى من قريش وهو اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر نسب ولده اليها وهم اخوال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . والكهان كثيرون

يحتاج استيعابهم وما روى عنهم من الاخبار وما نطقوا به من السجع والرجز الى سفر كبير . قال الاصفهانى عند الكلام على الكهانة كان ذلك فى العرب كثيراً . وآخر من وجد وروى عنه الاخبار العجيبة سطيح وسواد بن قارب . قال وكان وجود ذلك فى العرب احد اسباب معجزات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان يخبر به ويحث على اتباعه

(العرافون)

قال ابن خلدون فى مقدمته العرافون كان فى العرب منهم كثير وذكروهم فى اشعارهم قال قائلهم .

فقلت لعراف اليمامة داونى * فانك ان داويتنى لطبيب

« وقال الآخر »

جعلت لعراف اليمامة حكمة * وعراف نجد انهما شفيانى

فقالا شفاك الله والله مالنا * بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابلق الاسدى انتهى. وبعض العرب يسمى الكاهن عرافا ايضاً وبعضهم يطلق هذا اللفظ على الطبيب ايضاً . قال الخطابى فى شرح سنن ابى داود الكاهن هو الذى يدعى مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن وكان فى العرب كهنة يدعون انهم يعرفون كثيراً من الامور فمنهم من كان يزعم ان له رئياً من الجن وتابعة يلقى اليه الاخبار . ومنهم من كان يدعى انه يستدرك الامور بفهم اعطيه . قال وكان منهم من يسمى عرافا وهو

الذى يزعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقعها كالشئ يسرق فيعرف المظنون به السرقة وتهم المرأة بالريبة فيعرف من صاحبها ونحو ذلك من الامور . ومنهم من كان يسمى المنجم كاهنا . والحديث قد يشتمل على النهى عن اتيان هؤلاء كلهم والرجوع الى قولهم وتصديقهم على مايدعونه من هذه الامور . ومنهم من كان يدعو الطبيب كاهناً وربما دعوه عرافا. قال ابو ذويب .

يقولون لى لوكان بالرمل لم يمت * نشيبة والكهان يكذب قيلها

وقال آخر جعلت لعراف اليمامة البيت . وهذا غير داخل فى جملة النهى وانما هو مغالطة فى الاسماء وقد اثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطب واباح العلاج والتداوى .

(ومن علومهم علم الزجر والعيافة)

وهو الاستدلال باصوات الحيوانات وحركاتها وسائر احوالها على الحوادث واستعلام ماغاب عنهم . وقال ابن خلدون واما الزجر فهو مايحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر او حيوان والفكر فيه بعد مغيبه وهى قوة فى النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئى او مسموع وتكون قوته المخيلة قوية فيبعثها فى البحث مستعيناً بما رآه او سمعه فيؤديه ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المخيلة فى النوم وعند ركود الحواس تتوسط بين المحسوس والمرئى فى يقظة فتجمعه مع ماعقلته فيكون عنها الرؤيا انتهى . وقدكان العرب اعلم الناس

بهذا العلم وهو مدار افعالهم وقانون حركاتهم وسكناتهم . وقد روى عنهم فى هذا الباب . روايات تحير ذوى الالباب . قال ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة يروى فى حرب بنى تغلب ان تيم اللات ارسل بنيه فى طلب مال له فلما امسى سمع صوت الريح فقال لامرأته انظرى من اين نشأت السحاب ومن اين نشأت الريح فاخبرته بالواقع فقال والله انى لارى ريحاً تدهده الصخر . وتمحق الاثر . فلما دخل عليه بنوه قال لهم ماالقيتم قالوا سرنا من عندك فلما بلغنا غصن الشعثمين اذا بعفر جاثمات على دعص من رمل . فقال فما ريحكم ناطح ام دابر ام بارح ام سانح قالوا ناطح . فقال يخاطب نفسه ياتيم اللات دعص الشعثمين والشعثم الشيخ الكبير وانت شعثم بنى بكر وجواثم بدعص وريح نطحت فبرحت . قال ثم ماذا . قالوا ثم رأينا ذئباً قد دلع لسانه من فيه وهو يحرن وشعره عليه . فقال ذلك حران ثائر ذولسان عذول حامى الظهر همه سفك الدماء وهو ارقم الاراقم يعنى مهلهلا قال ثم ماذا . قالوا ثم رأينا ريحاً وسحابا . قال فهل مطرتم قالوا بلى . قال ببرق قالوا قدكان ذلك . فقال ماء سائل ذلك دم سائل ومرهفات . قال ثم مه قالوا ثم طلعنا قلعة صنعاء ثم تصوبنا من تل فاران . قال فكنتم سواء اومترادفين قالوا بل سواء . قال فما سماؤكم قالوا جناء . قال فما ريحكم قالوا ناطح . قال فما فعل الجيش الذين لقيتموهم قالوا نجونا منه هربا وجد القوم فى اثرنا . قالوا ثم مه قالوا رأينا سبعا على سبع

ينهشه وبه بقية لم يمت . فقال ذروني اما والله انها لقبيلة مصروعة مأكولة مقتولة من بني وآتل بعد عز وامتناع « وذكروا ان تيم اللات » هذا مر يوما بجمل اجرب وعليه ثلاث غرابيب فقال لبنيه ستقفون على مقتول فكان كما قال وقتل عن قريب « وقال علقمة » في سيره مع اصحابه وقد مروا في الليل بشيخ فقال لقيتم شيخاً كبيراً فانياً يغالب الدهر والدهر يغالبه يخبركم انكم ستلقون قوما فيهم ضعف ووهن . ثم لقي سبعاً فقال دلاج لايغلب . ثم رأى غرابا ينفض بجؤجؤه . فقال ابشروا الاترون انه يخبركم ان قد اطمأنت بكم الدار فكان الامر كذلك « وذكر المدائني » قال خرج رجل من لهب ولهم عيافة في حاجة له ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه ثم عطش فاناخ بعيره ليشرب فاذا الغراب ينعب فأثار راحلته ومضى فلما اجهده العطش اناخ ليشرب فنعب الغراب فأثار راحلته . ثم في الثالثة نعب الغراب وتمرغ بالتراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فاذا فيه اسود ضخم . ثم مضى فاذا غراب على سدرة فصاح به فوقع على سلمة فصاح به فوقع على صخرة فانتهى اليه فاذا تحت الصخرة كنز . فلما رجع الى ابيه قال له ماصنعت قال سرت صدر يومي ثم انخت لاشرب فاذا الغراب ينعب . قال أثره والا لست بابني قال أثرته . ثم انخته لاشرب فاذا الغراب ينعب قال أثره والا لست بابني قال أثرته . ثم انخته لاشرب فنعب الغراب وتمرغ في التراب قال اضرب السقاء والا لست بابني

قال فطلت فاذا اسود ضخم . قال ثم مه قال ثم رأيت غرابا واقعاً على سدرة قال اطره والا فلست بابني قال اطرته ثم وقع على سلمة قال اطره والا فلست بابني قال اطرته فوقع على صخرة. قال اخبرني بما وجدت فاخبره « وذكر ايضاً » ان اعرابياً اضل ذوداً له وخادما فخرج في طلبهما حتى اذا اشتدت عليه الشمس وحمي النهار مر برجل يحلب ناقة قال اظنه من بني اسد فسأله عن ضالته قال ادن فاشرب من اللبن وادلك على ضالتك قال فشرب .ثم قال ماسمعت حين خرجت قال بكاء الصبيان ونباح الكلاب وصراخ الديكة وثغاء الشاة قال ينهاك عن الغدو .ثم مه قال ثم ارتفع النهار فعرض له ذئب قال كسوب ذو ظفر ثم مه قال ثم عرضت لي نعامة قال ذات ريش واسمها حسن هل تركت في اهلك مريضاً يعاد قال نعم قال ارجع الى اهلك فذودك وخادمك عندهم فرجع فوجدهم « وذكر ابو خالد التيمي » قال كنت آخذ الابل بضمان فارعاها في ظهر البصرة فطردت فخرجت اقفو اثرها حتى انتهيت الى القادسية فاختلطت علي الآثار فقلت لو دخلت الكوفة فتحسست منها فاتيت الكناسة فاذا الناس مجتمعون على عراف اليمامة فوقفت ثم قلت له حاجتي فقال .

بعيدة اشطان الهوى جمع مثلها * على العاجز الباغي الغنى ذو تكاثف

وليرجعن قال فوجدتها في الشام مع ابن عم لي فصالحت اصحابها عنها .

«وقال المدائني» كان بالسواد زاجر يقال له مهر فاخبر به بعض العمال

فجعل يكذب زجره ثم ارسل اليه فلما اتاه قال انى قدبعثت بغنم الى مكان كذا وكذا فانظر هل وصلت ام لم تصل . وقد عرف العامل قبل ذلك ان بينها و بين الكلأ مرحلة فقال لغلامه اخرج فانظر اى شئ تسمع قال وكان العامل قدامر غلامه ان يكمن فى ناحية الدار ويصيح صياح ابن آوى فخرج غلام الزاجر ليسمع فصاح غلام العامل فرجع الى الزاجر غلامه واخبره بما سمع فقال للعامل قدذهبت عنك وقطع عليها الطريق فاستيقت . قال فضحك العامل وقال قد جائنى خبرها انها وصلت والصائح الذى صاح غلامى قال ان كان الصائح الذى صاح ابن آوى فقد ذهبت الغنم وان كان غلامك فقد الراعى ايضاً قال فبلغه بعد ذلك ذهاب الغنم وقتل الراعى «وذكر العكلى» انه خرج فى تسعة نفر هو عاشرهم ليصيبوا الطريق فرأى غرابا واقعاً فوق بانة . فقال ياقوم انكم تصابون فى سفركم هذا فازدجروا واطيعونى وارجعوا فابوا عليه فاخذ قوسه وانصرف وقتلت التسعة وانشأ يقول

رأيت غرابا واقعاً فوق بانة * ينتف اعلى ريشه ويطايره
فقلت غراب فاغتراب من النوى * وبان فبين من حبيب يجاوره
فما اعيف العكلى لادر دره * وازجره للطير لاعز ناصره

«وذكر عن كثير» عزة انه خرج يريد مصر وكانت عزة بها فلقيه اعرابى من نهد فقال اين تريد قال اريد عزة بمصر قال مارأيت فى وجهك قال رأيت غرابا ساقطاً فوق بانة ينتف ريشه فقال ماتت عزة فانتهى

ومضى فوافى مصر والناس منصرفون من جنازتها . فانشأ يقول .

فاما غراب فاغتراب وغربة * وبان فبين من حبيب نعاشره

«وذكر عنه ايضاً» انه هوى امرأة من قومه بعد عزة يقال لها ام الحويرث وكانت فائقة الجمال . كثيرة المال . فقالت له اخرج فاصب مالا فاتزوجك فخرج الى اليمن وكان عليها رجل من بني مخزوم فلما كان ببعض الطريق عرض له قوط وهو الجماعة من الظباء فمضى ثم عرض له غراب ينعب ويفحص التراب على رأسه فاتى كثير حياً من الازد ثم من بني لهب وهم من ازجر العرب وفيهم شيخ قد سقط حاجباه على عينيه فقص عليه ماعرض له فقال ان كنت صادقا لقد ماتت هذه المرأة اوتزوجت رجلا من بني كعب فاغتم كثير لذلك وسقى بطنه فكان ذلك سبب موته وقال في ذلك .

تيممت لهبا ابتغي العلم عندهم * وقد رد علم العائفين الى لهب
فيممت شيخا منهم ذوامانة * بصيراً بزجر الطير منحنى الصلب
فقلت له ماذا ترى في سوانح * وصوت غراب يفحص الارض بالترب
فقال جرى الطير السنيح بينها * ونادى غراب بالفراق وبالسلب
فان لا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بني كعب

«وقال رجل من بني اسد» تزوجت ابنة عم لي فخرجت اريدها فلقيني شيء كالكلب مندلع لسانه في شق فقلت اصفت ورب الكعبة فاتيت القوم فلم اصل اليها ونافرني اهلها فخرجت عنهم فمكثت ثلاثة ايام

ثم بدالى فخرجت نحوهم فالقيت كلبة تنطف ظباؤها لبناً فقلت ادركت ورب الكعبة فدخلت باهلى وحملت منى بغلام ثم بآخر حتى ولدت اولاداً كثيرين. وما رواه الثقاة من الحكايات فى هذا الباب لا يقوم بها مثل هذا الكتاب من المختصرات .

(كيفية الزجر عند العرب)

قال ابن القيم فى كتاب مفتاح دار السعادة عند الكلام على اصحاب الطير السانح والبارح والقعيد والناطح واصل هذا ان العرب كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها. فما تيامن منها واخذ ذات اليمين سموه سانحاً. وما تياسر منها سموه بارحا. وما استقبلهم منها فهو الناطح. وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد. فمن العرب من يتشاءم بالبارح لانه لا يمكن رميه الا بان ينحرف اليه ويتبرك بالسانح. ومنهم من يرى خلاف ذلك. قال المدائنى سألت روبة بن العجاج ما السانح قال ما ولاك ميامنه. قال قلت فما البارح قال ما ولاك مياسره قال والذى يجىء من قدامك فهو الناطح والنطيح والذى يجىء من خلفك فهو القاعد والقعيد. ونقل عن المفضل الضبي ان البارح ما يأتيك من اليمين يريد يسارك والسانح ما يأتيك عن اليسار فيمر على اليمين وانما اختلفوا فى مراتبها ومذاهبها لانها خواطر وحدوس وتخمينات لا اصل لها فمن تبرك بشىء مدحه ومن تشاءم به ذمه. وقد ذكرنا سابقاً عند الكلام على تشاؤم العرب بالطيور ان اهل نجد تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح واهل العالية

على عكس هذا . وفى النهاية لابن الاثير الزجر للطير هو التيمن والتشؤم بها والتفاؤل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة واقول انه قسيم للكهانة لانوع منهم وظاهر كلامه يوهم انها والعيافة مترادفان وهو ايضاً لايسلم له . وليس شئ من الطير الا وهو يزجر الا الرخم . قال الكميت يهجو رجلا .

انشأت تنطق فى الامور * كواغد الرخم الدوائر
اذ قيل يارخم انطقى * فى الطير انك شر طائر
فاتت بما هى اهله * والعى من شلل الجاور

وفى المثل «انطقى يارخم انك من طير الله» يقال ان اصله ان الطير صاحت فصاحت الرخم فقيل لها يهزأ بها انك من طير الله فانطقى يضرب للرجل لايلتفت اليه ولا يسمع منه . والرخمة طائر ابقع يشبه النسر فى الخلقة يقال له الانوق والجمع رخم وهو للجنس .

﴿ من اشتهر من العرب بالزجر والعيافة ﴾

قد كان فى العرب جماعة يعرفون بذلك كعراف اليمامة والابلق الاسدى والاجلح وعروة بن يزيد وغيرهم ممن لايحصى عدداً . فكانوا يحكمون بذلك ويعملون به ويتقدمون ويتأخرون فى جميع مايتقلبون فيه . ويتصرفون فى حال الامن والخوف والسعة والضيق والحرب والسلم . فان نجحوا فيما يتفألون به مدحوه وداوموا عليه . وان عطبوا فيه تركوه وذموه . ومن اشتهر باحسان الزجر عندهم ووجوهه

حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم وما املوه من اعمالهم سموه عائفاً وعرافا كما سموه زاجراً . وانى ذاكر بحول الله تعالى فى هذا المقام شيئاً من اخبار بعض من وقفت على ترجمته منهم على طريق الاختصار.

(منهم حسل بن عامر بن عميرة الهمدانى)

ومن حديثه ان عامراً بعث ابنيه الحسل وعاجنة الى تجارة فلقى الحسل قوم من بنى اسد فاخذوا ماله واسروه وسار عاجنة اياما ثم وقع على مال فى طريقه من قبل ان يبلغ موضع متجره فاخذه ورجع وقال فى ذلك .

كفانى الله بعد السير انى * رأيت الخير فى السفر القريب
رأيت البعد فيه شق ونأى * ووحشة كل منفرد غريب
فاسرعت الاياب بخير حال * الى حوراء خرعبة لعوب
وانى ليس يثنينى اذا ما * رحلت سنوح سحاج نعوب

قال فى الصحاح الحور شدة بياض العين فى شدة سوادها وامرأة حوراء بينة الحور وجارية خرعبة وخرعوبة اى دقيقة العظام ناعمة وبعير سحاج يسحج الارض بخفه اى يقشر. فلما رجع تباشر به اهله وانتظروا الحسل فلما جاء ابانه الذى كان يجئ فيه ولم يرجع رابهم امره وبعث ابوه اخاً له لم يكن من امه يقال له شاكر فى طلبه والبحث عنه فلما دنا شاكر من الارض التى بها الحسل وكان الحسل عائفاً يزجر الطير فقال

تخبرنى بالنجاة القطاة * وقول الغراب بها شاهد

يقول الا قد دنا نازح * فدآء له الطرف والتالد
اخ لم تكن امنا امه * ولكن ابونا اب واحد
تداركني رأفة حاتم * فنعم المربب والوالد

ثم ان شاكراً سأل عنه فاخبر بمكانه فاشتراه ممن اسره باربعين بعيراً فلما رجع به قال له ابوه «اسع بجدك لابكدك» فذهبت مثلا .

(ومنهم ابو ذؤيب الهذلى الشاعر)

ومن خبره ماحكى عنه انه قال بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت باطول ليلة لاينجاب ديجورها . ولا يطلع نورها . فبت اقاسى طولها . حتى اذا كان وقت السحر اغفيت فهتف بى هاتف وهو يقول .

خطب اجل اناخ بالاسلام * بين النخيل ومقعد الاطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالاسجام

قال ابو ذويب فوثبت من منامى فزعا فنظرت الى السماء فلم ار الا سعد الذابح فاولته ذبحاً يقع فى العرب وعلمت ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد قبض اوهو ميت من علته فركبت ناقتى وسرت فلما اصبحت طلبت شيئاً ازجر به فعرض لى شيهم «وهو ذكر القنافذ» قد قبض على صل يعنى حية فهى تلتوى عليه والشيهم يقضمها حتى اكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شئ هم . والتوآء الصل تلوى الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . ثم

اولت اكل الشيهم اياها غابة القائم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر . فحثثت ناقتي حتى اذا كنت بالغابة زجرت الطائر فاخبرني بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم . ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك . فتعوذت بالله من شر ماعن لى في طريق فقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام . فقلت ماالخبر قالوا قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خالياً فاتيت بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجدت بابه مرتجاً اى مغلقاً . وقيل هو مسجى وقد خلا به اهله فقلت اين الناس فقيل في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الانصار فجئت الى السقيفة فاصبت ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح وجماعة من قريش ورأيت الانصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعر آؤهم حسان ابن ثابت وكعب بن مالك فاويت الى قريش وتكلمت الانصار فاطالوا الخطاب واطالوا الجواب . وتكلم ابو بكر فلله دره من رجل لايطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب . والله لقد تكلم بكلام لايسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه . ثم تكلم عمر رضى الله تعالى عنه بدون كلامه . ثم قال لابي بكر مد يدك ابايعك فمد يده فبايعه وبايعه الناس ورجع ابو بكر رضى الله تعالى عنه ورجعت معه . قال ابو ذؤيب فشهدت الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشهدت دفنه .

(ومنهم جابر بن عمرو المازنى)

ومن حديثه انه كان يسير يوما فى طريق اذ رأى اثر رجلين وكان عائفاً قائفاً. فقال ارى اثر رجلين شديداً كلبهما. عزيراً سلبهما. والفرار بقراب اكيس ثم مضى واراد ذو الفرار يعنى الذى يفر ومعه قراب سيفه اذ فاته السيف اكيس ممن يفيت القراب ايضاً قال الشاعر

اقاتل حتى لا ارى لى مقاتلا * وانجو اذا لم ينج الا المكيس

(ومنهم جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم)

قال المفضل الضبي ان جندبا هذا كان رجلا دميماً فاحشاً وكان شجاعا وانه جلس هو وسعد بن زيد مناة يشربان فلما اخذ الشراب فيهما قال جندب لسعد وهو يمازحه ياسعد اشرب لبن اللقاح. وطول النكاح. وحسن المزاح. احب اليك من الكفاح. ودعس الرماح. وركض الوقاح. فقال سعد كذبت والله انى لاعمل العامل. وانحر البازل. واسكت القائل. قال جندب انك لتعلم انك لو فزعت دعوتنى عجلا. وما ابتغيت لى بدلا. ولرأيتنى بطلا. اركب العظية. وامنع الكريمة. واحمى الحريمة. فغضب سعد وانشأ يقول.

هل يسود الفتى اذا قبح الوجه * وامسى قراه غير عتيد
واذا الناس فى الندى قدرأوه * قال قول غير سديد

« فاجابه جندب »

ليس زين الفتى الجمال ولكن * زينه الضرب بالحسام التليد

ان ينلك الفتى فزين والا * ربما ضن باليسير العتيد

قال سعد وكان عائفاً ايضاً اما والذى احلف به لتأسرنك طعنة . بين العرينة والدهينة . ولقد اخبرنى طيرى . انه لايغيثك غيرى . فقال جندب كلا انك لجبان . تكره الطعان . وتحب القيان . فتفرقا على ذلك فغبرا حيناً ثم ان جندبا خرج على فرس له يطلب القنص فاتى على امة لبنى تميم يقال ان اصلها من جرهم فقال لتمكنني مسرورة . اولتقهرن مجبورة . قالت مهلا فان المرء من نوكه . يشرب من سقاء لم يوكه . فنزل اليها عن فرسه مدلا . فلما دنا منها قبضت على يديه بيد واحدة فما زالت تعصرها حتى تركته لايستطيع ان يحركهما ثم كتفته بعنان فرسه وراحت به مع غنمها وهى تحدو به وتقول .

لاتأمنن بعدها الولايدا * فسوف تلقى باسلا مواردا

* وحية تضحى لحى راصدا *

قال فمر بسعد فى ابله فقال ياسعد اغثنى قال سعد « ان الجبان لايغيث » فقال جندب

ياايها المرء الكريم المشكوم * انصر اخاك ظالماً اومظلوم

فاقبل اليه سعد فاطلقه ثم قال لولا ان يقال قتل امرأة لقتلتك قالت كلا لم يكن ليكذب طيرك . ويصدق غيرك . قال صدقت . قوله انصر اخاك الخ هو من الامثال يعنى انصره ظالماً كنت خصمه اومظلوما من جهة خصمه اى لاتسلمه فى اى حال كنت .

(ومنهم مرّة الاسدى)

ومن خبره انه كانت له امرأة من اجمل النساء فى زمانها وانه غاب عنها اعواما فهويت عبداً لها حامياً كان يرعى لها ماشيتها فلما همت به اقبلت على نفسها . فقالت يانفس لاخير فى الشرة . فانها تفضح الحرة . وتحدث العرة . ثم اعرضت عنه حيناً ثم همت به فقالت يانفس موتة مريحة. خير من الفضيحة. وركوب القبيحة. واياك والعار . ولبوس الشنار . وسوء الشعار . ولؤم الدثار . ثم همت به وقالت انكانت مرة واحدة . فقد تصلح الفاسدة . وتكرم العائدة . ثم جسرت على امرها . وقالت للعبد احضر مبيتى الليلة فاتاها فواقعها وكان زوجها عائفاً مارداً وكان قدغاب دهراً ثم اقبل آيباً فبينا هو يطعم اذنعب غراب فاخبره ان امرأته لم تفجر قط ولا تفجر الا تلك الليلة فركب مرّة فرسه وسار مسرعا رجاء ان هو احسها امنها ابداً فانتهى اليها وقد قام العبد عنها وقد ندمت وهى تقول « خيرقليل وفضحت نفسى» فسمعها مرّة فدخل عليها وهو يرعد لما به من الغيظ فقالت له مايرعدك قال مرة ليعلم انه قدعلم خير قليل المثل فشهقت شهقة وماتت فقال مرّة .

لحى الله رب الناس فاقرمية * واهون بها مفقودة حين تفقد

لعمرك ماتعتادنى منك لوعة * ولا انامن وجد عليك مسهد

ثم قام الى العبد فقتله . والفاقرة الداهية . ولحاه الله قبحه ولعنه .

والمارد العاتى .

(من انكر الزجر والطيرة من العرب)

ومن العرب من انكر الزجر ونحوه بعقله وابطل تأثيره بنظره وذم من اغتر به واعتمد فى امره عليه وتوهم تأثيره ٠ منهم ضابى بن الحارث ٠ وقد قال فى ذلك .

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى * نجاحا ولا عن ريثهن يخيب
ورب امور لاتضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لايوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب

قوله وما عاجلات الطير الخ قال المبرد فى الكامل يقول اذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك ببعد خيراً عنه ولا اذا ابطأت خاب فعاجلها لايأتيه بخير وآجلها لايدفع عنه انما له ماقدر له . والعرب تزجر على السانح وتتبرك به وتكره البارح وتتشأم به والسانح ماأتاك مياسره فامكن الصائد والبارح ماأتاك ميامنه فلم يمكن الصائد الا ان ينحرف له . قال الشاعر .

لايعلم المرء ليلا مايصبحه * الا كواذب مما يخبر الفال
والفال والزجر والكهان كلهم * مضللون ودون الغيب اقفال

وقال ابن خلف اذا خرج الانسان من منزله فاراد ان يزجر الطير فما مر به فى اول مايبصر فهو عاجلات الطير وان ابطأت عنه وانتظرها فقد رائث اى ابطأت والاول عندهم محمود . والثانى مذموم يقول

ليس النجح بان يجعل الطائر الطيران كما يقول الذين يزجرون الطير ولا الخيبة في ابطائها وهذا رد على مذهب الاعراب .

« ومنهم المرقش» وهو شاعر قديم ومن شعره .

ولقد غدوت وكنت لا * اغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا * من والايامن كالاشائم
وكذاك لاخير ولا * شر على احد بدائم
لايمنعنك من لقاء الـ * خير تعقاد التمائم
ولا التشاؤم بالعطا * س ولا التيامن بالمقاسم
قدخط ذلك في السطو * ر الاوليات القدائم

« ومنهم جهم الهذلي» وفي ذلك يقول من ابيات يرد بها على العائفين في زجر الطير .

يظنان ظناً مرة يخطيانه * واخرى على بعض الذي يصفان
قضى الله ان لايعلم الغيب غيره * ففي اي امر الله يمتريان

« ومنهم صابي بن حارث البرجمي» حيث يقول في شعره .

وما انا ممن يزجر الطير همه * اصاح غراب ام تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية * امر سليم القرن ام مر اعضب

« وقال آخر وهو لبيد »

لعمرك ماتدري الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ماالله صانع

« ومنهم الرقاص الكلبي » وكان على انكار الزجر واعتقاد بطلانه

وهو الذي يقول . وقيل لخثيم بن عدي .

وجدت اباك الخير بحراً بنجدة * بناها له مجداً اشم قماقم
وليس بهياب اذا شد رحله * يقول عداني اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضي على ذاك مقدما * اذا صد عن تلك الهناة الخثارم

والخثارم كعلابط الرجل المتطير « ومنهم النابغة » فقد روى انه خرج هو وزياد بن سيار يريدان الغزو فرأى زياد جرادة فقال حرب ذات الوان فرجع ومضى النابغة ولما رجع غانماً قال .

يلاحظ طيرة ابدا زياد * لتخبره وما فيها خبير
اقام كأن لقمان بن عاد * اشار له بحكمته مشير
تعلم انه لاطير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء * احايينا وباطله كثير

وقد شفت الشريعة المحمدية الامة في الطيرة . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سئل عنها « ذاك شيء يجده احدكم فلا يصدنه » وذكر شراح الحديث ان ليس في سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه وانما هو تكلف بتعاطي ما لا اصل له اذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله . وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه كما سبق وكان اكثرهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك ويصح معهم غالبا لتزيين الشيطان ذلك وبقيت من ذلك بقايا في كثير

من المسلمين . وبقي كلام في الطيرة والفال والفرق بينهما وسبب تحريم احدهما دون الآخر مذكور في شروح كتب الحديث . ومن عجيب امر بعض قبائل العرب في الجاهلية انهم لايزوجون بناتهم الا من اتصف بصفات منها معرفته للزجر والعيافة حيث ان هذه المعرفة عندهم من الصفات العلية . في كتاب مجمع الامثال للميداني عن المفضل الضبي ان ابن اروى الكلاعي خرج تاجراً من اليمن الى الشام فسار اياما ثم حاد عن اصحابه فبقي مفرداً في تيه من الارض حتى سقط الى قوم لايدري من هم فسأل عنهم فاخبر انهم همدان فنزل بهم وكان طريراً ظريفاً وان امرأة منهم يقال لها عمرة بنت سبيع هويته وهويها فخطبها ابن اروى وكان اسمه الضب الى اهل بيتها وكانوا لايزوجون الا شاعراً او عائفاً اوعالماً بعيون الماء فسألوه عن ذلك فلم يعرف منها شيئاً فابوا تزويجه فلم يزل بهم حتى اجابوه فتزوجها . ثم ان حياً من احياء العرب ارادوا الغارة عليهم فتطيروا بالضب فاخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء فسارا يوما وليلته وامامهما عين يظنان انهما يصبحانها . فقالت له ادفع الى هذا السقاء حتى اغتسل فقد قاربنا العين فدفع اليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها ثم صبحا العين فوجداها ناضبة وادركهما العطش فقال الضب لاماءك ابقيت ولاحرك انقيت ثم استظلا بشجرة حيال العين فانشأ الضب يقول .

تالله ماطلة اصاب بها * بعلا سوى قوارع العطب

واى مهر يكون أثقل مما * طلبوه ادن من الضب
ان يعرف الماء تحت صم الصفا * ويخبر الناس منطق الخطب
اخرجنى قومها بان الرحى * دارت بشومهم على القطب

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقالت ارجع الى القوم فانك شاعر فانطلقا راجعين فلما وصلا خرج القوم اليهما وقصدوا ضربهما وردها فقال لهم الضب اسمعوا شعرى ثم اقتلونى فانشدهم شعره فنجا وصار فيهم آثر من بعضهم . قال الفرزدق .

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها * ولا هى من ماء المذابة طاهر

(الطرق بالحصى والخط ونحو ذلك)

كانت عند العرب امور كثيرة يتوصلون بها الى معرفة المغيبات بزعمهم كالطرق بالحصى والخط والحوب وغير ذلك وهذه كلها من الكهانة على ماحققه اهل العلم . والطرق له صورة مخصوصة فان الكاهن اذا سئل عن حادثة اخرج حصيات قداعدها عنده فيطرق بعضها ببعض فيلوح له حينئذ مايعلم به جواب السؤال وصورة الخط مانقله ابن الاعرابى قال يقعد الحاذى ويأمر غلاما له بين يديه فيخط خطوطاً على رمل اوتراب ويكون ذلك منه فى خفة وعجلة كى لايدركها العد والاحصاء ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول . ابنى عيان . اسرعا البيان . فان كان آخر مايبقى منها خطين فهو آية النجاح وان كان قدبقى خط واحد فهو علامة الخيبة والحرمان. ورأيت

في بعض كتب الادب ان راجزاً قال يصف جندبا وهو ضرب من الجراد

يحجل فيها مقلز الحجول * بغيا على شقيه كالمشكول

بخط لام الف موصول * والزاي والرا ايما تهايل

* حط يد المستطرق المسؤل *

اي بخط لام الف كخط يد الكاهن المسؤل منه التكهن والمستطرق الذي يتكهن فاذا سئل عن الشيء خط في التراب ونظر . وقيل المستطرق الكاهن الذي يطرق الحصى بعضه ببعض . وفي سنن ابي داود عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يارسول الله ومنا رجال يخطون قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك . وهذا يحتمل ان يكون معناه الزجر عنه اذ كان من بعده لا يوافق خطه ولا ينال حظه من الصواب لان ذلك انما كان آية لذلك النبي ومعجزة له فليس لمن بعده ان يتعاطاه طمعاً في نيله . وقد ذكر بعض المفسرين في قوله تعالى او اثارة من علم ان المراد به هذا العلم وهو المشهور اليوم بعلم الرمل . وكل ذلك من قبيل الكهانة « قال ابن خلدون في مقدمته » انا نجد في النوع الانساني اشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من النجوم ولا غيرها انما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام الشفافة كالمرايا وطساس الماء والناظرين

فى قلوب الحيوانات وآكبادها وعظامها واهل الزجر فى الطير والسباع . واهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة فى عالم الانسان لايسع احداً جحدها ولا انكارها . وكذلك المجانين يلقى على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته اونومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك فى الغيب على سبيل الكرامة معروفة . قال ونحن نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدى منها بالكهانة ثم نأتى عليها واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة فى النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب فى جميع الاصناف التى ذكرناها . وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد وكل مابالقوة فله مادة وصورة وصورة هذه النفس التى بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعقل فهى توجد اولا بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشوها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن . وما يعودها بوجود مدركاتها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الاداراكات من المعانى الكلية فتتعقل الصور مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل طوراً بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهيولى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة . ولذلك نجد الصبى فى اول نشأته لايقدر على الادراك الذى

لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك لان صورتها التى هى عين ذاتها وهى الادراك والتعقل لم يتم بعد . بل لم يتم لها انتزاع الكليات . ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها مادامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بآلات الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهى محجوبة عنه بالانغماس فى البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابداً جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولا من الادراك الجسمانى وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصية التى للانسان على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق . او بالرياضة مثل الصوفية . فتلتفت حينئذ الى الذوات التى فوقها من الملأ الاعلى لما بين افقها وافقهم من الاتصال فى الوجود وتلك الذوات روحانية وهى ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقائقها فيتجلى فيها شىء من تلك الصور وتقتبس منها علوما. وربما دفعت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه فى القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما ادركت اما مجرداً اوفى قوالبه فتخبر به .
هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبى . قال ولنرجع الى ماوعدنا به من بيان اصنافه .فاما الناظرون فى الاجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان واكبادها وعظامها واهل الطرق بالحصى والنوى فكلهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة

فيه فى اصل خلقهم لان الكاهن لايحتاج فى رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها فى نوع واحد منها واشرفها البصر فيعكف على المرئى البسيط حتى يبدو له مدركه الذى يخبر به عنه وربما يظن ان مشاهدة هؤلاء لما يرونه هو فى سطح المرآة وليس كذلك بل لايزالون ينظرون فى سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرآة حجاب كأنه غمام يتمثل فيه صور هى مداركهم فيشيرون اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفى او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ماادركوه . واما المرآة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه فى تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفسانى ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفسانى للحس كما هو معروف ومثل ذلك مايعرض للناظرين فى قلوب الحيوانات واكبادها وللناظرين فى الماء والطساس وامثال ذلك . قال وقد شاهدنا من هؤلاء من يشغل الحس بالبخور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما ادرك . ويزعمون انهم يرون الصور متشخصة فى الهوآء تحكى لهم احوال مايتوجهون الى ادراكه بالمثال والاشارة وغيبة هؤلاء عن الحس اخف من الاولين والعالم ابو الغرائب . ثم ذكر الزجر وسبب تكلم المجانين باخبار الغيب . ثم قال واما العرافون منهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال . فيسلطون الفكر على الامر الذى يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على مايتوهمونه

من مبادى ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة هذا تحصيل هذه الامور . قال وقد تكلم عليها المسعودى فى مروج الذهب فما صادف تحقيقاً ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيداً عن الرسوخ فى المعارف فينقل ماسمع من اهله ومن غير اهله . ثم ذكر ماللعرب فى ذلك من الاعتناء والاعتبار والمشاهير منهم فى معرفة هذه الامور وحقيقة مايصدر من المتصوفة مما يطول ذكره .

﴿ ومن علومهم علم الطب ﴾

كان للعرب حظ وافر من معرفة الطب المبنى فى غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثا عن مشائخ الحى وعجائزه وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج بعقاقير وادوية من نباتات واغذية يحصل لغالبهم البرء العاجل باستعمالها . وفى عرب البوادى اليوم كثير من ذلك وقد سمعنا عنهم فى هذا الباب عجائب نقلها من شاهدها منهم من الثقاة وكذلك فى معالجة الجروح والعاهات . وقسم منهم يعالجون ادوائهم بالكى فيحصل لهم البرء مما يشكون باقل زمان وايسر وقت . وكذلك لهم العلم التام فى معالجة الدواب من الخيل والبغال والحمير والابل ونحو ذلك ومعرفة تربيتها على احسن وجه مما لايبلغهم به غيرهم كل ذلك مشهور عنهم مسلم لهم وقد دون المتقدمون كل مابلغهم عنهم من هذه الفنون مكتب

كثيرة . وقد كان فى الجاهلية من العرب اطباء موسومون بالحذاقة موصوفون بالرياسة فى الفن غير من كان منهم فى اليمن وعند التبابعة فان هؤلاء لايمكن حصرهم . وشأن لقمان وما بلغه من الحذاقة امر مشهور . وكلامنا فيمن كان قبيل الاسلام بين مضر ومن جاورهم . ونحن نذكر ان شاء الله نبذة منهم ومن اخبارهم وجملا من كلامهم فى هذا الفن مما يكون انموذجا ودليلا واضحاً على من تردد فى ذلك واستبعده وفضل الله تعالى ليس مقصوراً على احد .

(مشاهير اطباء العرب منهم الحارث بن كلدة الثقفى)

قال ابن اصيبعة فى كتابه عيون الانباء فى طبقات الاطباء . كان الحارث هذا من الطائف وسافر الى البلاد وتعلم الطب وعرف الداء والدواء وكان يضرب بالعود تعلم ذلك بفارس واليمن وبقى ايام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايام ابى بكر وعمر وعثمان وعلى ابن ابى طالب ومعاوية وقال له معاوية ماالطب ياحارث فقال الازم يعنى الجوع ذكر ذلك ابن جلجل . وقال الجوهرى فى الصحاح الازم المسك يقال ازم الرجل عن الشئ امسك عنه . وقال ابو زيد الازم الذى ضم شفتيه فى الحديث . وقد سأل عمر رضى الله تعالى عنه الحارث ابن كلدة عن الدآء فقال الازم يعنى الحمية قال وكان طبيب العرب . ويروى عن سعد ابن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه انه مرض بمكة مرضاً فعاده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ادعوا له الحارث

ابن كلدة فانه رجل يتطبب فلما عاده الحارث نظر اليه وقال ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة بشيء من تمر عجوة وحلبة يطبخان. فحساها فبرئ . وكانت للحارث معالجات كثيرة ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره « من ذلك » انه لما وفد على كسرى انوشروان اذن له بالدخول عليه فلما وقف بين يديه منتصباً قال له من انت قال انا الحارث بن كلدة الثقفي قال فما صناعتك قال الطب . قال اعرابي انت قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها . قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء اغذيتها. قال ايها الملك اذا كانت هذه صفتها كانت احوج الى من يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس ابدانها ويعدل امشاجها . فان العاقل يعرف ذلك من نفسه . قال كسرى فكيف تعرف ماتورده عليها ولو عرفت الحلم لم تنسب الى الجهل . قال الطفل يناغى فيداوى. والحية ترقى فتحاوى . ثم قال ايها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته اصاب وخص بها قوم وزاد فنهم مثر ومعدم. وجاهل وعالم. وعاجز وحازم . وذلك تقدير العزيز العليم . فاعجب كسرى من كلامه ثم قال فما الذى تحمد من اخلاقها ويعجبك من مذاهبها وسجاياها . قال الحارث ايها الملك لها انفس سخية . وقلوب جرية . ولغة فصيحة والسن بليغة . وانساب صحيحة . واحساب شريفة . يمرق من افواههم

الكلام . مرموق السهم من نبعة الرام . اعذب من هو آء الربيع . والين من سلسبيل المعين . مطعموا الطعام فى الجدب . وضاربوا الهام فى الحرب . لا يرام عزهم . ولا يضام جارهم . ولا يستباح حريمهم . ولا يذل كريمهم . ولا يقرون بفضل للانام . الا الملك الهمام . الذى لا يقاس به احد . ولا يوازيه سوقة ولا ملك . قال فاستوى كسرى جالساً وجرى ماء رياضة الحلم فى وجهه لما سمع من محكم كلامه . وقال لجلسائه انى وجدته راجحا . ولقومه مادحا . وبفضيلتهم ناطقا . وبما يورده من لفظه صادقا . وكذا العاقل من احكمته التجارب . ثم امره بالجلوس فجلس فقال كيف بصرك بالطب قال ناهيك قال فما اصل الطب قال الازم قال فما الازم قال ضبط الشفتين . والرفق باليدين . قال أصبت . قال فما الدآء الدوى قال ادخال الطعام على الطعام هو الذى يفنى البرية . ويهلك السباع فى جوف البرية . قال فما الجمرة التى تصطلم منها الادوآء قال هى التخمة ان بقيت فى الجوف قتلت . وان تحللت اسقمت . قال صدقت . قال فما تقول فى الحجامة قال فى نقصان الهلال فى يوم صحو لا غيم فيه والنفس طيبة . والعروق ساكنة . لسرور يفاجئك . وهم يباعدك . قال فما تقول فى دخول الحمام قال لا تدخله شبعانا . ولا تغش اهلك سكرانا . ولا تقم بالليل عريانا . ولا تقعد على الطعام غضبانا . وارفق بنفسك ارخى لبالك . وقلل من طعامك يكن اهنأ لنومك . قال فما تقول فى الدوآء . قال مالزمتك الصحة

فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت. وان تركتها خربت. قال فما تقول فى الشراب قال اطيبه اهناه . وارقه امراه. واعذبه اشهاه . لاتشربه صرفا فيورثك صداعا . ويثير عليك من الادواء انواعا. قال فاى اللحمان افضل قال الضأن الفتى . والقديد المالح مهلك للاكل. واجتنب لحم الجزور والبقر . قال فما تقول فى الفواكه قال كلها فى اقبالها وحين اوانها واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها . وافضل الفواكه الرمان والاترج. وافضل الرياحين الورد والبنفسج وافضل البقول الهندباء والخس . قال فما تقول فى شرب الماء قال هو حيوة البدن وبه قوامه ينفع ماشرب منه بقدر الحاجة وشربه بعد النوم ضرر . افضله امراه . وارقه اصفاه . ومن عظام انهار البارد الزلال لم يختلط بماء الاجام والاكام ينزل من صرادح المسطان ويتسلسل عن الرضراض وعظام الحصى فى الايفاع. قال فما طعمه قال لايوهم له طعم الا انه مشتق من الحيوة . قال فما لونه قال اشتبه على الابصار لونه لانه يحكى لون كل شئ يكون فيه . قال اخبرنى عن اصل الانسان ماهو. قال اصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه . قال فما هذا النور الذى فى العينين. قال مركب من ثلاثة اشياء فالبياض شحم والسواد ماء والناظر ريح . قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن . قال على اربع طبائع المرة السوداء وهى باردة يابسة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة والدم وهو حار

رطب والبلغم وهو بارد رطب. قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لوخلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك . قال فمن طبيعتين لوكان اقتصر عليهما . قال لم يجز لانهما ضدان يقتتلان . قال فمن ثلاث قال لم يصلح موافقان ومخالف . فالاربع هو الاعتدال والقيام . قال فاجمل لى الحار والبارد فى احرف جامعة . قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مر معتدل وفى المر حار وبارد . قال فافصل ماعولج به المرة الصفرآء قال كل بارد لين .قال فالمرة السودآء قال كل حار لين قال فالبلغم قال كل حار يابس. قال فالدم قال اخراجه اذا زاد وتطفئه اذا سخن بالاشياء الباردة اليابسة. قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة . قال افتأمر بالحقنة قال نعم قرأت فى بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقى الجوف وتكسح الادوآء عنه والعجب لمن احتقن كيف يهرم اويعدم الولد. وان الجهل كل الجهل من اكل ماقد عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه . قال فما الحمية قال الاقتصاد فى كل شئ فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها. قال فما تقول فى النساء واتيانهن . قال كثرة غشيانهن ردئ واياك واتيان المرأة المسنة فانها كالشن البالى تجذب قوتك وتسقم بدنك . ماؤها سم قاتل . ونفسها موت عاجل. تاخذ منك الكل ولا تعطيك البعض. والشابة ماؤها عذب زلال . وعناقها غنج ودلال .فوها بارد. وريقها

عذب . وريحها طيب . وهنها ضيق . تزيدك قوة الى قوتك . ونشاطاً الى نشاطك . قال فايهن القلب اليها اميل . والعين برؤيتها اسر . قال اذا اصبتها المديدة القامة . العظيمة الهامة . واسعة الجبين . اقناة العرنين . كحلاء لعساء صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر . فى خدها رقة . وفى شفتيها لعس . مقرونة الحاجبين . ناهدة الثديين . لطيفة الخصر والقدمين . بيضاء فرعاء جعدة غضة بضة تخالها فى الظلمة بدراً زاهراً . تبسم عن اقحوان . وعن مبسم كالارجوان . كأنها بيضة مكنونة . الين من الزبد . واحلى من الشهد . وانزه من الفردوس والخلد . وازكى ريحاً من الياسمين والورد . تفرح بقربها . وتسرك الخلوة معها . قال فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه . قال ففى اى الاوقات اتيانهن افضل . قال عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى والنفس اهدى والقلب اشهى والرحم ادفى . فان اردت الاستمتاع بها نهاراً تسرح عينك فى جمال وجهها . ويجتنى فوك من ثمرات حسنها . ويعى سمعك من حلاوة لفظها . وتسكن الجوارح كلها اليها . قال كسرى لله درك من اعرابى لقد اعطيت علماً . وخصصت فطنة وفهماً . واحسن صلته وامر بتدوين مانطق به (وقال الواثق بالله) فى كتابه المسمى بالبستان ان الحارث ابن كلدة مر بقوم وهم فى الشمس فقال عليكم بالظل فان الشمس تبهج الثوب وتنقل الريح وتشحب اللون وتهيج الداء الدفين . ومن كلام الحارث البطنة بيت الداء . والحمية رأس الدواء . وعودوا كل بدن

ماعتاد . وقيل هو من كلام عبد الملك بن ابجر . وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . واوله المعدة بيت الدآء وهو ابلغ من لفظ البطنة . وروى عن امير المؤمنين على ابن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليجود الغذآء . وليتمش بعد العشاء . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء . ودخول الحمام على البطنة من شر الدآء . ودخلة الى الحمام فى الصيف خير من عشر فى الشتاء . واكل القديد اليابس فى الليل معين على الفناء . ومجامعة العجوز تهدم اعمار الاحياء . وروى بعض هذه الكلمات عن الحارث بن كلدة وفيها من سره النساء ولا نساء . فليكر العشاء . وليباكر الغذآء . وليخفف الردآء . وليقل غشيان النساء . ومعنى فليكر فليؤخر والمراد بالردآء الدين وسمى الدين ردآء لقولهم هو فى عنقى وفى ذمتى فلما كانت العنق موضع الردآء سمى الدين ردآء . وقد روى من طريق آخر وفيه تعجيل العشاء وهو اصح . وروى ابو عوانة وليعجل العشاء وليخفف الردآء وليقل الجماع . وروى حرب ابن محمد قال حدثنا ابى قال قال الحارث بن كلدة اربعة اشياء تهدم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء واكل القديد ومجامعة العجوز . وروى داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال لما احتضر الحارث بن كلدة اجتمع اليه الناس فقالوا مرنا بامر ننتهى اليه من بعدك قال لاتتزوجوا من النساء الاشابة ولا تأكلوا الفاكهة

الا في اوان نضجها ولا يتعالجن احد منكم مااحتمل بدنه الداء وعليكم بالنورة في كل شهر فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم واذا تغدى احدكم فلينم على اثر غدائه . واذا تعشي فليخط اربعين خطوة . ومن كلام الحارث ايضاً قال دافع بالدواء ماوجدت مدفعاً ولا تشربه الا من ضرورة فانه لايصلح شيئاً الا افسد مثله . وقال سليمان بن جلجل اخبرنا الحسن بن الحسين قال اخبرنا سعيد بن الاموى قال اخبرنا عمي محمد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير قال كان اخوان من ثقيف من بني كنة يتحابان لم ير قط احسن الفة منهما فخرج الاكبر الى سفر فاوصى الاصغر بامرأته فوقعت عينه عليها يوما غير متعمد لذلك فهواها وضنى وقدم اخوه فجائه بالاطباء فلم يعرفوا مابه الى ان جائه بالحارث بن كلدة فقال ارى عينين محجبتين وما ادرى ماهذا الوجع وسأجرب فاسقوه نبيذاً فلما عمل النبيذ فيه قال .

الا رفقا الا رفقــا * قليلا مااسكونه

الما بي الى الابيــا * ت بالخيف ازرهنه

غزالا مارأيت الـ * يوم في دور بني كنه

اسيل الخد مربوب * وفي منطقه غنــه

فقالوا له انت اطب العرب ثم قال ردوا النبيذ عليه فلما عمل فيه قال .

ايها الجيرة اسلموا * وقفوا كي تكلموا

وتقضوا لبــانة * وتحيوا وتنعموا

خرجت مزنة من الا * جر ويا تحمحموا

هي ماكنتي وتز * عم اني لها حم

فطلقها اخوه ثم قال تزوج بها يااخي فقال والله ماتزوجتها فمات وما تزوجها . وللحارث بن كلدة الثقفي من الكتب كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى انوشروان .

(ومنهم النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي)

كان النضر ابن خالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وكان قدسافر البلاد ايضاً كابيه واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها وعاشر الاحبار والكهنة واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر واطلع على علوم الفلاسفة واجزاء الحكمة وتعلم من ابيه ايضاً ماكان يعلمه من الطب وغيره . وكان النضر يوالي ابا سفيان في عداوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه كان ثقفياً كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قريش والانصار حليفان. وبنو امية وثقيف حليفان . وكان النضر كثير الاذى والحسد للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويتكلم فيه باشياء كثيرة كيما يحط من قدره عند اهل مكة ويبطل ماانى به بزعمه. ولم يعلم بشقاوته ان النبوة اعظم. والسعادة اقدر. والعناية الالهية اجل . والامور المقدورة أتمت . وانما النضر اعتقد انه بمعلوماته وفضائله وحكمته يقاوم النبوة واين الثرى من الثريا والحضيض من الاوج والشقي من السعيد .

ولما كان يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركوا قريش كان المقدم على المشركين ابا سفيان وعدتهم مابين التسعمائة والالف والمسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر وايد الله تعالى الاسلام . ونصر نبيه عليه الصلوة والسلام ووقعت الكسرة على المشركين وقتلت فى جملتهم صناديد قريش واسر جماعة من المشركين فبعضهم استفكوا انفسهم وبعضهم امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم . وكان من جملة المأسورين عقبة ابن ابى معيط والنضر بن الحارث بن كلدة فقتلهما عليه الصلوة والسلام بعد منصرفه من بدر . قيل قتل عقبة ابن ابى معيط صبراً امر عاصم بن ثابت ابن ابى الافلح الانصارى فضرب عنقه . ثم اقبل من بدر حتى اذا كان بالصفرآء قتل النضر بن الحارث ابن كلدة الثقفى احد بنى عبد الدار امر على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه ان يضرب عنقه فقالت اخته قتيلة بنت الحارث .

ايا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق

بلغ به ميتا فان تحية * ماان تزال بها الركائب تخفق

منى اليه وعبرة مسفوحة * جادت بدرتها واخرى تخنق

فليسمعن النضر ناديه * ان كان يسمع ميت او ينطق

ظلت سيوف بنى ابيه تنوشه * لله ارحام هناك تمزق

صبراً يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

امحمد ولانت نسل نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق

ماكان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر اقرب من اخذت بزلة * واحقهم ان كان عتق يعتق
لو كنت قابل فدية لفديته * باعز مايفدى به من ينفق

قال ابو الفرج الاصبهانى فبلغنا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو سمعت هذا قبل ان اقتله ماقتلته فيقال ان شعرها اكرم شعر واعفه واكفه واحله . وكأنه عليه الصلوة والسلام انما اخر قتل النضر بن الحارث الى ان وصل الصفرآء ليتروّى فيه . ثم انه رأى الصواب قتله فقتله .

(ومنهم ابن حذيم من تيم الرباب)

كان ابن حذيم له قدم راسخة فى علم الطب وله فيه اطول باع . قال الزمخشرى فى المستقصى ابن حذيم رجل كان من اطباء العرب وقال ابو الندى ابن حذيم رجل من تيم الرباب كان اطب العرب وكان اطب من الحارث بن كلدة . وقال ابن الاثير فى المرصع ابن حذيم شاعر فى قديم الدهر يقال انه كان طبيباً حاذقا يضرب به المثل فى الطب فيقال اطب فى الكى من ابن حذيم . وقال الميدانى عند قولهم اطب من حذيم هذا رجل كان معروفا بالحذق فى الطب . ونقل ماذكره ابو الندى من تفضيله على ابن كلدة وتقدمه . واهل اللغة على ذلك . وقد ذكره الشعرآء فى شعرهم ونوهوا بشأنه . ومنهم الاوس بن حجر فانه ذكره فى ابيات قالها لبنى الحارث بن سدوس بن شيبان وهم

اهل القرية باليمامة حيث اقتسموا معزاه وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو سحيم وكان اوس بن حجر اغرى عليهم عمرو بن المنذر بن ماء السماء ثم جاور فيهم فاقتسموا معزاه . ومن الابيات قوله .

فهل لكم فيها الى فانى * طبيب بما اعيا النطاسى حذيما
فاخرجكم من ثوب شمطاء عارك * مشهورة بلت اسافله دما
ولو كان جار منكم فى عشيرتى * اذاً لرأوا للجار حقاً ومحرما
ولو كان حولى من تميم عصابة * لما كان مالى فيكم متقسما
الا تتقون الله اذ تعلفونها * رضيخ النوى والعض حولا مجرما
واعجبكم فيها اغر مشهر * تلاد اذا نام الربيض تغمغما

قوله فهل لكم فيها الخ قال المفضل بن سلمة فى الفاخر وابن الانبارى فى الزاهر الطب الفطنة والحذق ومنه سمى الطبيب لعلمه وحذقه وانشد هذا البيت . واعياه الشئ اذا لم يهتد لوجهه . والنطاسى بكسر النون قال ابن السكيت العالم الشديد النظر فى الامور . قال ابو عبيد ويروى النطاسى بفتح النون قال الجوهرى التنطس المبالغة فى التطهر . وكل من ادق النظر فى الامور واستقصى علمها فهو متنطس ومنه قيل للمتطبب نطيس كفسيق ونطاسى بكسر النون وفتحها اى انى طبيب حاذق بالداء الذى اعجز الاطباء فى مداواته وعلاجه وضمير فيها للمعزى وفيه حذف مضاف اى فهل لكم ميل فى رد المعزى الى . وقوله فهل لكم فى ثوب شمطاء الخ . الشمطاء المرأة التى فى رأسها شمط بالتحريك

وهو بياض شعر الرأس يخالطه سواد والرجل اشمط. والعارك الحائض والشهرة وضوح الامر . يقول هل لكم في رد معزاى فاخرجكم من سبة شنعاء تلطخ اعراضكم وتدنسها كما تدنس الحائض ثوبها بالدم فاغسله عنكم . وهذا مثل ضربه . وقوله الا تتقون الله الخ . يقول لولا انك سرقتها لاى شئ تعلفها يقول فردها ولا تعلفها . والرضيخ بالضاد والخاء المعجمتين الدقوق يقال رضخت الحصى والنوى كسرته والعض بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة . قال ابن السكيت هو القت . وقال الجوهرى علف اهل الامصار مثل الكسب والنوى المرضوخ والمجرم بالجيم على وزن اسم المفعول التام والكامل . وقوله واعجبكم فيها اغر الخ . قال ابن السكيت الاغر الابيض والتلاد القديم من المال والربيض ههنا الغنم . وقوله تغمغما يعنى هذا الاغر والغمغمة هبابه اى لاينام وانما يعرض بهم ويفترى عليهم . وقد ذكر ابن اصيبعة كثيراً من اطباء العرب فى كتابه الطبقات .

(نبذة من اسماء العلل التى وصفتها العرب)

من تصفح كتب اللغة وجد فيها كثيراً من العلل التى وصفها قدماء العرب ووضعوا لها الاسماء الكثيرة. ونحن نذكر هنا نبذة يسيرة من ذلك استدلالا بها على ماكان للقوم من المعرفة بهذا الفن « الحمى » وتكنى بام ملدم وهى الحرارة التى توجد من تعفن الاخلاط تقول حم حمي واحدة فلا تنون حمى وهو محموم وحم حميين وثلاثا والحمى

انواع كثيرة يقال فلان يحم الغب اذا اخذته يوما وتركته يوما. والربع ان تأخذه يوما وتدعه يومين يقال ربع فهو مربوع وقد يقال اربع حوّل الى الربع . ومنهم من قال حمى الربع هى التى تقطع النوبة الثانية بعد النوبة الاولى بيومين فتكون فى اليوم الرابع. ومن عد يوم النوبة ويوم الراحة دوراً مستقلا سماها المثلثة . ويحم الصالب التى معها الصداع . والنافض والراجف التى معها رعدة وقد نفضته الحمى . ويحم حمى مغبطة ومردمة اى دائمة عليه لاتقلع . وتسمى الحمى المطبقة ايضاً . ومن انواعها حمى الروح وحمى الدق« السبات» ان يغمى عليه فى الحمى وهو مغمى عليه ومغشى عليه فان كان مع الحمى برسام فهو موم . والوعك الحمى . وقد وعك فهو موعوك وورد فهو مورود والورد يومها والقلد يوم يأتيه الربع وقد غبت الحمى . وفلان شاك وبه شكاة وموصم يجد تكسيراً فى عظامه ووصب وجع ومنهوك براه المرض ومثبت لايبرح الفراش ونصب اسهره المرض والمستهاض الذى ينكس بعد مابرأ . واول مايحس بالحمى فهو مسها ورسها فان كانت هناك قرة فهى العرواء والعرق فيها الرحضاء ووجد ومضة ومليلة للحرقة والتكسير« ومن العلل اليرقان» وهو داء يصفر الانسان« والصداع »وجع الرأس« والشقيقة »وجع فى شقه « والسعال » وجع فى الصدر« والزكام» وهو اندفاع فضلات تحلبا من الزائدتين فهو اخص من النزلة لكونها تقال على ماأندفع مطلقا

« الزحير » وهو من امراض المعا وهو حركة من المستقيم تدعو الى دفع البراز اضطراراً « الحصر » احتباس البطن « الاسر» احتباس البول « الحصى» يقال به حصاة وهى كالحجر فى مجرى البول «الحكة» تغير سطح الجلد فى اللمس مع لذع مستلذ اذا حك. ومنهم من لم يفرق بينها وبين الجرب «الحصف» بثور شوكية مختلفة الاوضاع «الحصبة» دآء كالجدرى يحمر منه الجلد «الحمرة» ورم حار شفاف براق يسهل غمزه ويبيض به ثم يعود «الجدرى» وهو من الامراض العامة الوبائية وصورته نتو يستدير غالباً ثم يطفو ومنه مايتصل وما ينفصل «الشرى» بثر بين الجلد واللحم يقال شرى شرىً « الحماق » شئ كالجدرى يصيب الرجل وحمق اصابته الحميقاء « القوباء » بثرة يتقوب عنها الجلد اى ينقطع من اصله « والثؤلول » مايخرج فوق الجلد ولا يبرأ بسرعة وجمعه ثآليل «والجرب » وهو من الامراض العامة الظاهرة فى سطح الجلد « والعر » الجرب الابيض « والجذام » دآء معلوم وهو من الجذم وهو القطع سمى بذلك لانه يقطع الاعضاء او النسل او العمر ويسمى ايضاً دآء الاسد لجعله سحنة الانسان كسحنة الاسد اولانه يتريه او يفترس البدن كافتراسه « ودآء الثعلب » وهو نقص الشعر اوذهابه وفساد منابته ويسمى ايضا دآء الحية وسمى بذلك لانه يعترى هذين الحيوانين اولان الثعلب يفسد الزرع بتمرغه كما يفسد هذا الدآء الشعر الذى هو زرع البدن « دآء الفيل» هو دآء يعترى الرجلين

فترمان من الركبة الى النهاية وسمى بذلك لانه يعترى الفيل اولشبه الرجل فيه برجله « الدوار » وهو ان يتخيل الشخص انه دائر بجملة اجزائه اوان المكان دائر عليه « الوباء » وهو تغير يعرض للهوآء يخرج به عن اعتدال الصحة الى ايجاب المرض « الهيضة » وتسمى الفضحية وهى من ادوآء البطن وهومايستوجب القئ والاسهال . قال الجوهرى يقال هاضنى الشئ اذا ردك فى مرضك ويقال بالرجل هيضة اى به قياء وقيام جميعاً « النخلة » وهى بثور صغار مع ورم يسير ثم تتقرح فتسعى وتتسع ويسميها الاطباء الذباب وتقول المجوس ان ولد الرجل اذا كان من اخته ثم خط على النخلة شفى صاحبها . وقال .

ولا عيب فيناغير عرق لمعشر * كرام وانا لانخط على النمل

والنملة ايضاً عيب من عيوب الخيل وهو شق فى الحافر من الاشعر الى المقط وفرس نمل القوائم اذا كان لايستقر « الجنون » دآء يستوجب زوال العقل اواستتاره بحيث ينقص او يعدم التمييز اوالشعور وهواما مطبق اومنقطع اما بادوار معلومة اولا « البيضة » من انواع الصداع وهى ماعم فى قول اوخص وسط الراس « الخدر والفالج والافلاج » وهى متقاربة معلومة « البثور » واحدها بثرة وهى عبارة عن تأكل الجلد اونتوه على اوضاع مخصوصة « الحزاز » من امراض الرأس الظاهرة وهى خشونة منفصلة تنسلخ قشوراً كالنخالة . وقد يطلق هذا الاسم على القوابى « الحدبة » خروج بعض فقرات الظهر عن السمت الطبيعى بخلط ونحوه

فتبرز « الطرش » وهو نقص السمع اوزواله وكذلك الصمم « الطلق » هو تغير المزاج عند ارادة الوضع « الجشاء » وهو من امراض المعدة عند فساد حالة من حالاتها « الباسور » زيادات غير طبيعية جذبتها القوى الضعيفة على غير وجه طبيعى نحو الاغوار الباطنة كبطن الانف والرحم والمقعدة وكثيراً مايطلق فيراد به باسور المقعدة وقيد غيره « والناسور » عرق ينفتق منه قرح دائم « البهق » وهو داء كالبرص ويسمى الاسود منه عند كثير القوابى والحزازة والتمطيش ويسمى الابيض منه الوضح. وفى المبادى وبه بهق بياض كالنكتة غير ناصع « والبرص » اذا تقشرت جلدته ونصع بياضه فاذا كان هناك وضح كالبرص قيل به برش . وفسر البرص بانه تغير اللون الى بياض اوسواد غير طبيعيين « الكلف » كدرة تعلو الوجه « والمغس والمغص » وجع فى الامعاء وتقطيع « والذبحة » الخناق وهى من تبيغ الدم اى هيجانه وغلبته « الاستسقاء » وهو من امراض الكبد اوالطحال وهو اسم لما خبث من الخلط « الاغماء » وهو من امراض الباطن ويكون عاما وخاصا وحقيقته عجز البدن اوالعضو عن فعل مامن شأنه فعله ككلالة بواسطة ماانصب اليه « الاختلاج » وهو حركة العضو والبدن غير ارادية تكون عن فاعل هو البخار ومادى هو الغذآء المبخر وصورى هو الاجتماع وغاذى هو الاندفاع « البخر » هو تغير رائحة الفم اوالبدن بسبب تعفن الخلط « والفواق » هو الذى يأخذ الانسان عند النزع . وكذلك الريح

التي تشخص من صدره « والثوباء » نفس تفتح له فاك مع تمط وفترة « والجشائة » نفس من الصدر على شبع اورى « والقاس » دسعة تخرج من الحلق عند الامتلاء . الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه وكانوا يعالجون هذه الادوآء ونحوها بعقاقير جربوها او بكي اورقية. وفي كتاب زاد المعاد والدآء والدوآء تفصيل ذلك . والمقصود مما نقلناه ان القوم لم يكونوا غافلين عن هذا العلم الجليل غير انهم لم يكونوا متقنين له كل الاتقان . وذلك شأن كل من لم يتوغل في الحضارة وما تقتضيه . وفي مقدمة ابن خلدون كلام مفيد على هذا الموضوع. والله الموفق لما يرضيه

﴿ ومن علومهم علم الريافة ﴾

وهو معرفة استنباط الماء من الارض بواسطة بعض الامارات الدالة على وجوده فيعرف بعده وقربه بشم التراب او برائحة بعض النباتات فيه او بحركة حيوان مخصوص وهو من فروع الفراسة . وهي موجودة في بعض اعراب نجد . وقد اخبرني بعض الثقاة انه شاهد بعض هؤلاء قال يضع اذنه على الارض فيخبر بما يتبين له من وجود الماء وعدمه وقربه وبعده . فاذا حفروا وجدوا الامر كما وصف ويسمى من له هذه المعرفة بين العرب اليوم بالنصات . ولا ينبغي لمن لا استعداد له لهذه القوة ان ينكرها فان كل امة من الامم وكل قبيلة من القبائل وكل فرد من الافراد مختص باشياء وهبت له ومن بها عليه من العلوم والصنائع والمعرفة والاخلاق والسير والمحاسن

والقبائح ونحن نرى الوفامن الناس يتعاطون صنعةواحدة ويتدارسون علماً واحداً فلا يبرع منهم الا الواحد بعد الواحد وكل يفاض عليه على حسب استعداده .

(ومن علومهم علم الاهتداء فى البرارى)

وهو علم يتعرف به احوال الامكنة من غير دلالة عليه بالامارات المحسوسة دلالة ظاهرة اوخفية بقوة الشامة فقط لايعرفها الا من تدرب فيها كالاستدلال برائحة التراب ومسامتة الكواكب الثابتة ومنازل القمر اذلكل بقعة رائحة مخصوصة ولكل كوكب سمت يهتدى به كما قال الله تعالى وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر. ونفع هذا العلم عظيم بين والا لهلك القوافل وضلت الجيوش فضاعت فى البرارى والقفار . والعرب لوقوفهم على معرفة الكواكب والانوآء ومهب الرياح وصفاتها ولوجانهم فى البرارى والقفار كانوا اعرف الناس بهذا العلم. ولابد من ايراد مثال لذلك ليعلم من وقف على هذا المقام كيفية اهتدائهم واستدلالهم. فمن اراد منهم ان يسافر الى مكة نظر الى اثبت النجوم دلالة واقواها وهو القطب الشمالى لانه لايزول عن مكانه ويمكن لكل احد معرفته لكن تختلف دلالته باختلاف الاقاليم فبالعراق وما ورآء النهر يجعله من قصد مكة من المسافرين خلف اذنه اليمنى وبمصر خلف اذنه اليسرى وباليمن [illegible] يلى جانبه الايسر وبالشام ورائه وقيل ينحرف بدمشق وما

قاربها الى الشرق قليلا. ثم بعد ذلك الجدى والفرقدان. والقطب نجم شمالى خفى حوله انجم دائرة كفراشة رحى او كسمكة في احد طرفيها الفرقدان وفى الطرف الاخر الجدى والقطب فى وسط الفراشة لايبرح من مكانه دائماً ولا يراه الا حديد البصر فى الليلة الظلماء ويستدل عليه بالجدى والفرقدين فانه بينهما والجدى هو الذى على طرف بنات نعش الصغرى فكواكب بنات نعش الصغرى سبعة. اربعة منها على شكل منحرف يسمى نعشاً والنيران منهما يسميان الفرقدين. وثلاثة على خط معوج تسمى بناتا وطرف الثلاثة النير يسمى الجدى فالقطب فيما بين الجدى والفرقدين كما ذكرنا. ومما يستدل به من قصد الكعبة من العرب المجرة فانها تكون فى الشتاء اول الليل فى ناحية السماء ممتدة شرقا وغربا على الكتف الايسر من الانسان اذا كان متوجهاً الى المشرق ثم تصير فى آخره ممتدة شرقا وغربا ايضاً على كتفه الايمن. واما فى الصيف فانها تتوسط السماء لكن دلالتها اضعف من دلالة ما تقدم. والمجرة كواكب صغار متقاربة متشابكة كثيرة جداً لا تتمايز حساً بل هى لشدة تكاثفها وصغرها صارت كأنها لطخات سحابية وقيل غير ذلك. ومما يستدل به على الكعبة ايضاً الشمس والقمر ومنازلهما الثمانية والعشرون وكذلك يستدل بما تقترن بهذه المنازل اوقاربها فانها كلها تطلع من مشرق وتغيب بمغرب. فالهلال يكون فى اول الشهر الى ثلاثة عن يمين قاصد الكعبة عند غروب الشمس. وفى ثالث ليلة يكون

عند غروب الشمس امامه . وفى عاشر ليلة يكون على سمت الكعبة وقت العشاء بعد مغيب الشفق الاحمر . وفى الليلة الثانية والعشرين يكون على سمتها وقت طلوع الفجر وهذا كله على سبيل التقريب . ومما يستدل به الرياح ويعسر الاستدلال بها فى الصحرآء واما بين الجبال والبنيان فتدور وتختلف فتبطل دلالتها . ومما يستدل به على الكعبة الجبال الكبار فكلها ممتدة عن ميمنة قاصدها الى ميسرته ودلالتها قوية تدرك بالحس لكنها تضعف من حيث اشتباهها على ذلك القاصد هل يجعل ممتدها خلفه او قدامه فتحصل الدلالة على جهتين والاشتباه على جهتين هذا اذا لم يعرف وجه الجبل فان عرفه استدبره لان وجوهها للكعبة ووجه الجبل مافيه مصعده . الى غير ذلك من الدلائل على كل جهة يقصدونها . وكان من لم يعرف الطرق من العرب معيباً بينهم مذموما عندهم . كل ذلك تحرزاً عن غلبة خصومهم . وتطاول الاعدآء عليهم . والله الهادى الى سواء السبيل .

﴿ علم العرب بادوآء الخيل ودوائها وعيوبها ومحاسنها ﴾

قد سبق منا كلام موجز فى ذلك اواخر الجزء الثانى من هذا الكتاب وحيث انا بصدد تعداد معارفهم وذكر علومهم الفطرية اقتضى اعادة الكلام بابسط مما ذكرناه اولا . اعلم ان العرب كانوا فى معرفة شؤن الخيل واحوالها بمنزلة لم يصل اليها غيرهم وربما بقيت هذه المعرفة نزاد اد منهم الى اليوم جائلين فى الفيافى والفلوات فيعرفون

ادوائها ودوائها معرفة حاذق متقن ولهم فى ذلك قدم راسخة وباع طويل . وروت عنهم ثقاة الرواة اخباراً طريفة تستلذها الاسماع . وقد جمع ماورد عنهم فى هذا العلم وما شخصوه من ادوآء الخيل وسائر ذوات الاربع مع وصف دوائها على اتم وجه وابينه .

وقد وجدت منه نسخة سقيمة الخط غير مأمونة من الغلط فى خزانة كتب المدرسة الاحمدية احدى مدارس بغداد المحمية فامعنت النظر فيها والتقطت منها بعض الفرائد وغرر الفوائد . وفى هذا العلم كثير من التصانيف القديمة والحديثة . ومن احسنها وضعاً . واتمها جمعاً . كتاب الخيل لابى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافى رحمه الله تعالى فانه لم يهمل فى كتابه هذا شيئاً مما يتعلق بالخيل وغيرها من الدواب . وقد ذكر طرفا من عيوبها وما يستحب منها فى بابين من ذلك الكتاب . ولعظم مايترتب على هذين البابين من النفع للقارئين لخصتهما فى هذا المقام رجاء المثوبة والفوز بالمغفرة .

(عيوب الخيل)

العيوب فى الخيل لاتحصى بعد . ولا تعرف بحد . فان كل عضو من اعضائها من الممكن ان يعرض له مايعيبه اويحسنه . غير ان الذى ثبت عن العرب تسميته مائة عيب فى جريها اربعة وعشرون . وفى خلقتها ستة وخمسون وعشرون حادثة . فاما التى فى جريها « فالطموح » وهو السامى ببصره صعدا فلا يبالى اين وقعت قوائمه « والمنكس »

وهو الذي اذا جرى طأطأ رأسه من ضعف خلقته « والجموح » الصاب الرأس الذي يعتز فارسه على رأسه حتى يغلبه « والمعتزم » وهو الذي يجمح احيانا ويدع الجماح احيانا « والغرب » وهو المداد المترامى الذي لايورّعه الكف حتى يبعد بفارسه « والشموس » هو الذي يمنع السرج والمس « والحرون » هو الذي اذ درّ جريه قام لاعن كلال « والباخ » اذا انقطع جريه ضعفا « والضغن » وهو الذي يتلكأ ويتوقف فى الحضر ويقصر عن الحران « والحفاث » وهو المستتب حضرا ثم يرجع القهقرى « والرواغ » وهو الذي يجدّ فى حضره غير مستتب يميناً وشمالا « والفيوش » وهو الذي يظن به جرى وليس عنده شئ « والحيوص » وهو الذي يعدل يميناً وشمالا فى استقامة حضر « والمشتق » وهو الذي يدع طريقه ويعدل ثم يمضى على عدوله لايروغ ولا يحيص « والشبوب » وهو الذي يقوم على رجليه ويرفع يديه « والعاجر والمعاجر » وهو الذي يجر برجليه كقماص الحمار وهو ان يرفع برجليه ثم يضعهما معا « والعذوم والعضوض » وهو الذي يعض ماسايره « والتادخ » وهو الذي يعدل عن طريقه ولا يبالى ماركب « والجرور » وهو البطئ اعياء وقطافا فيجر بالحبل « والمنعثل » وهو الذي يفرق بين قوائمه فاذا رفعها كأنما ينزعها من وحل يحفق برأسه ولا تتبعه رجالاه « والجريذ » وهو الذي يقارب احطاودرب سنابكه من الارض ولا يرفعها رفعاً شديداً . قال الشاعر

جربذت دونها يداك وازرى * بك لؤم الاباء والاجداد

« والمشاغب » وهو ان تطمح قوائمه جميعاً متفرقة ويكون بعيد القدر ولاضبرله « والمتراد » هوان ينقص حضره من ابتداء مايجرى « والفاتر » هو الذى عجز عن نفسه وفتر فى حضره ولم تساعده قوائمه على مايطالب به نفسه « والمواكل » وهو الذى لايسير الا بسير غيره وفيه وكال « والخروط » وهو الذى يخرط رسنه عن رأسه « والرموح » وهو الذى يرمح باحدى رجليه « والضروح » وهوالذى يرمح كلتيهما . وهذه الاربعة ليست من الباب وانما بعضها من سوء العادة وفساد الرياضة

(العيوب التى تكون خلقة فى الخيل)

وهى ستة وخمسون عيباً « الاخذى » وهو المسترخى اصول الاذنين على الخدين « والامعر » وهو الذى ذهب شعر ناصيته حتى لم يبق منه شئ « والاسفى » وهوالخفيف الناصية وهو محمود فى البغال « والاغم » وهو الذى تغطى الناصية عينيه « والاسعف » وهو الذى فى ناصيته بياض « والاحول » وهو الذى ابيض مؤخر عينيه وغار السواد من قبل ماقيه « والازرق » الذى فى احدى عينيه بياض اوفيهما « والاقنى » وهو الذى فى انفه احديداب « والمغرب » وهو الذى تبيض اشفار عينيه مع زرقها « والادن » وهو الذى اطمأن عنقه من اصله « والاهنع » وهو الذى اطمأن عنقه من وسطها « والاقصر » وهو الذى فى عنقه قصر ويبس معطف « والاكتف »

وهو الذى فى اعالى كتفيه انفراج وانكشاف « والازور » وهو ان تدخل احدى فهدتى صدره وتخرج الاخرى « والاقس » وهو المطمئن الصلب من الصهوة المرتفع القطاة والحارك « والابزخ » وهو المطمئن الصلب والقطاة « والمخطف » وهو الذى لحق ماخلف محزمه من بطنه « والاهضم » وهو المستقيم الضلوع الذى دخل اعاليه « والصقل » وهو الطويل الصقلة « والاتجل » وهو الذى خرجت خاصرته ورق صفاقه وهو جلد البطن « والافرق » وهو الذى اشرفت احدى وركيه على الاخرى « والارسح » وهو القليل لحم الصلا وهو ماسهل من جانب الورك « والاعصل » وهو الملتوى عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذى لاشعر عليه « والاكشف » وهو الذى التوى عسيب ذنبه حتى يصير على احدى كاذتيه وهما لحم اعالى الوركين « والاصبغ » وهو المبيض الذنب « والاشعل » وهو الذى فى عرض ذنبه بياض « والاشرج » وهو ذو بيضة واحدة « والافحج » وهو الذى تباعد كعباه « والابد » وهو الذى تباعدت يداه « والاصك » وهو الذى يصطك كعباه اذا مشى « والاحل » المنمسح النسا الرخو الكعب « والاقفد » وهو المنتصب الرسغ المقبل على الحافر وهو فى الرجل خاصة « والاصدف » وهو الذى تدانى ذراعاه وتباعد حافراه فى التواء الرسغين « والموجه » وهو الذى بـ [illegible] قدر مايشك فيه « والاقدر » وهو الملتوى الرسغ

من عرضه الوحشى « والاقسط » وهو الذى رجلاه منتصبتان غير منحنيتين « والاهدش » وهو المصطك بواطن الرسغين من شدة القدع « والاحنف » وهو الملتوى الحافرين يقبل كل واحد منهما على صاحبه فى التوآء الرسغين « والمتاقف » وهو الذى يخبط بيده فى استقامة لايقبلها نحو بطنه « والارجز » وهو المضطرب الرجل والكفل فاذا قام اضطربت فخذه « والشخت » القليل اللحم الحمش العظام « والرطل » وهو الضعيف الخفيف « والمكبون » وهو القصير الدوارج اى القوائم القريب من الارض الرحيب الجوف « والعش » وهو الضاحى العظام اى ظاهرها لقلة لحمه « والسغل » وهو الصغير الجسم . قال سلامة يصف فرساً .

ليس باسفى ولا اقنى ولا سغل * يعطى دوآء قفى السكن مربوب

« والجاب » وهو القصير الغليظ . قال ابو دؤاد .

اسيل سلجم المقبل * لاشخت ولا جاب

« والملواح » وهو الصغير السريع العطش « والصلود » وهو البطئ العرق « والضاوى » وهو الذى اضواه ابواه « والمقرف » وهو الذى امه عتيقة وابوه غير عتيق « والهجين » وهو الذى ابوه عتيق وامه ليست كذلك « والمحمق » وهو الذى لاينتج منه الا احمق « والكوسى » وهو الذى اذا جرى نكس فى اقراف كالحمار « والجاسى » وهو الذى ترى معاقده وفقار ظهره وعنقه فى تمكه وتمرغه جاسية غير لينة .

﴿ العيوب الحادثة فى الخيل ﴾

وهى على ماسبق عشرون « الانتشار » وهو انتفاخ العصب للاتعاب حتى تنفتق وشانجه « والشظى » وهو تحرك العظم اللاصق بالركبة « والفتوق » وتسميه العامة البيض وهو انفتاق من العصب على الاوظفة ويشدها كالمسامير عليها « والدخس » وهو ورم فى اطرة الحافر « والزوائد » اطراف عصب تفرق عند الججاية « والعرن » جسوء ويبس فى رسغ الرجل خاصة لشقاق اومشقة فيرم « والشقاق » تبزل يصيبه فى ارساغه وربما ارتفع الى اوظفته ويسمى الحلاوة « والجرذ » ماحدث فى عرض عرقوبيه ظاهراً وباطناً من تزيد وانتفاخ عصب ويكون مع المفصل طولا كالموزة « والملح » انفتاق من العصب اسفل العرقوب لمادة تنصب اليه كالبلوطة « والقمع » عظم قمة العرقوب « والمشش » وهو كل ماشخص فى الوظيف وله حجم وليست له صلابة العظم « والارتهاش » وهو ان يصك بعرض حافره عرض ججايته من اليد الاخرى وربما ادماها وذلك لضعف يصيب يده « والرهصة » وهو ماء يصير فى الحافر « والوجى » وهو مايصيب الحافر من الخشونة والحجارة تأكله « والرقق » وهو ضعف ورقة فى الحافر « والنملة » وهو شق فى الحافر من الاشعر الى طرف السنبك « والسرطان » وهو داء يأخذ فى الرسغ فييبس عروقه حتى يقلب حافره « والعزل » وهو ان يعزل ذنبه فى شق عادة « والخناق » صوت من ظبية الانثى

« والجر » وهو ان تكون الرهابة غير ملتئمة فيعظم ماوالاها من جلد السرة « والرهابة » عظم مشرف على البطن .

(محاسن الخيل وما يستحب فيها من الخلق)

مما يستحب فيها الاذن المؤللة . والناصية المعتدلة التى ليست بسفوآء ولا غماء . والجبهة الواسعة . والعين الطامحة السامية. والخد الاسيل . ورحب المنخرين . وهرت الشدقين . وقود العنق . ولينها حتى لاتكون جاسية . ورقة الجحفلتين . وارتفاع الكتفين . والحارك والكاهل . ويستحب ان يشتد مركب عنقه فى كاهله لانه يتساند اليه اذا احضر . وعرض الصدر . وضيق الزور . وارتفاع اللبان . وان يشتد حقوه لانه معلق وركيه ورجليه فى صلبه . وعظم جوفه وجنبيه واطوآء كشحه . واشراف القطاة وقصر العسيب . وطول الذنب وشنج النسا . وهو التقبض فى الجلد وغيره واستوآء الكفل حتى لايكون افرق . وملاسة الكفل . وقصر الساقين وطول الفخذين وتوتير الرجلين حتى لايكون اقسط . وتأنيف العرقوب حتى لايكون اقمع . وغلظ الرسغ . وقصر الرسغ . وان تكون الحوافر صلابا سوداً اوخضراً . والشواهد على ذلك من كلام العرب مفصلة فى محلها

(ماكان للعرب من العلم بخلق الانسان)

قدمر على العرب شؤن واطوار مختلفة وادوار متباينة فى الترقى والانحطاط فلا يمكن ان يستدل على احوالهم بدور من ادوارهم بل ان

لغتهم وشعرهم وامثالهم تخبر عما كانوا عليه . فمن نظر الى الكتب المؤلفة فى بيان خلق الانسان وما ورد عنهم فيما اشتمل عليه بدن كل حيوان . علم ان العرب فى سابق قرونهم كانوا ممن له المام ومعرفة بكيفية تركب اجزآء البدن وترتيبها وما فيه من العروق والاعصاب والغضاريف والعظام واللحم . وغير ذلك من احوال كل عضو وما تركب منه . وما اعد له من الوظائف والمنافع . وهو العلم المسمى لدى المتأخرين بعلم التشريح . فلا ينبغى ان نسلب عنهم هذا العلم بما حدث له من الاسم . والكتب المؤلفة فى خلق الانسان كثيرة . ومن احسن مارأيت منها كتاب خلق الانسان للامام اللغوى ابى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافى . فان كتابه جمع فاوعى حيث اشتمل على ترتيب سن الانسان من حين ولادته الى آخر عمره . واسماء جملة خلق الانسان . والرأس وما تركب منه وماله من الصفات والشعر واقسامه والوانه . والاذن وما تركبت منه واقسامها . والوجه وما تركب منه . والحاجب وانواعه وما يحمد منه وما يذم . والعين واصنافها وطبقاتها ومجارى دمعها وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وماتركب منه وبيان اقسامه. والفم وماتركب منه. والاسنان وعددها واسماء اصنافها واجرائها ومنابتها . واللسان ومااشتمل عليه من الاجزآء والعظام التى فى اسفله . والحلق وبيان مافيه من اللغاديد واللغانين والحنجرة والغلصمة والبلعوم والحلقوم. واللحيان وبيان

محلهما واسماء ماتركبا منه . واللحية واسماء اجزائها واقسامها والوانها وسائر اوصافها . والعنق وما تركبت منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تركبت منه من العظام والاعصاب والعضلات . والعروق وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع واسمائها واجزائها . والظفر واقسامه واسمائه . والصدر وما تركب منه . والثديان وما فيهما . والجنبان وعدد اضلاعهما واسمائها وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى . والجوف وما اشتمل عليه من القلب والكبد والطحال والرئة والكليتان والمصارين والامعاء والاعفاج والمحشى والحوايا والكرش والمبعر وما فى هذه الجوارح من الاجزآء واسمائها وادواء البطن وما لها من الاسماء . والظهر وما تركب منه من العظام والعصب والعروق وغير ذلك . والركب وما تكونت منه . والذكر وما تركب منه ومغرزه وما وضع لذلك من الاسماء والانثيين واسماء مافيهما من الاجزاء وبيان مايعرض لذلك من الادواء والعلل . والفرج وما تركب منه واسمائه وما انفردت به المرأة دون الرجل . والرحم وموضعه وما تركب منه . والوركين وما فيهما . والدبر وما فيه . والفخذين وما فيهما من الاجزآء واسمائها . والساق وما فيه . والقدم وما اشتملت عليه . والحمل والولادة وما يتعلق بذلك . وقد اطنب المؤلف فى بيان كل واحد مما ذكر وبين موضعه وما اشتمل عليه وما وضع له من لغة العرب . واستشهد على ماادعاه بالشعر الجاهلى . وذلك مما لايشك

الواقف عليه ان للقوم الباع الطويل فى هذا العلم اذلولاه لم يمكنهم الوقوف على مثل هذه الدقائق ووضع الاسماء لها لاسيما القلب وما فيه من العجائب . ولغات الامم شهود عدول على احوال اربابها .

﴿ ومن علومهم علم الرمى بالسهام ﴾

وهو علم يتعرف منه رمى النبال بالمزاولة ليكون عملها على وجه الاصابة . وكان للعرب مزيد اعتناء بتعلم هذا العلم بالتلقى والعمل . فان القسى والرمى بالسهام كانت من انكى اسلحتهم . ولم تزل كذلك الى ان ظهر ماظهر من الاسلحة . وقد الف اهل الفضل قديماً وحديثاً فى علم الرمى بالقوس رسائل كثيرة نظماً ونثراً . وبينوا فيها كيف يقف الرامى وكيف يمسكها . وحال الرمى قرباً او بعداً ارتفاعاً وانخفاضاً . وبيان احوال السهام وبرى النبال وغير ذلك مما هو مفصل فى هاتيك الرسائل . وهذا العلم فى الشريعة معتنى بشأنه . وقد وردت نصوص فى الحث على تعلمه . والمقصود من ذلك تعلم كل مايعين فى الحرب ويكون من عدده وفنونه . وكان العرب يتسابقون فى اشياء كثيرة ولهم لعب شهيرة مشحون منها كتب اللغة . وقد ابطل الشرع السبق بفتح الباء وهو المال الذى يؤخذ على المسابقة فى جميعها الا مااستثناه الحديث وهو قوله عليه السلام (لاسبق الا فى خف اوحافر اونصل) اراد بالخف المسابقة على الابل . واراد بالحافر المسابقة على الخيل . واراد بالنصل المراماه بالسهم . كل ذلك اباح فيه الخطر الذى كان عليه

العرب ايام جاهليتهم لما في ذلك من المصالح والفوائد التي تعين في الحرب وتستوجب الفروسية ويجترئ بها الانسان على المناضلة والنزال . والسبق في غير الاخير قدم بيانه أثناء الكلام على الخيل . واما السبق بالنصل وهو المراماة بالسهم فهذا ملخص الكلام عليه : من كتاب عيون الفنون وبالله نستعين .

(المراماة بالسهم والسبق بالنصل)

اعلم ان الاصابات على سبعة اوصاف . ذكر الامام الشافعي رحمه الله منها اربعاً . وذكر اصحابه ثلاثا . اما ماذكره الشافعي فالخاصل والخارق والخاسق والحابي . فالخاصل الذي يقرع الشن ولا يخدشه . والخازق الذي يخدشه ولا يثقبه . والخاسق الذي يثقبه ويثبت فيه . والحابي ان يدنى الرامي يده من الارض فيرميه فيمر على وجه الارض فيصيب الغرض . واما ماذكره الاصحاب . فالمارق والخارم والمزدلف . فالمارق الذي يمرق الشن اي يثقبه وينفذ فيه . والخارم الذي يخرم طرف الشن اي يقطعه . والمزدلف الذي يسقط بقرب الغرض ثم يشتد فيصيب الغرض .

(النضال وانواعه)

النضال يتنوع ثلاثة انواع . مبادرة ومحاطة ومناضلة . فالمبادرة ان يشترطا اصابة عشرة من عشرين فيبتدر احدهما الى العشرة فينضل صاحبه . والمحاطة ان يقولا نرمى عشرين رشقاً على ان من فضل

صاحبه بخمس اصابات فقدنضله . فاذا اشترطا ذلك ورمى كل واحد
منهما عشرين رشقاً واصابا اصابات نظر ان استويا فى الاصابة لم يحصل
النضل وان تفاوتا فى الاصابة حط الاقل عن الاكثر . فان بقى لصاحب
الاكثر الخمس المشروطة فقدنضل صاحبه . وان بقى له اقل من الخمس
المشروطة لم يحصل النضل . والمناضلة ان يشترطا عشرة من عشرين
على ان يستوفيا جميعاً فيرميان معاً جميع ذلك . فان اصاب كل واحد
منهما عشرة اوفوقها اودونها لم يحصل النضل . وان اصاب واحد
منهما دون العشرة والاخر عشرة فما فوقها فقد نضل صاحبه

(القوس وما وضع لها ولاجزائها من الاسماء)

كانت العرب تتخذ القسى من شجر الضال والنبع والشوحط
والسدر والشريان والسرآء والتين والاشكل والحماط والتالب والشم .
وحيث كانت القوس لدى العرب بما ذكرنا من المنزلة . وضعوا لها
ولاجزائها اسماء كثيرة . ذلك شأن كل ماكان لهم به اعتناء ولحظوه
بعين العناية . فقالوا القوس وكبدها مابين طرفى العلاقة والكلية
تلى ذلك . ثم الابهر يلى الكلية . ثم الطائف وهما طائفان الاعلى
والاسفل . والسية ماعطفا من طرفيها ويدها اعلاها ورجلها اسفلها
والعجس والمجس مقبضها . واسيها مااقبل على الرامى ووحشيها
مالى الصيد والفرض والفرضة الحزة التى يقع فيها طرف الوتر
المعقود وما فوق الفرضة الظفر . والكظرة والنعل العقبة التى تلبس

ظهر السية . والجلائز العقب على طائفيها واصول سئتيها. والخلل الجلود التى على ظهر السئتين. والمذروان ماعن يمين المقبض وشماله. والرضائع السيور المضفورة تشد اليها العلاقة وهى التى علقت به . والغفارة رقعة على الفرضة والسية ليلف فوقها اطابة الوتر . وهى سير يوصل بطرف الوتر . قال الشاعر .

لها اطنـابة ولها فضول * ثلاث على الغفارة من معال

اى من فوق والشرعة الوتر . والدركة حلقة الوتر التى تقع فى الفرضة والعتل القسى الفارسية. وقوس فلق وشريجة اذا كانت من شقة لا غصن صحيح. والقضيب التى من غصن صحيح. وقوس فجاء وفجوآء فجاء ومنفجة. وفارج وفرج بان وترها عن كبدها . ويفعل ذلك بالتى للقتال لا الصيد يحتبس صاحبها بالتفويق . والكتوم التى ليس فيها شق . والعاتكة التى احمرت قدماً . والجشء الخفيفة . والمحدلة التى فيها ميل . وزاغت انقلبت عن عطفها الذى عطفت عليه . وقوس عاطل ومعطلة بلا وتر وقد وترتها وحططت وترها . وحط قوسك وانبضت عنها قرعتها للوتر . ويقال اطرت القوس اى عطفتها وحنوتها وهى حنية. ويقال للقواس الماسخى واصله لرجل من ازد السراة . ثم اتسع فيه كما قيل لكل حداد هالكى قال الجعدى .

بعيس تعطف اعناقهـا * كما عطف الماسخى القياسا

وتقول نزعت فى القوس ورميت عنها وعليها وبها. وعروتا الوتر عقداه

﴿ السهم وما وضع له من الاسماء وما يتعلق بذلك ﴾

السهم والنشاب والمنزع والنبل سوآء الا ان النبل جمع لاواحد له من لفظه ويجمع على نبال . والمرماة سهم الهدف . والمريخ سهم طويل له اربع اذان يغالى به . قال الجعدى .

يمر كمريخ المغالى انحت به * شمال عبادى علا الريح اعسرا

يقول يمر هذا الفرس مر هذا السهم اذا اعمد فى رميه يد رجل من هذه القبيلة اعسر ترمى شماله فتعين الريح على رفعه . والمعبلة والمشقص سهم عريض النصل . وخشبه قبل ان يعمل نضى وجمعه انضاء فاذا خرق موضع نصله فهو قدح . والمخشوب الذى لم يتم عمله . وفوق السهم برد طرفه وجعل له فوق وهو موضع الوتر . وانفاق السهم انكسر فوقه . وشرخا الفوق جانباه . والاطرة العقب الذى على الفوق . والحقو موضع الريش ومستدقه . والزافرة مستغلظه والمتن وسطه . والرعظ الخرق الذى يدخل فيه سنخ النصل . والعقب الذى فوقه الرصاف والواحدة رصفة . ويقال برى القوس والسهم بريا . والطريدة قصبة يوضع فيها السكين فتبرى بها القداح والمغازل . والقذذ ريش السهم . والاقذ السهم الذى لاريش له . والمريش ذوالريش وراش سهمه نظهار لوأم اذا صير بطن قذة وهو الشق الاطول الى ظهر اخرى وهو الاقصر فيلتئم فان التقى بطنان اوظهران فهو ريش لغب ولغاب . قال بشر .

وان الوائلي اصاب قلبي * بسهم لم يكن يكسى لغابا

والمعراض سهم لاريش عليه يذهب عرضا . والنكس الذى انكسر فوقه فجعل اسفله اعلاه فلا يزال ضعيفا. ويشبه به الرذل من الناس. والمحشور والحشر اللطيف القذذ. ونبل قران وصيغة مستوية والمريط الذى تمرط ريشه وجمعه مراط . وسهم طائش لايقصد ومعظعظ مضطرب . وزالج يمر على وجه الارض وصارد نافذ . وحابض يقع بين يدى الرامى لخروج الفوق من الوتر . والدابر سهم يدبر الهدف دبرا اى يقع ورآئه . وصائف عادل عن الهدف . وطالع يجاوزه وقاصره لايبلغه . قال الشاعر .

فما بقيا على تركتمانى * ولكن خفتما صدد النبال

والخاسق والخازق المقرطس جميعا . ويسمى الغرض قرطاساً يقال رمى فقرطس اذا اصابه . والاهزع سهم يبقى فى الكنانة . ونصل السهم حديدته وله العير كالجدير وسطه . وفى الصحاح عير النصل الناتئ منه فى وسطه . وظبته وقرنته وحده وشفرتاه وغراره حداه. والكليتان ماعن يمينه وشماله . والقطبة نصل الهدف وكذلك القترة والسروة . ونصل مدملك ليس له عرض . والقطع القصير العريض الحديدة . وما يحفظ فيها السهام تسمى الجعبة والوفضة والكنانة . والقرن والجفير جعبة مشقوقة فى جنبها . وانما يفعل ذلك لكى تدخل الريح على السهام فلا يأتكل ريشها والله ولى التوفيق .

(ومن علومهم علم نزول الغيث)

هو علم باحث عن كيفية الاستدلال باحوال الرياح والسحاب والبرق على نزول المطر . والعرب لهم مزيد أختصاص بهذا العلم لانهم احوج الناس الى الغيث اذبه حصول معائشهم من السقي والرعى. وقد حصل لهم هذا العلم بكثرة التجارب ودليله الدوران بين احوال السحب والامطار . وقد ذكرنا عند الكلام على مخائل العرب فى الانواء من كلامهم مايوضح المقصود ويثبته ومالم يذكر من منظوم كلامهم ومنثوره فى هذا الباب شئ كثير . وفى الاغانى لابى الفرج الاصبهانى بسنده قال خرج اعرابى مكفوف البصر ومعه ابنة عم له لرعى غنم لهما فقال الشيخ اجد ريح النسيم قددنا فارفعى رأسك فانظرى. فقالت اراها كأنها ربرب معزى هزلى قال ارعى واحذرى . ثم قال لها بعد ساعة انى اجد ريح النسيم قددنا فارفعى رأسك فانظرى. قالت اراها كأنها بغال دهم تجر جلالها. قال ارعى واحذرى ثم مكث ساعة ثم قال انى لاجد ريح النسيم قددنا فانظرى . قالت اراها كأنها بطن حمار اصحر فقال ارعى واحذرى ثم مكث ساعة فقال انى لاجد ريح النسيم فما ترين. قالت اراها كما قال الشاعر .

دان مسف فويق الارض هيدبه * يكاد يدفعه من قام بالراح

كأنما بين اعلاه واسفله * ريط منشرة اوضوء مصباح

فمن بمحفله كمن بنجوته * والمستكن كمن يمشى بقرواح

فقال انجى لاابالك فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما . ثم اخذ ابو الفرج يشرح تلك الالفاظ . وملخص ذلك ان الاصحر الابيض وفيه حمرة . ومعنى فمن بمحفله كمن بنجوته فمن هو بمحفله اى مجرى معظم السيل كمن بنجوته اى ناحية عنه سوآء لكثرة المطر . والقرواح الفضاء . ومن تتبع كتاب الاغانى يجد كثيراً من ذلك . وحيث ان الرياح واوصافها والسحب وانواعها والرعد والبرق من جملة مايستدلون به على هذا العلم ويتوصلون به الى معرفة نزول الغيث لابد من التعرض لذكر نبذة مما ورد عنهم فى هذه الامور مما رواه ثقاة الرواة .

(الرياح واوصافها)

امهات الرياح اربع . الشمال والجنوب والصبا والدبور . وبذلك نطقت اشعارهم « فالشمال » مهبها من كرسى بنات نعش الى مغرب الشمس صيفاً . وكانت العرب تكرهها لبردها وذهابها بالغيم والحيا والخصب بزعمهم وهى عندهم الشامية . ولم تزل العرب تمادح بالانفاق والكرم اذا هبت هذه الريح « والجنوب » مهبها من مطلع سهيل الى مطلع الشمس شتاء « والصبا » مهبها من مطلع الشمس الى مطلع العيوق وهو كوكب نير احمر شمال مطلع الثريا قدر ثلاث قامات ورمح اوارجح نظراً للرائى ويسمى رقيب الثريا . وكانت العرب تحب الصبا من بين الرياح لرقتها ولانها تجىء بالسحاب والمطر . وفيها الرى والخصب وهى عندهم اليمانية . قيل انما سميت صبا لان النفوس تصبو

اليها اطيب نسيمها وروحها والصبوة الميل يقول صبا الى كذا اذا مال اليه وفى الاثر مابعث نبى الا والصبا معه « واما الدبور » فمهبها من مغرب الشمس الى مطلع سهيل . ومابين كل واحدة من هذه الرياح الاربع نكباء وسميت بذلك لتنكبها طريق الرياح المعروفة . ولكل من هذه الرياح صفات وخواص يعرفها ذوى الخبرة منهم وتفصيل ذلك فى كتب الانوآء . وقال الشيخ ابو عبد الله الاسكافى فى كتاب المبادى عند الكلام على الرياح الشمال عن يمين المصلى وبازآءها الجنوب . والصبا من ورآء المصلى والدبور تجاهه . ولعل ذلك باعتبار بعض الاقطار والا فالاصل ماذكرناه . ثم قال وكل ريح عدلت عن مهاب هذه الاربع فهى نكباء . ونسمت الريح تنسم نسيماً ونسماناً ضعفت فى استقامة من غير ان تحرك شجراً او تعفو اثراً . ويقال للشمال الجربياء ومحوة ونسع ومسع . وفى الصحاح الجربياء على فعلياء بالكسر والمد النكباء التى تجرى بين الشمال والدبور وهى ريح تقشع السحاب . قال ابن احمر .

بهجل من قسا ذفر الخزامى * تهادى الجربياء به الحنينا

وللجنوب النعامى والخزرج والازيب والهيف . وللصبا القبول واير وهير واير وهير . وقيل للدبور محوة . ومن اوصافها الغالبة عليها الديدانة اللينة كالنسيم . والذاريات والمعصرات تجئ بالمطر . وقيل الساطعة بالسماء مستديرة واللواقح والبوارح والرخاء والجفول المسرعة . والجافلة

والمجفل والنائجة والهوج والسوافى والخروق والنؤج والمتذابة التى تجئ من هنا وثمة . والمسفسفة تجرى على وجه الارض . والدروج هى التى يرى لها مثل ذيل الرسن فى الرمل . والجحوج والسيهوج والسهوج والسهوك والهفهافة والهبوة والمذعذعة وهدوج والهجوم والعاتية والعاصفة والمعصفة والقاصفة التى تكسر كل شئ والزعازع والاعصار والحنون والزفافة والروامس . والناجفة اول كل ريح بشدة (الرياح الباردة) الحرجف والصرصر والعرية وخازم . والبليل فيها برد وندى والشفان والهلاب والنضيضة وهى التى تنض بالماء فيسيل (الرياح الحارة) السهام والهيف والبارح والسموم بالنهار وقد تكون بالليل . والحرور بالليل وقد تكون بالنهار والمعمعان

(السحب وانواعها)

قد ذكر الثعالبى نبذة من انواعه واسمائها فى القسم الاول من كتاب لباب الآداب وكذا الشيخ ابو اسحق الطرابلسى فى الكفاية . والاسكافى فى المبادى وغيرهم من ائمة اللغة فمن السحاب «الغمراء» وهو الغيم الرقيق وكذلك الطخاء والطهاء « والصبر » السحاب الابيض « والحبى » السحاب الذى يعترض اعتراض الجبل قبل ان يطبق السماء . قال امرؤ القيس

اصاح ترى برقا اريك وميضه * كلمع اليدين فى حبى مكلل

والحبا كعصا مثله . ويقال سمى به لدنوه من الارض «والنشاص» السحاب المرتفع بعضه فوق بعض « والمكفهر » السحاب الغليظ المتراكب

والكنهور نحوه « والجهام » وهو السحاب الذى قداراق ماءه « والهف» الذى لاماء فيه والزبرج نحوه « والصرار » سحاب بارد ندى وليس فيه ماء « والغمام والمزن» السحاب الابيض « والرباب » السحاب الابيض والاسود . وفى الكفاية الرباب السحاب المتعلق دون السحاب « والسيق » وهو السحاب الذى طردته الريح « والخلق » السحاب الذى يرجى منه المطر «والنجاء»السحاب الذى يسرع «والهيدب» مايتدلى من السحاب كأنه هدب القطيفة « والجلب » السحاب الرقيق الذى ليس فيه ماء . قال تأبط شرا .

ولست بجلب جاب ريح وقرة * ولابصفا صلد عن الخير معزل

وبعضهم يقول هو السحاب الذى يعترض كأنه جبل وليس فيه ماء « والدجن » السحاب المطل على الارض . قال ابو زيد والدجنة من الغيم المطبق تطبيقاً الريان المظلم الذى ليس فيه مطر . يقال يوم دجن ويوم دجنة وكذلك الليلة على الوجهين بالوصف والاضافة. قال والداجنة الماطرة المطبقة نحو الديمة . قال والدجن المطر الكثير وسحابة داجنة ومدجنة وادجنت السماء دام مطرها قال لبيد .

من كل سارية وغاد مدجن * وعشية متجاوب ارزامها

« والمرزم » السحاب المصوت بالرعد والارزام صوت الرعد وكذلك الهزيم والمرتجس والاجش . وبعضهم يقول هزيم الرعد صوته . يقال تهزم الرعد تهزما وغيث هزم متبعق لايستمسك قال يزيد بن مفرغ

سقى هزم الاوساط منبجس العرى * منازلها من مسرقان فسرقا

« والقاصب » السحاب الشديد صوت الرعد « والبارق » السحاب الذى فيه برق . والقلعة القطعة العظيمة من السحاب والجمع قلع قال ابن احمر .

تفقأ فوقه القلع السوارى * وجن الخازباز به جنونا

والقزع قطع من السحاب رقيقة الواحدة قزعة . قال ذوالرمة يصف ماء فى فلاة .

ترى عصب القطا هملا عليها * كأن رعاله قزع الجهام

وفى الحديث كأنهم قزع الخريف . والضبابة سحابة تغشى الارض كالدخان والجمع الضباب

(الرعد والبرق)

من جملة مايستدلون به على نزول الغيث الرعد والبرق . فان الرعد اذا ارزم اى صوت صوتا غير شديد استدلوا به على بعد المطر . واذا تهزم اى صوت اشد صوت استدلوا به على قرب المطر . والقعقعة تتابع صوته فى شدة وله دلالة اخرى على حال الغيث . والرجسان وهو صوته الثقيل فاذا رجس علموا ان المطر يكون بشدة . واذا اصعق اى رمى بالصاعقة وهى نار تسقط فى رعد شديد . واذا ازّ وززّ اى صوت الرعد من بعيد . قال الراجز .

جارتنا من وائل الا اسلمى * الا اسلمى اسقيت صوب الديم

صوب ربيع باكر لم يلم * يرزّ رزاً من وراء الاكم
* رز الروايا بالمزاد المتصم *

«واما البرق» فمنه المستطير وهو المتفرق . ومنه السلسلة وهى برقة دقيقة بالنهار . ومنه الوميض وهو الضعيف من البرق . ومنه الخافق وهو المضطرب . والخفو لاخفى مايرى منه . ومنه المتكلح وهو المستديم المتتابع . ومنه الراع والماصع وهو السريع الخفيف . ومنه الخاب وهو الذى ليس فيه مطر كأنه يخلب من يشيمه اى يخدعه . ومنه البرق المنعق . والانعقاق تشقق البرق ومثله التبوج . وقد سبق فى الحديث وكثير من منثور العرب فى مخائل العرب فى الانوآء كيف استدلوا بذلك على الغيث ونزوله . وما ذكرناه نبذة يسيرة ملخصة من كلام الائمة فى بيان مقصدنا . ومن اراد استيعاب ذلك فعليه بمفصلات كتب اللغة والادب

﴿ ماكان للعرب من المعرفة بعلم الملاحة ﴾

اعلم ان من العرب من كان يسكن من جزيرتهم سواحل بحر القلزم ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم . ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند الى جهة الشمال الى بلاد البحرين . وهنالك بلاد كثيرة من اليمن والحجاز وعمان والبحرين وغير ذلك مما يطول ذكره . وكان سكنة هذه الاقطار والبلاد كلهم من العرب ولهم متاجر فى الهند والحبشة والروم وغيرهم . فكانوا

ممن تمس حوائجهم الى ركوب البحر ومعاناة سيره والقيام بما يعين على ذلك . وهو علم الملاحة الذي اطنب المؤلفون الكلام عليه . وفى عدة ايات من الكتاب الكريم دلالة على ركوبهم البحر . وجرى الفلك بهم واهتدائهم في سيرها اذا اشتد الظلام بنجوم السماء وكواكبه المعلومة لديهم . وكذلك في الاحاديث مايفيد ذلك . وفى شعرهم ايضاً مايستدل به على ماذكرناه . قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته .

ملأنا البر حتى ضاق عنا * وماء البحر نملؤه سفينا

اذا بلغ الفطـام لنا صبي * تخر له الجبابر ساجدينا

يقول عممنا الدنيا براً وبحراً فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفينتا واذا بلغ صبينا وقت الفطام سجدت له الجبابر من غيرنا . وقال طرفة ابن العبد البكرى .

كأن حدوج المـالكية غدوة * خلايا سفين بالنواصف من دد

عدولية من سفن ابن يامن * يجور بها الملاح طوراً ويهتدى

يشق حباب الماء حيزومها بها * كما قسـم الترب المفـايل باليد

العدولية سفينة منسوبة الى قرية في البحرين يقال لها عدولى . وبعضهم يقول عدولى قبيلة من قبائل العرب والعدولى الملاح . وابن يامن رجل من اهل تلك القرية . وروى ابو عبيدة ابن نبتل وهو رجل آخر منهم . والشعر في هذا الباب كثير . وفى لغتهم ايضاً مايستدل به على ماذكرناه . فالمركب اسم لما يركب في البر والبحر .

والسفينة وهى الجارية من سفنه يسفنه قشره . وسميت بذلك لقشرها وجه الماء جمعها سفائن وسفن وسفين . وصانعها سفان وحرفته السفانة . والدسار واحد الدسر وهى خيوط تشد بها الواح السفينة ويقال هى المسامير . وفى التنزيل وحملناه على ذات الواح ودسر ودسر ايضاً مثل عسر وعسر . قال بشر .

معبدة السقائف ذات دسر * مضبرة جوانبها رداح

والجداف ماتجدف به السفينة قال ابن دريد مجداف السفينة بالدال والذال جميعاً لغتان فصيحتان . وهو مأخوذ من جدف الطائر يجدف جدوفا اذا كان مقصوصاً فرأيته اذا طار كأنه يرد جناحيه الى خلفه والقلع بالكسر الشراع والجمع قلاع قال قائلهم .

يكب الخلية ذات القلاع * وقد كاد جؤجؤها ينحطم

وسفن مقلعات اذا كان لها قلاع . واقلعت السفينة رفعت شراعها . والشراعة كالملاءة الواسعة فوق خشبة تصفقه الريح فتمضى بالسفينة جمعه اشرعة وشرع . والدقل سهم السفينة واصله الاول. والقلس حبلها ويسمى الجمل وهو حبل ضخم من ليف اوخوص من قلوس السفن . والجؤجؤ صدرها . والكوثل ذنبها . والمردى والقيقلان خشبة يدفع بها السفينة . ورأسها فى الارض قال شاعرهم .

وجارية قعدت على صلاها * اداري صدرها بالقيقلان

والمرساة آلة ترسى بها السفينة وتسميها الفرس لنكر وهى حديدة تلق

في الماء متصلة بالسفينة فتقف . والمرساة بفتح الميم البقعة التي رست فيها السفينة . والربان بالضم رئيس الملاحين كالرباني . والنوتي الملاح والجمع النواتي والمركي الملاح ايضاً . والملاح الذي يلي الشراع . والملاح ككتاب ريح تجري بها السفينة. والنول جعل السفينة. الى غير ذلك مما هو معلوم للمتتبع. ومن اسماء السفينة الفلك. والقرقور والجارية والخلية اسماء للسفينة الكبيرة . ومن اسماء الصغيرة الزورق والبوص وقال الجوهري والبوصي ضرب من سفن البحر وهو معرب قال الاعشى

مثل الفراتي اذا ماطما * يقذف بالبوصي والماهر

والقارب سفينة صغيرة تكون مع اصحاب السفن البحرية تستخف لحوائجهم. وعلم الملاحة علم واسع موقوف على معارف كثيرة . منها معرفة سموت الابحر ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها وممطرها وغير ممطرها وسائر الانوآء. ومعرفة مافي البحر من الجبال والجزر ومعرفة صناعة النجارة . فقد قال ابن خلدون قد يحتاج الى صناعة النجارة في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدسر . وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها في مصادمة الماء . وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح . وربما اعينت بحركة المقاذيف كما في الاساطيل الى اخر ماقال . وانت تعلم ان السفن في قديم الزمان . لم تكن صناعتها متقنة كل الاتقان . فاء ولا كصدآء

ومرعى ولا كالسعدان .

(كتابة العرب فى الجاهلية)

كتابة العرب فى الجاهلية مما دل عليه شعرهم ولغتهم قال لبيد بن ربيعة

وجلا السيول عن الطلول كأنها * زبر تجد متونها اقلامها

يقول وكشفت السيول عن اطلال الديار فاظهرتها بعد ستر التراب اياها فكأن الديار كتب تجدد الاقلام كتابتها . شبه كشف السيول عن الاطلال التى غطاها التراب بتجديد الكتاب سطور الكتاب الدارس . وظهور الاطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها . وقال رجل كندى من دومة الجندل يمن على قريش .

لاتجحدوا نعماء بشر عليكم * فقد كان ميمون النقيبة ازهرا

اتاكم بخط الجزم حتى حفظتم * من المال ماقد كان شتى مبعثرا

وانفيتم ماكان بالمال مهملا * وطامنتم ماكان منه مبقرا

فاجريتم الاقلام عودا وبدأة * وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا

واغنيتم عن مسند الحى حميرا * ومازبرت فى الصحف اقلام حميرا

قال اول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة كما فى القاموس وهم من عرب طى تعلموه من كاتب الوحى لهود عليه السلام ثم علموه اهل الانبار . ومنهم انتشرت الكتابة فى العراق الحيرة وغيرها . فتعلمها بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل . وكان له صحبة

بحرب بن امية لتجارته عندهم فى بلاد العراق فتعلم حرب منه الكتابة
ثم سافر معه بشر الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب اخت ابى سفيان
فتعلم منه جماعة من اهل مكة . فلهذا كثر الكتاب فى قريش يومئذ
فامتن الكندى على قريش بذلك . وسمى خط العرب بخط الجزم
لان الخط الكوفى كان اولا يسمى الجزم قبل وجود الكوفة . لانه
جزم اى اقتطع وولد من المسند الحميرى . ومرامر هو الذى اقتطعه .
وقد تكلم الصولى فى ادب الكتاب على هذه المسئلة . واتى بباب
مفيد لخص فيه ماثبت لديه من الاقوال . وكذا السيوطى فى المزهر
وجماعة من اهل الادب . وكتب ابن خلدون فى مقدمته فصلاً مفيداً
يتعلق بغرضنا . وبين ان الكتابة فى العرب كانت اعز من بيض الانوق
وان اكثرهم كانوا اميين ولاسيما اهل البدو . ومن قرأ منهم اوكتب
كان خطه قاصراً وقراءته غير نافذة لان هذه الصناعة من الصنائع
التابعة للعمران . ولهذا قدكان الخط العربى بالغاً مبالغه من الاحكام
والاتقان والجودة فى دولة التبابعة . لما بلغت من الحضارة والترف
وهو الخط المسمى بالحميرى . وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة
آل المنذر نسباء التبابعة فى العصبية والمجددين لملك العرب بالعراق .
ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور مابين
الدولتين . وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك
قال ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقريش . ويقال ان الذى تعلم

الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية اوحرب بن امية واخذها من اسلم بن سدرة . وهو قول ممكن واقرب ممن ذهب الى انهم تعلموها من اياد اهل العراق لقول شاعرهم وهو امية بن ابى الصلت الثقفى

قومى اياد لوانهم امم * اولو اقاموا فتهزل النعم

قوم لهم ساحة العراق اذا * ساروا جميعاً والخط والقلم

وهو قول بعيد لان اياد وان نزلوا ساحة العراق فلم يزالوا على شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضرية . وانما معنى قول الشاعر . انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها . فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وحمير هو الاليق من الاقوال . وكان لحمير كتابة تسمى المسند حروفها متصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم . ومن حمير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الاتقان والتنميق لبون مابين البدو والصناعة . واستغناء البدو عنها فى الاكثر . وكانت كتابة العرب بدوية . واما مضر فكانوا اعرق فى البدو وابعد عن الحضر من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام ومصر . فكان الخط العربى لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة وبعدهم عن الصنائع . ثم قال واعلم ان الخط ليس بكمال فى حقهم اذ الخط

من جملة الصنائع المدنية المعاشية . والكمال فى الصنائع اضافى . وليس بكمال مطلق اذلا يعود نقصه على الذات فى الدين ولا فى الخلال وانما يعود على اسباب المعاش . وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على مافى النفوس . وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم امياً وكان ذلك كمالاً فى حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التى هى اسباب المعاش والعمران كلها . وليست الامية كمالاً فى حقنا نحن اذهو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحيوة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية . فان الكمال فى حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا .

(فوائد لغوية تتعلق بالكتابة وآلاتها)

من ادلة وجود الكتابة فى العرب . مافى لغتهم من الالفاظ الموضوعة لآلات الكتابة والكتاب ولولم يعرفوها لم يضعوا تلك الالفاظ لمعانيها . فمن ذلك الدواة وجمعها دوى ودويات ودوى . وقولهم لموضع المليق ملقة خطأ والصواب ملاقة لان المليق ميمه زائدة وهو من لقت الدواة اليقها . والمليق اسم القطن اوالصوف الذى يلصق به المداد وهو من قولك لاق به الشئ يليق اذا لصق به فلا تدخل ميم زائدة على ميم اخرى مزيدة . وسمى المداد مداداً لانه يمد الكاتب ومددت الدواة صببت فيها ماء ومدها . وتقول مدنى اى اعطنى مدة من الدواة . وقد خثرت الدواة خثورة وخثارة

اذا نخن نفسها وهو المداد . يقال نقس وانقاس لقطع منه . والقلم قبل ان تبريه انبوبة فاذا بريته فهو قلم وما يسقط منه عند البرى البراية وبطنت القلم رققت بطنه وانفته حددت طرفه وشباته حده وليطته اذا وضعت في شقه ليطة توسع بها ضيقه والليطة قشر القصب وقططته قطا . والمقط مايقط عليه . والقط القطع عرضا والقد ان يقطع الشيء طولا . ويقولون قلم رشاش وذلك اذا حاف الشق على احد جانبيه فدق وتعثر بشظايا الكتاب ورشش المداد . وتقول كتبت كتابا وهو مصدر . ثم يسمى المكتوب على السعة كتابا . والكتابة صناعة الكاتب . والطرس الكتاب الممحو الذى يستطاع ان تعاد فيه الكتابة والتطريس فعلك به . وطرس الباب سوّده . والطلس باللام كتاب لم يتم محوه فيصير طرساً . والجمجمة تخليط الكتب وافساده بالقلم كالجمجمة باللسان وهو ان لايبين الكلام من غيرعي . والصحف ماكان من جلود . والقطّ الكتاب . والمجلة صحيفة كانوا يكتبون فيها الحكمة . قال النابغة .

مجلتهم ذات الاله ودينهم * قويم فما يرجون غير العواقب

والعهدة كتاب الشرآء . وكتب له منشوراً وهو مالا يشد . ورجعة الكتاب ورجعانه جوابه . ويقال اجابه فى هامشة كتابه اذا كتب بين السطرين وهو من قولك تهامش القوم اذا دخل بعضهم فى بعض وهمش الجراد اذا تحرك ليثور . وتقول نقطت الكتاب واعجمته

وشكلته وقيدته فالنقط لما كان مدوراً والنقطة الاسم . وهذا كتاب
غفل كقولك دابة غفل اذا لم يكن موسوما . والسجل كتاب العهد
وتقول امليت الكتاب واملته واستملى اذا سأل ان يملى وكذلك
استمل . والزبور والرقيم الكتاب . وزبرت ورقمت كتبت وقرمطت
قاربت بين الحروف . وطويت الكتاب وادرجته وسحيته اسحاه سحياً
اذا قلعت منه سحاة وهى القشرة تأخذها عن القرطاس . وخزمته
ثقبته وحزمته شددته . ويقال تربت الكتاب واتربته وتربته وطنته
اطينه طيناً . وختمته والاسم الختام . وعنونته اعنونه وارخت الكتاب
تاريخاً . وهذه اضبارة من كتب واضمامة . والكراسة ماتكرست اوراقه
وتلبدت . والمصحف سمى مصحفاً لانه اصحف اى جعل جامعاً للصحف
المكتوبة بين الدفتين وهما اللوحان اللذان يكتنفانه . وله الوعاء والغلاف
وفيه العروتان . والمعلاق مايعلق به . وفيه الفكوك والواحد فك
وهو مايستر الاوراق من جانبيه . والعلاوة من اعلاه والحلق واحدتها
حلقة . وفى الحلق الذوآئب وهى السيور التى فى اطرافها . والاشراج
والواحد شرج وهو السير المرسع اسفل الحلق والترسيع ضفر السير
على نحو معروف . وفى المصحف المخارز وهى المواضع التى تخرز
منه . وله الاذان . وفى الدفتين المسامير والكراكب . فاما المحبرة
والحبرية فالتى فيها الحبر وهو الزاج . ولها المعلاق وهو خيط اوسير
يشد الى عراها . والرشق صوت القلم . والفشفة كقطنة فى جوف

القصبة . وحصرم القلم براه . والمرقم القلم . ومثل ذلك كثير فى كتب اللغة والادب لاسيما كتاب ادب الكتاب للصولى فقد ذكر فيه كل مايتعلق بهذه الصناعة .

(مكاتبات العرب ومراسلاتهم ومالهم فى ذلك من العوائد)

خير الكلام لدى العرب مادى المقصود بكماله بلفظ وجيز وعبارة مختصرة . ومدار البلاغة عندهم على ذلك . والكتب والمراسلات من ضروريات الامم التى لايمكن الاستغناء عنها . وحيث ان الكتابة لم تكن فى جميع العرب لقربهم يومئذ من البداوة قل الترسل فيما بينهم تحريراً قبل شيوع الكتابة فيهم . وكانوا يستغنون عن ذلك بارسال الرسل يبلغون عنهم مقاصدهم الى من يرومون وربما الغزوا عنها اخفاء لها اذا كانت مما يجب اخفاؤها واسرارها .

وربما كتبوا ابياتا من الشعر تؤدى مقاصدهم اذ الشعر كان يومئذ ديوان العرب . وقد صادفت من ذلك مالا يستقل . ففى كتاب مروج الذهب عند ذكر سابور ذى الاكتاف وغلبة العرب على سواد العراق . قال وكانت جمرة العرب ممن غلب على العراق ولد اياد ابن نزار وكان يقال لها طبق لاطباقها على البلاد . وملكها يومئذ الحارث بن الاغر الايادى فلما بلغ سابور من السن ست عشرة سنة اعد اساورته بالخروج اليهم والايقاع بهم . وكانت اياد تصيف بالجزيرة وتشتو بالعراق . وكان فى حبس سابور رجل منهم يقال له لقيط

فكتب الى اياد شعراً ينذرهم به ويعلمهم خبر من قصدهم وهو .

سلام في الصحيفة من لقيط * على من في الجزيرة من اياد
بان الليث يأتيكم دلاقا * فلا يحسبكم شوك القتاد
اتاكم منهم سبعون الفاً * يجرون الكتائب كالجراد
على خيل ستأتيكم فهذا * اوان هلاككم كهلاك عاد

فلم يعباؤا بكتابه وسراياه تكر نحو العراق وتغير على السواد. فلما تجهز القوم نحوهم اعاد اليهم كتابا يخبرهم ان القوم قد عسكروا وتحشدوا لهم وانهم سائرون اليهم وكتب اليهم شعراً اوله .

يادار عبلة من تذكارها الجزعا * هجت لي الهم والاحزان والوجعا
ابلغ اياداً وخلل في سراتهم * انى ارى الرأى ان لم اعص قد نصعا
ان لا تخافون قوما لا ابا لكم * مشوا اليكم كامثال الدبى سرعا
لو ان جمعهم راموا بهدتهم * شم الشماريخ من ثهلان لانصدعا
فقلدوا امركم لله دركم * رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

فاوقع بهم فعمهم القتل فما افلت منهم الانفر لحقوا بارض الروم . وخلع بعد ذلك اكتاف العرب فسمي بعد ذلك سابور ذا الاكتاف وصحيفة المتلمس مشهورة. وفي كتب الادب مذكورة. وكانت على ذلك الاسلوب ايضاً . ولابد من ذكر خبرها وقصتها المستطرفة .

(صحيفة المتلمس)

ان المتلمس وهو شاعر مشهور اسمه جرير بن عبد المسيح وفد

هو وابن اخته طرفة بن العبد على عمرو المذكور فنزلا منه فى خاصته وكانا يركبان معه للصيد فيركضان طول النهار فيتعبان . وكان يشرب فيقفان على بابه النهار كله ولم يصلا اليه فضجر طرفة فقال فيه .

فليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور
لعمرك ان قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوك كثير

« وقال ايضا »

ولا خير فيه غير ان له غنى * وان له كشحاً اذا قام اهضما
تظل نساء الحى يعكفن حوله * يقلن عسيب من سرارة ملهما

فى ابيات مشهورة . فبلغ ذلك عمرو بن هند فهمّ بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له لانهما كانا خليلين . فقال لهما لعلكما اشتقتما لاهليكما . فقالا نعم . فكتب لهما بصحيفتين وختمهما وقال لهما اذهبا الى عاملى بالبحرين فقد امرته ان يصلكما بجوائز . فذهبا فمرا فى طريقهما بشيخ يحدث ويأكل تمراً ويقصع قملا . فقال المتلمس مارأيت شيخاً كاليوم احمق من هذا . فقال الشيخ مارأيت من حمقى اخرج خبيثاً وادخل طيباً واقتل عدواً . وان احمق منى من يحمل حتفه بيده وهو لايدرى . فاستراب المتلمس بقوله وطلع عليهما غلام من اهل الحيرة فقال له المتلمس اتقرأ ياغلام . قال نعم ففض الصحيفة وقرأها فاذا فيها . اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً . فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فان فيها مثل هذا . فقال كلا لم يكن ليجترئ

على فقذف المتلمس بصحيفته فى نهر الحيرة وقال .

قذفت بها فى اليم من جنب كافر * كذلك اقفو كل قط مضلل

رضيت لها لما رأيت مدادها * يجول به التيار فى كل جدول

ثم مضى المتلمس الى هشام وذهب طرفة الى عامل البحرين فاعطاه صحيفته فقصده من الكليه فنزف حتى مات . وقيل فى قتله غير ذلك .

ومن قوله فى السجن يخاطب عمرو بن هند .

ابا منذر كانت غرورا صحيفتى * ولم اعطكم بالطوع مالى ولا عرضى

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

(تغير اسلوبهم)

ثم تغيرت عوائدهم فى ذلك فكانوا يبتدؤن فى كتبهم باسماء آلهتهم كاللات والعزى ثم يذكرون مقاصدهم . وفى ادب الكتاب للصولى بسنده ان قريشاً كانت تكتب فى جاهليتها باسمك اللهم . وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك ثم نزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكتب فى صدر كتبه بسم الله . ثم نزل فى سورة بنى اسرائيل قل ادعوا الله اوادعو الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فكتب بسم الله الرحمن . ثم نزل فى سورة النمل انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم . فجعل ذلك فى صدر الكتب الى الساعة . وغير الصولى ذكر مثل ذلك ايضاً . ونقل المسعودى فى المروج عن جماعة منهم ابن السائب الكلبى ان

اول من كتب من قريش باسمك اللهم امية ابن ابي الصلت الثقفي وذكر في سبب ذلك قصة طويلة لاغرض لنا في نقلها . ومنهم من كان يكتب بعد البسملة من فلان الى فلان ثم التحية ثم ياتي باما بعد ثم يذكر مقصده باوجز عبارة . وقد اختلف في اول من ابتدأ ذلك على اقوال ذكرها الصولي . وعقد لذلك في كتابه بابا اطال الكلام فيه . وعن ابي حاتم السجستاني في كتاب المعمرين عند ذكر قس بن ساعدة انه اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية واول من توكأ على عصا واول من قال اما بعد . وهو اول من كتب الى فلان ابن فلان . ورجح الصولي ان اول من قال اما بعد كعب بن لوى وكان اول من سمى الجمعة . وكانت تسمى العروبة . قال وهى فصل الخطاب . ومعناه على هذا انه انما يكون بعد حمد الله اوبعد الدعاء . اوبعد قولهم من فلان ابن فلان الى فلان . فيفصل بها بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذى يجئ بعد ولا تقع الا بعد ماذكرناه الا ترى قول سابق البربرى لعمر بن عبد العزيز .

باسم الذى انزلت من عنده السور * الحمد لله اما بعد ياعمر
فان رضيت بما تأتى وما تذر * فكن على حذر قد ينفع الحذر

قال والمعنى فى انها لا تقع مبتدأة ان المراد بها اما بعد هذا الكلام يعنى الذى تقدم فان الخبر كذا وكذا . ثم اطال الكلام فى وجوب ذكر الفاء بعد اما بعد وبيان معناها . وكان من عوائد العرب فى كتبهم ايام

جاهليتهم اذا كتبوها نثراً لم يلتزموا فيها السجع بل ارسلوه ارسالا .
والسجع لم يلتزمه منهم الا الكهان . واستعمالهم له فى الخطب والوصايا
قليل . وذلك لانهم جبلوا على الميل الى السهل من كل شئ والنفرة
من كل متكلف فى افعالهم واقوالهم وغير ذلك . والسجع لكونه متكلف
الالفاظ . مما تنفر عنه الطباع . وتمجه الاسماع . والمستحب منه هو
مقدار يجرى من الكلام مجرى الطراز من الثوب . والعلم من المطرف .
والخال من الوجه . والعين من الانسان . والسواد من الحدقة .
والاشارة من الحركة . وقد علمت انه متى كثرت الخيلان من الوجه
وغمرته كان ترادف اجزاء السواد ذاهباً ببهجة تمام الحسن . وقد
اخرج ابن ابى حاتم عن يزيد بن رومان انه قال كتب سليمان عليه
السلام بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود الى بلقيس ابنة
ذى شرح وقومها . ان لا تعلو على وأتونى مسلمين . وقد حكى ذلك
الكتاب الكريم . فلما وصل الكتاب الى بلقيس واطلعت عليه وصفته
بالكرم لكونه مختوما . وفى الحديث كرم الكتاب ختمه . وعن ابن
المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به . وهكذا
كان اسلوب العرب فى ترسلهم . ومكاتبات النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم الى الملوك وغيرهم ايضاً على هذا الاسلوب . وهكذا
كان اسلوب اهل الصدر الاول والثانى . وهكذا الى ان تغير ذلك
الوضع بما هو مذكور فى كتب الانشاء من الالفاظ المتكلفة والاساليب

التى ينفر عنها الطبع . وما احسن ماكان عليه العرب وما اسهله وما اعذبه والطفه . وعرب نجد الى اليوم على طريقة اسلافهم فى ذلك الاسلوب . وقد ذكر الصولى فى ادب الكتاب عوائد المتأخرين فى سائر فنون مكاتباتهم ومراسلاتهم . وكيف يخاطب الناس ملوكهم والملوك امرائهم ورعاياهم . وكيف يخاطب الناس بعضهم بعضا . وكيف المنشورات والتقاليد وغير ذلك من كتب العهد والتولية والقضاء . وافرد بابا فى بيان مايتكاتب به الناس فى عصره . وبقيت للعرب سنن وعوائد التزموها فى كتبهم . منها الابتداء بالبسملة من حاشية القرطاس . ثم التحية من تحتها . ويستقبحون ان يخرج الكلام عن البسملة فاضلا بقليل . ولا يكتبونها وسطاً ويكون الدعاء فاضلا . وكان من الكتاب الاسلاميين من يرى ان يجعله وسطاً فى اسفل الكتاب بعد انقضاء الدعاء الثانى والتاريخ اذا احتاج الى تبيين نسخة كتاب متقدم اوحساب ليفرق بين منزلته من صدر الكتاب وبين عجزه . وقد ذهب اليه قوم ولا يفسخ مابين البسملة وبين السطر الذى يتلوها من الدعاء ولكن يفسخ مابين الدعاء اذا استتم وبين سائر المخاطبة . ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة اسطر . ولا يستتم السطر الثالث على المشهور من مذاهب اجلاء الكتاب الاسلاميين . ومنها تتريب الكتاب وتطيينه واعادة النظر عليه بعد الكتابة . والخاتم وآدابه . والعنوان وغير ذلك مما كانوا عليه . وقد بسط الصولى الكلام على هذه

الامور في ادب الكتاب .

(ماكان يكتب فيه العرب)

لم يكن للعرب قبل الاسلام القرطاس المعهود اليوم . وانما ظهر هذا عند العرب سنة العشرين بعد المائة من الهجرة النبوية وهم الذين اخترعوه على قول بل كان القرطاس عندهم يومئذ كل مايمكن ان يكتب عليه كالرق بفتح الراء وهو جلد رقيق تحسن الكتابة عليه . وهو اغلب قراطيسهم وكذلك في صدر الاسلام . ومنه قوله سبحانه . والطور وكتاب مسطور في رق منشور . وربما كانوا يكتبون على العسب والجريد وما شاكل ذلك . وكما كانوا يسمون مايكتب عليه بالقرطاس يسمونه مهرقا وصحيفة وسفرا . وقد ورد ذكر القرطاس في التنزيل وكذلك الصحف والاسفار . وهو مما يدل على معرفتهم به وشيوعه بينهم . وكانت العرب تشبه المنزل اذا خلا ودرجت عليه الريح وصار ارضاً بالمهرق قال الاعشى .

سلا دار ليلى هل تبين فتنطق * وانى ترد القول بيضاء سملق
وانى ترد القول دار كأنها * لطول بلاها والتقادم مهرق

وشبه ابو نؤاس الناقة البيضاء بالقرطاس فقال من ابيات .

« يمق كقرطاس الوليد هجان »

خص قرطاس الوليد لانه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد . والهجان

الكرام من الابل وغيرها . وقد استوفى جعفر بن حمدان الكاتب وصف القرطاس بقوله .

فى يديه من القراطيس كالمز * نة جادت بواكف مدرار
كالملاء الرحيض كالبيض بيض * الهند كالبيض كالمياه الجوارى
كالسراب الرقراق فى عنفوان الصيـ * ـف نصف النهار فى ايار
ماتبالى اجات عينك فيه * حين يطوى ام فى خصور العذارى
يسع الخط فيه عفواً فما يكـ * ـبو بوعث فيه ولا بجبار

والكلام فى هذا الباب يطول وما ذكرناه فيه الكفاية وبالله التوفيق

(حساب العرب ايام جاهليتهم)

كان للعرب حساب غير ماهو المعهود اليوم . فانه مما يحتاج الى آلة فاجتنبوه ورأوا ان ماقلت آلته وانفرد الانسان فيه بآلة من جسمه كان اسهل وافود وانسب لغرضهم . وهو حساب عقود الاصابع . وقد وضعوا كلا منها بازاء عدد مخصوص ثم رتبوا لاوضاع الاصابع احاداً وعشرات ومآت والوفا . ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الالوف فما فوقها بيد واحدة . وقد الف فيما ورد عنهم من ذلك عدة رسائل . منها رسالة شرف الدين اليزدى وهى من احسن ماالف فى هذا العلم . ونظم فيه اراجيز كثيرة . منها ارجوزة لطيفة لابن حرب اورد فيها مايحتاج اليه من هذا العلم . ومنها ارجوزة ابى الحسن على الشهير بابن المغربى وقد شرحها عبد القادر بن على بن شعبان

العوفى . واورد فى شرحه فوائد كثيرة تتعلق بهذا العلم . وما روى عن العرب من الشعر المشتمل على هذا الحساب . ولشمس الدين محمد ابن احمد الموصلى الحنبلى رحمه الله منظومة موجزة فى بيان قواعد هذا الحساب مشتملة على لب لبابه . وهى هذه بعد البسملة .

بحمدك ياربّاه ابدأ اوّلا * فما زلت اهلا للمحامد مفضلا
واتبع حمدى بالصلوة على الرضا * ابى القاسم المهدى خير من ارسلا
ومن بعد هذا ايها السامع استمع * حساب اليد اذعنه سلت مفصلا
فنى عدد الاحاد ياصاح افردن * ليمنى يديك اعلم واياك تجهلا
فللواحد اقبض خنصرا ثم بنصرا * للاثنين والوسطى كذاك التكملا
بعدّ ثلاث ثم للخنصر ارفعا * باربعة والبنصر الخمسة اكملا
وفى الستة اقبض بنصرا دون كلها * على طرف للراحة اسمه واقلا
وفى السبعة اقبض تحت الابهام خنصرا * وفى طرف للراحة القبض فاجعلا
وللبنصر ارفع ثم فى الثامن اضممن * الى خنصر فى القبض للبنصر اعقلا
وفى التسعة الوسطى اضممن معهما وفى * جميع الاحاد افعلن ذا وان علا
وفى عشرة مع عقد الابهام فاستمع * تحلق رأسا للمسبحة افعلا
وللظفر من ابهامك اجعله بين ا * صبعيك هى العشرون فاعلمه واعملا
وما بين رأس للمسبحة اجعلن * ورأس للابهام الثلاثون حصلا
وان تركب الابهام ياصاح فاحتفظ * لسبابة للاربعين مكملا
وابهامك اجعل تحت سبابة اذا * تعمدت للخمسين فاحفظ تكملا

وتركب الابهام المسبحة استمع * كقابض سهم وهى ستون احملا
وعدك للسبعين فى بطن ثالث * لسبابة ابهامك اعقله تجملا
والابهام من تحت المسبحة اجعلن * بثمانا على ظفرى ثمانين اكملا
وفى عد تسعين المسبحة اقبضن * لما بين ابهام وما بينها اجتلى
وابهامك اجعل فوقها مثل حية * تروم وثوبا والمئين الا اجعلا
بيسراك كالآحاد ياذا الملوم من * يمينك فاحفظه واياك تعولا
كذا العشرات من يمينك انها * بيسراك ياهذا الوف على الولا
وعشرة آلاف لابهامك اجعلن * وذلك مع سبابة يااخا العلا
بيسراك وامهده كحلقة استمع * اذا طويت والراس فاجعله اسفلا
وقد نجزت والحمد لله وحده * ميسرة تبغى اخا متفضلا
يسامحها فيما يرى من عيوبها * فما احد عن ذاك ياصاح قدخلا
فخذها عروسا قدسمت شمس ضحوة * وبدر دياج قدبدا متهللا
فان تمتنع كالبكر عند امتناعها * على بعلها عند الزفاف تدللا
فصف لها ذهنا غزيرا مجودا * وغص فى بحار الفكر ثم تأملا
ترى لمعانيها بزوغا ككوكب * ويأتيك منها العلم والفضل مقبلا

وبعض اهل الفضل ذكر فى بيان مراتب الاعداد فى العقد مانصه عند العشرة تجعل السبابة حلقة . والعشرين تجعل الابهام بين السبابة والوسطى . والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الابهام . والاربعين تجعل رأس الابهام خلف السبابة . والخمسين تجعل الابهام جالساً

والستين تجعل ظهر رأس الابهام على الفصل الاعلى من باطن السبابة والسبعين تجعل رأس الابهام على الفصل الاسفل من باطن السبابة والثمانين تجعل رأس السبابة على ظفر الابهام . والتسعين تجعل السبابة حلقة غير مجوفة . المائة تجعل رأس السبابة اليسرى كما جعلت اليمنى في العشرة . المائتين تجعل الابهام اليسرى كما جعلت اليمنى في العشرين . وعلى هذا القياس الى الالف في كل مائة كما في العشرات لكن اليد اليسرى . ثم تأخذ الالف كما تأخذ الاحاد الى العشرة من اليد اليسرى . ثم تأخذ العشرة الآلاف . وهو ان تجعل جنب رأس الابهام على جنب رأس السبابة انتهى . وبقي كلام كثير يطلب من محله . وقد ورد حساب اليد في عدة احاديث . وفي كلام كثير من رجال الصدر الاول واجلة السلف . وبه يحل كثير من ابيات المعاني التي حيرت الافهام (ومن العرب) من كان يحسب بالحصى ويضبط عدده به كما دل عليه شعرهم . قال الاعشى ميمون من ابيات فضل فيها عامر بن الطفيل على علقمة بن علاثة .

ان ترجع الحق الى اهله * فلست بالمسدى ولا النائر
ولست في السلم بذي نائل * ولست في الهيجاء بالجاسر
ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر
ولست في الاثرين من مالك * ولا ابي بكر اولى الناصر
هم هامة الحي اذا مادعوا * ومالك في السودد القاهر

الحصى العدد والمراد به هنا عدد الاعوان والانصار. قال بعض شارحي هذه الابيات وانما اطلق الحصى على العدد لان العرب اميون لا يعرفون الحساب بالقلم وانما كانوا يعدون بالحصى وبه يحسبون المعدود واشتقوا منه فعلا فقالوا احصيت. ومن العرب من كان لا يحسن الحساب اصلا. حتى نقل الصولي في كتاب ادب الكتاب ان بعض العرب باع جوهراً نفيساً بالف درهم فقيل له كان يساوي اكثر من هذا فقال ما ظننت ان عدداً اكثر من الف. فلذلك كانوا يمدحون من يحسن الحساب والعدد ويصفونه بالحذق وينسبونه الى حكمة وعدل قال النابغة للنعمان في اعتذاره .

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت * الى حمام سراع وارد الثمد
قالت الا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا اونصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما زعمت * تسعاً وتسعين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها * واسرعت حسبة في ذلك العدد

يريد كن حكيماً في انصافي كما حكمت جارية كانت لها حمامة فرأت قطاً فحزرته ستاً وستين فقالت ليت الحمام ليه. الى حمامتيه. اونصفه قديه. تم الحمام مايه . قالوا وكانت لها قطاة . وجعلت القطا حماما. وهذا قول الاصمعي. وبعضهم قال اراد النابغة احكم على بعدل كما حكمت هذه الفتاة في العدد فاصابت . والاول اجود. افلا ترى الى النابغة كيف حكى هذا ونسب تلك الفتاة الى حكمة وعدل حين احسنت العدد قال

ابو عبيدة . وكان يقال للجارية الزرقاء واسمها عنز وكانت من جديس . وقال غيره القائلة لهذا هند بنت الخس . وقد مر الخلاف عند الكلام على حكميات العرب من الجزء الاول . وكان حساب اليد مرجحاً على غيره بين الكتاب فى الدولة العباسية على ماذكره الصولى فانه قال اجمع الحساب من كل جنس وملة بكل خط ولغة على ان تراكيب الحساب لاتعدو اربعة . عدد يضرب فى عدد . اوقسمة عدد على عدد . اوالقاء عدد من عدد . اوزيادة عدد على عدد . وتكلموا فى اوآئل العدد ونهاياتها بكلام كثير . احسنه ماقال الهند ان الاعداد تبتدأ من واحد وتنتهى الى تسعة . ثم تكون العشرة راجعة الى حال الواحد على الرتبة . وعلى هذا وضعوا حروفهم التسعة . وقالوا الحساب الهندى اخرج لكثير العدد الا ان الكتاب اجتنبوه لان له آلة . ورأوا ان ماقلت آلته وانفرد الانسان فيه بآلة من جسمه كان اذهب فى السر . واليق بشأن الرياسة . وهو مااقتصروا عليه من العقد بالبنان واخراج رؤس الجمل فى اواخر السطور وحط التفضيلات عنها واحداً دون آخر وفرعا دون اصل . قال وعنى بعض الكتاب بذلك حتى خف عقده وصار يلحق ببنانه مثل ما يلحق ببصره ولا يستبين الناظر مواقع انامله . قال وقد شبه عبد الله بن ايوب ابو محمد التيمى وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال .

اعنى على بارق ماطر * خفى كوحيك بالحاجب

كأن تألقه فى السما * يدا كاتب اويدا حاسب

« وقال بعض الكتاب »

وناطق تخبر الفاظه * عن نغمات العود بالزمر

بينا تراه عاقداً خمسة * وستة صار الى عشر

وصار من بعد الى واحد * كحاسب اخطأ فى كسر

ومن احسن ماقيل فى تشبيه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمى قول عنترة من ابيات .

وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا * فيها مثالك والعلوم فرائض

واذا خططت فانت غيث معشب * واذا حسبت فانت برق وامض

واذا نهضت فانت نجم ثاقب * واذا جلست فانت ليث رابض

فبك التمثل حين ينمت فاضل * واليك يرجع حين يشكل غامض

(معائش العرب واسبابها ايام جاهليتهم)

كل امة من الامم لابد لها مايقوم بضرورياتها وسد فم حوائجها باسباب متفاوتة واعمال مختلفة يهديهم اليها خالقهم ويجعلها سبب ارزاقهم . والعرب من الامم القديمة التى مضى عليها اعصر متطاولة وبما كانت السبب فى خفاء كثير من احوالهم على من بعدهم . غير ان اللغة والشعر يقيد ان كل شارد . وينطقان بشؤن كل ماسدل عليه حجاب الخفاء . ومن المعلوم ان اسباب المعائش والكسب واصولها منحصرة فى امور .

(منها التجارة)

وهى من اشرف الاسباب واعلاها قدراً . ولهذا ورد فى الحديث التاجر الصدوق مع الكرام البررة ويدخل فيها كل بيع وشرآء . وكانت من اهم اسباب معائشهم لاسيما سكنة الحجاز ونجدوما شابههما من الاقطار المقحطة والبلاد القليلة الخصب . وكانت العرب على ماذكر فى فتح البارى شرح صحيح البخارى تتمادح بكسب المال ولا سيما قريش . وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محظوظاً فى التجارة . وكان لقريش فى السنة رحل اربع على ماذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة قريش . قال اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف . احدهما هاشم وكان يوالف ملك الشام حيث اخذ منه خيلا فامن به فى تجارته الى الشام . الثانى عبد شمس وكان يوالف الى الحبشة . والثالث المطلب وكان يرحل الى اليمن . والرابع نوفل وكان يرحل الى فارس . وكان هؤلاء يسمون المتجرين . فيختلف تجر قريش بخيل هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم احد . وفى هؤلاء الاخوة يقول الشاعر .

يا ايها الرجل المحول رحله * هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها * والراحلون لرحلة الايلاف
والرايشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم * حتى يصير غنيهم كالكافى

« وقال مساور بن هند يهجو بنى اسد »

زعمتم ان اخوتكم قريش * لهم الف وليس لكم الاف

اولئك اومنوا جوعا وخوفا * وقد جاعت بنو اسد وخافوا

ومن المفسرين من قال كان لقريش رحلتان رحلة فى الشتاء الى اليمن ورحلة فى الصيف الى بصرى من ارض الشام كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين مختطف ومنهوب . وعلى ذلك نزلت السورة الكريمة. وذكر عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان السبب فى هاتين الرحلتين هو ان قريشاً اذا اصاب واحداً منهم مخمصة خرج هو وعياله الى موضع وضربوا على انفسهم خباء حتى يموتوا الى ان جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه . وكان له ابن يقال له اسد وكان له ترب من بنى مخزوم يحبه ويلعب معه فشكا اليه الضر والمجاعة فدخل اسد على امه يبكى فارسلت الى اولئك بدقيق وشحم فعاشوا فيه اياما . ثم اتى ترب اسد اليه مرة اخرى وشكا اليه من الجوع . فقام هاشم خطيباً فى قريش فقال انكم اجدبتم جدبا تقلون فيه وتذلون وانتم اهل حرم الله واشراف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بنى اب على الرحلتين فى الشتاء الى اليمن . وفى الصيف الى الشام للتجارات . فما ربح الغنى قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم

فجاء الاسلام وهم على ذلك . فلم يكن فى العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش . وهذا معنى قول شاعرهم فيهم .

والخالطون فقيرهم بغنيهم * حتى يكون فقيرهم كالكافى

هذا ماكان من امر قريش وسائر اهل الحجاز . واما اهل اليمن وعمان والبحرين وهجر فكانت تجاراتهم كثيرة . ومعائشهم وافرة . لما فى بلادهم من الخصب والرخاء . والذخائر المتنوعة . والمعادن الجيدة . وغير ذلك من اسباب الثروة والغنى . واما اهل نجد فكانوا دون غيرهم فى الثروة والتجارة لما ان الغالب على ارضهم الرمال فكانت بلادهم دون بلاد سائر العرب فى رفاهية العيش ورواج التجارة . وكانوا يجتمعون فى الاسواق كل سوق له موسم من السنة على ما اسلفناه فى الجزء الاول فيجتمعون فيها للتجارات وغيرها . ولهم اسواق اخر غير ماذكرناه لاجل ذلك . ويسمون السوق ايضاً القسيمة . ويقولون نفقت السوق اى راجت وانحمقت كسدت والسوم عرض السلعة على البيع . ونعته ناجزاً بناجز ويداً بيد والناجش الذى يزيد فى ثمن السلعة . وليست من حاجته لينفقها على صاحبها . وقد ورد فى الحديث النهى عن ذلك . ويقولون للذى يبيع البز البزاز . وللذى يبيع الثياب السمسار . وللذى يبيع الاكسية الكساء . وللذى يبيع الفرا الفراء . وللذى يبيع الرق الرقاق . وللذى يبيع الخل الخلال وللذى يبيع البقول البقال . وللذى يبيع الدهن الدهان . وللذى

يبيع الرؤس الرآس . ولا يقال له رواس . وللذى يبيع الطير الجدال والزجال الذى يرسلها من مكان الى مكان . وللذى يبيع العطر العطار . وللذى يبيع الادوية الصيدلانى والصيدنان . وللذى يبيع اللؤلوء اللاءآل . وللذى يبيع الالية اللاء .

﴿ ومنها الصنايع ﴾

وهى ايضاً من اسباب المعائش المحمودة وورد فيها الحرفة امان من الفقر . وكان فى العرب صنائع تقوم بما تمس اليه حوائجهم . وتقتضيه ضرورياتهم . ولابد لهم منها لاسيما البلاد التى قدم عليها عهد الحضارة . وقد تكلم ابن خلدون فى مقدمته على هذا الموضوع . وذكر ان العرب ابعد الناس عن الصنائع وعلل ذلك بانهم اعرق فى البدو وابعد عن العمران الحضرى وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها . وقد اطنب فى بيان ذلك الى ان قال . واما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا انهم تداولوا ملكه آلافا من السنين فى امم كثيرين منهم واختطوا امصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والاذوآء فطال امد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع ورسخت فلم تبل ببلى الدولة فبقيت مستجدة حتى الان واختصت بذلك الوطن كصناعة الوشى والعصب وما يستجاد من حوك الثياب والحرير فيها . وذكر رحمه الله فصولا مهمة فى هذا الباب لها من الحقيقة اوفر نصيب

بيداني اذكر ماكان للعرب من امهات الصنائع التي زاولوها للقيام بحاجاتهم وان قلت فيهم ولم تصل الى نهاية الاتقان . ولم تبلغ نصاب الكمال . فاني بصدد بيان اسباب معائشهم . على ان الكثير منهم كان بمعزل عن ذلك لما جبلوا عليه من الميل الى المعالي والتفاخر بالشجاعة والفروسية والتفاضل بالاقدام والجراءة والوفاء بالعهود والقيام بواجب الاضياف وحفظ الذمار والذمام والكرم وغير ذلك من الشيم وعلو الهمم . والقائم بامر الصناعة لديهم دون غيره في المكانة والشرف . فدونك ماكان لديهم من الصنائع التي مست اليها حوائجهم وهدتنا اليها لغتهم .

(فمنها صناعة البناء)

هذه الصناعة كانت محصرة لاهل الحضر من العرب لانهم الذين تمس اليها حوائجهم . وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكن والمأوى للابدان في المدن . وعلل ذلك ابن خلدون في مقدمته بان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لابد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها . ثم ذكر كلاما مفيداً يتعلق بهذه الصناعة ليس من غرضنا . والقائمون بهذه الصناعة من العرب متفاوتون فيها فمنهم البصير الماهر . ومنهم القاصر . وكانت في اليمن ابنية عظيمة . وقصور مشيدة . وكذلك في غيرها كما ذكره الاصبهاني في كتاب جزيرة العرب

وابنيتهم كانت متفاوتة . فمنها البناء بالحجارة . ومنها البناء باللبن . ومنها البناء بالآجر. ومنها البناء بالطين والتراب. وهى على اوضاع مختلفة . واشكال متفاوتة . وتفصيل ذلك لايليق بهذا المختصر . فمن ابنيتهم الدار . ويقال لها الدارة والمنزل والمنزلة والمباءة والمعان والوطن والمغنى والمثوى والربع . ويقال لصحن الدار حرّ الدار وقاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها وبحبوحتها . وفى الدار البيت وجمعه ابيات والكثير البيوت . والمخدع البيت فى البيت . والنفق والسرب البيت تحت البيت . والغرفة فوقه وهى العلية وجمعها علالى . والخزانة وهى التى يحفظ فيها الشىء قال امرؤ القيس .

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شىء سواه بخزان

والمرقد المضجع . والحائط والجدار ماطاف من البناء بالشىء . والاس اصل الحائط . والرهص البناء من الطين الموطوء ينضد بعضه فوق بعض طريقة طريقة . ويقال لكل عرق من الحائط دمص . ماخلا العرق الاسفل فانه رهص . والخط الواحد منه ساف والجمع اسؤف وسؤف . ويقال للصف الواحد من اللبن ايضاً ساف فاذا اقيم الآجر بعضه فوق بعض فهو السميط . ويقولون ارتفع الحائط اذا بلغ ان يوضع عليه عقد الازج اوان يغمى اوان يقبب اوان يسنم . وبيت مغمى اذا سقف بالخشب والغماء مايغمى به . وبيت مقبب ومسنم على هيئة السنام فى تضايق اعلاه واتساع اسفله. والبرزخ الفرجة بين الازجين

فى صهوة البيت والهدف ترس الازج .

(وفى الدار الصفة) وجمعها صفاف ومنها الشرقية التى تقابل المشرق . والغربية التى تقابل المغرب . والفراتية التى لاتقع الشمس فيها رأساً والمقنوءة مكان ظله دوم كالاماكن التى يجمد فيها الماء . وبحذ آئها المشرقة . والزاوية ملتقى الحائطين فى البيت . والكوة الثقب فى اعالى البيت ينفذ . ويقال لها الشاروق . والمشكاة التى فى الحائط يقال لها الاوقة ويقال بيت مأوق . قال امرؤ القيس .

وبيت يفوح المسك فى حجراته * بعيد من الافات غير مأوق

ويقال للسطح الاجار والصهوة . وسقف البيت اعلاه الداخل . وسمكه مابين قراره الى سقفه . والطاية السطح ومربد التمر . والدرج مايرتقى فيه الى السطح فان كان من خشب فهو السلم والعتب الدرج وكل مرقاة منها عتبة والجمع عتب وعتبات . والفرغ الخلاء بين المرقاتين والتفاريج والطنف آجر اونحوه يجنح به اعلى الحائط ليقيه المطر ان يسيل عليه وهو الكنة والافريز وافرز حائطه وطنفه . وفى نحوه قال الهذلى .

وما ضرب بيضاء ياوى مليكها * الى طنف اعيا براق ونازل

والعلاوة اعلى الحائط الذى لايغمى وقد يكون الطنف قراميد . ويقال واحدها قرمد وهو الآجر الطويل قال .

اودمية فى مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد بقرمد

ويقال الهرادة من الخشب لاعالى الحيطان . والنجيرة سقيفة بخشب لايخالطها غيره . والعرس حائط اواسطوانة يقام فى البيت يوضع عليها طرف الجائز وهو العارضة. والروافد خشب فوق العارضة واللبن واحدته لبنة واللبان الذى يضربه والملبن الذى يضرب به . والسابل الذى ينقل عليه . والسحيقان والاسحقة خشبات يدخلن فى السابل . والطوب الآجر والطواب الذى يطبخ اتونه . والاطيمة آتون الجرار والقصاع ونحوها . والبلاط الحجارة تفرش بها الارض يقال دهليز مباط ودار مفروشة بالآجر والبلاط. ويقال للبناء الهاجرى قال لبيد

كعقر الهاجرى اذا بناه * باشباه حذين على مثال

والهاجرى نسبة الى قبيلة واول من بنى كان من هذه القبيلة . وقال الجوهرى وهاجرى نسبة الى هجر ومنه قيل للبناء هاجرى . والطيان الذى يطين الحائط والسطح ونحوها . والملاط مارق من الطين ونحوه السياع . ويقال للمالج الذى يمسح به وجه الحائط المسيعة والمسحة والمطمر الخيط الذى يقدر به البناء والشيد والقص الجص . والجصاصة موضع الجص . والملاحة مجمد الملح . والثلاجة مكبس الثلج . والجيار والكلس الصاروج . قال الجوهرى الصاروج النورة واخلاطها فارسى معرب وكذلك كل كلمة فيها صاد وجيم لانهما لايجتمعان فى كلمة واحدة من كلام العرب .

(وفى الدار الكنيف) واصله الحظيرة ويقال له الحش

والمستراح والمخرج . فاما الكرياس فالكنيف على السطح بقناة الى الارض وربما كان ناتئاً مكشوفا . والمرحاض المغتسل . والمرزاب والميزاب جميعاً الثعب ويكون من خشب وغيره . والبالوعة ثقب فى وسط الدار وكذلك البلوعة والجمع البلاليع . ويقال للاسطوانة الآسية والسارية قال جرير .

وجدنا بيت ضبة فى معد * كبيت الضب ليس له سوار

وطوار الدار فناؤها ومثله الجناب والعذرة وجعلت اسماً لما يقوم عنه الانسان اذكان ياتى بها . والنؤى حاجز حول الخيمة يحفر للمطر . والدمن آثار الدار . والكرس ماتلبد من الابوال والابعار . والطلل ماشخص من الآثار . والروسم الرسم وهو كل اثر لاشخص له .

(وفى الدار المطبخ) وهو موضع الطبخ والمخبز موضع التنور والمسعر والوطيس والتنور والهيلم واحد والكرامة طبق التنور والمناقة حجره . والساعور تنور فى الارض صغير .

(ومما يتصل بالدار الاصطبل) ويجمع على اصطبلات واساطب وفيه المربط وهو الموضع الذى تربط فيه الدواب . والمربط بكسر الميم الحبل الذى تربط به الدابة . وفيه المعلف وهو موضع العلف والآرى والآخية محبس الدابة . يقال تأرى اى تحبس .

(وفى الدار القصر) ويقال له المجدل والفدن والعقر والصرح وهو كل بناء مرتفع . والاطم والاجم الحصن وجمعهما

آطام و آجام . قال قيس بن الخطيم .

فلولا ذرى الآطام قد تعلمونه * وترك الفلا شور كتم فى الكواعب

والسور حائط الحصن . والربض حائط حول السور . والشرف ماأشرف فوق الحائط واستشرف الناس من ورائه اى رفعوا رؤسهم والبلد ثم المدينة وهى اصغر من البلد. ثم القرية وهى اصغر من المدينة. ومن ابنيتهم البرأة والقترة والناموس والدجية والقرموس وهى مواضع يستتر فيها من الصيد . والمرقب موضع الطليعة وهو الديدبان . والحواء مكان الحى الحلال . والموسم مكان السوق . والمحفل مجمع الرجال . والمأتم مجمع النساء . والندى مجمعهم للسمر والحديث . والمصطبة مجتمعهم لعظام الامور . والخان وهو مكان مبيت المسافرين والحانوت مكان الشرآء والبيع والسدة ما بنى امام الحانوت . والعضادة حانوت صغير قدام الحانوت الكبير . والحانة مكان التسوق فى الخمر والماخور مكان الشرب فى منازل الخمارين. والديماس الحمام والآتون موقد ناره . هذا كله مما يدلك على ان القوم ممن كان له فى هذه الصناعة اليد الطولى والقدم الراسخة كيف لا وفى ارضهم المبانى القديمة والقصور المشيدة وقد بقيت الى اليوم اطلالها . ولم يمح من وجه البسيطة رسمها ولا مثالها .

(بيوت اهل البادية من العرب)

بيوت العرب على عشرة انحاء . خباء من صوف . وبجاد من وبر

وفسطاط من شعر . وسرادق من قطن . وقال الجوهري السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار . وكل بيت من كرسف القطن فهو سرادق قال رؤبة .

ياحكم بن المنذر بن الجارود * سرادق المجد عليك ممدود

ويقال بيت مسردق قال الشاعر يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت ارجل الفيلة .

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه * صدور الفيول بعد بيت مسردق

ومن بيوتهم القشع وكانوا يتخذونه من الجلود والقشع الجلد اليابس قال متمم بن نويرة يرثي اخاه مالكا .

ولا برما تهدى النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

والطراف بيت كان الاغنياء منهم يتخذونه من الاديم قال قائلهم .

رأيت بني الغبرآء لاينكرونه * ولا اهل هذاك الطراف الممدد

وبنو الغبرآء هم الفقرآء . يريدان الممدوح يعرفه الفقرآء والاغنياء . والحظيرة بيت كانوا يتخذونه من شذب وهو جمع شذبة بالتحريك وهو مايقطع مما تفرق من اغصان الشجر ولم يكن في لبه . قال الجوهري والحظار الحظيرة تعمل للابل من شجر لتقيها الريح والبرد والمحتضر الذي يعمل الحظيرة . والخيمة بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر . والجمع خيمات وخيم مثل بدرة وبدر والخيم مثل الخيمة والجمع خيام مثل فرخ وفراخ وتخيم بمكان كذا ضرب خيمته به والاقنة بيت يبنى

من حجر والجمع اقن مثل ركبة وركب . قال الطرماح .

فى شناظى اقن بينها * عرة الطير كصوم النعام

والكبة بيت يبنى من لبن . وهذه البيوت العشرة لم يتفق عليها اهل اللغة بل اختلفوا فى بعضها . وهذه البيوت لاهل البوادى احب لديهم من القصور المشيدة والبيوت المزخرفة . وفى ذلك يقول قائلهم .

لبيت تخفق الارواح فيه * احب الى من قصر منيف

« وقال آخر »

الحسن يظهر فى شيئين رونقه * بيت من الشعر او بيت من الشعر

وسبحان من تصرف فى قلوب عباده كما شاء واختار .

(ومنها صناعة النجارة)

هذه الصناعة من ضروريات كل امة من الامم لاسيما اهل العمران وقد بينا ان العرب منهم اهل حضر وحاجتهم الى هذه الصناعة من الضرورى فانه لابد لهم من السقف لبيوتهم . والاغلاق لابوابهم . والكراسى لجلوسهم . ومنهم سكنة البوادى وهم الاعراب . ولابد لهم من العمد والاوتاد لخيامهم . والحدوج لظعائنهم . والرماح والقسى والسهام لسلاحهم الى غير ذلك . وكل واحدة من هذه الامور فالخشب مادة لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هى النجارة على اختلاف رتبها. قال ابن خلدون فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب اولا اما بخشب

اصغر منه اوالواح . ثم تركب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة
وهو في كل ذلك يحاول بصنعته اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى
ان تصير اعضاء لذلك الشكل المخصوص . والقائم على هذه الصناعة
هو النجار وهو ضروري في العمران . ثم اذا عظمت الحضارة وجاء
الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف اوباب اوكرسي
اوماعون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجادته بغرائب من الصناعة
كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الابواب والكراسي
ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخرط يحكم بريها وتشكيلها .
ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالدساتر فتبدو لرأى العين ملتحمة
وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء
يتخذ من الخشب فيجيء آنق مايكون . وكذلك في جميع مايحتاج اليه
من الآلات المتخذة من الخشب من اى نوع كان . ثم بين الامور التى
تحتاج الى هذه الصناعة وما تتوقف هى عليه من المعارف ومن تعاطى
هذه الصاعة من الاوائل والاقدمين . والمقصود من نقل كلامه بيان
حقيقة هذه الصناعة وتعريفها فانه لم يعرج على بيانها غيره . والمقصود
ان العرب كان منهم من زاول هذه الصناعة ومارسها وتقدم فيها
على حسب استعداده وقابليته . وقد رأيت في كلام الائمة من اهل
اللغة في ذكر اسماء اوصال الصور والاشكال المخصوصة مايفيد كمال
وقوفهم على هذه الصناعة . وكذلك ماورد عنهم من اسماء آلات النجارة

مالولم يمارسوها لما عرجوا عليها . ولنورد مما ذكروه شيئاً من القسمين لازدياد البصيرة .

(اوصال الباب واسماء اجزائها)

الباب من ضروريات الدار ومن الامور التى لابد منها وهى انما تكون بصناعة النجارة . والعرب قدوضعوا لكل جزء ومما تتركب منه اسماً كما وضعوا لجملتها اسماء . فمن اسمائها الباب والرتاج . قال امرؤ القيس .

له كفل كالدعص لبده الندى * الى نبج مثل الرتاج المضبب

ويقال له اذا كان واحداً فرد فان كان زوجا فهما مصراعان . وهى ابواب افراد وابواب مصاريع . ومن اسماء الاوصال ففى الباب الواحد والواحد لوح وفيه المنكبان وهما جانباه . والمردم والمردى مايضم اسفل المنكبين . والمقم مايضم اعلاها وهو اللوح المعروض بينهما ويقال له الحلام . والصفائح الالواح العراض بينهما والواحدة صفيحة والزافر الذى يقال له انف الباب . ويد الباب اعلاه الذى يدور فى الحق الاعلى . ورجله الذى يدور فى الحق الاسفل فان كان من حديد فهو قطب . ويقال للحق الاسفل الجيرور والنجران . قال الشاعر .

صببت الماء فى النجران صبا * تركت الباب ليس له صرير

وصريره صريفه وهو صوته . والفائز الخشبة المثقوبة التى تدور فيها

يد الباب . ويروى في الالغاز .

وما عزيز سريوما فطب * وفائز والنار فيه تلتهب

وللباب العضادتان وهما خشبتان تكتنفانه . والاسكفة الخشبة التي تضم العضادتين من اسفل . والعتبة التي تضمها من فوق . وهذه الاربع اذا ادخل بعضها في بعض فصارت مربعة فهي اطار الباب كما يقال اطار المنخل . والسقيفة مافوق العتبة من الخشبة التي توصل بها . واياد الباب وسنده وملاذته خشبة تركب على ظهره تنفذ اليها اذناب المسامير وتوثق بها الواح الباب . والمسامير ماكان من حديد والواحد مسمار . والود الوتد من خشب وجمعه اوتاد . والبوان خالفة الباب وفي المجمل البوان عمود البيت . وقال الجوهري البوان بكسر الباء وضمها عمود من اعمدة الخباء والجمع بون بالضم . وللباب حلقته ومقرعته وهي التي يقرع بها الباب . قال الشاعر .

من قرع الباب ولم * يعجز عن القرع دخل

فاذا كان مكانها سير فهو وذم . والرزة الحلقة التي يقع فيها الزرفين اذا اغلق . وكتائف الباب وضباته ما ركب عليه من الحديد والواحدة ضبة والكتيفة الورد . واللولب حديدتان متركبتان ذكر وانثى . والمغلق موضع المغلاق . والمغلاق مايفتح بالمفتاح . والمعلاق بالعين غير معجمة مالا يحتاج الى مفتاح . والقعو جحر الغلق . وفي الغلق البلاطيط والواحد بلطاط وهي الخشبات التي تقع في الثقب التي ينغلق

الباب بها . ويقال قلقل الغلق حتى تقع البلاطيط فى اقاعها . والمقلاد المفتاح وجمعه مقاليد . واسنان المفتاح هى التى ترفع البلاطيط عن الاقماع للفتح . والخرق فى الباب يسمى الصير وهو الشق . وفى الحديث من نظر فى صير باب ففقئت عينه فهو هدر . فان كانت فى الباب خروق فهو مخرق . فاذا لم تكن الواحه متضامة وكانت بينها فرج قيل باب مضلع ومخلل . ويقال لما كان كذلك من خشب غير الواح مشبك . وباب مصفح اذا كان من صفائح عراض حسب . وتقول اصفقت الباب وسفقته اذا الصقته بالعتبة واجفته اذا تركت فيه فرجة وقد رددت الباب فهو مردود غير مصفق وبلقت الباب فتحته وانبلق انفتح . والبلق الباب المفتوح . واغلقته فهو مغلق . والمحصن القفل وقد اقفلته فهو مقفل . وللقفل عموده وهو حديدته الطويلة . والفراشة التى تغيب فى مغلق القفل منشب . وسام الفراشة الحدائد المستطيلة المركبة عليها . واعيار الفراشة ماتنأ منها والواحد عير . ويقال للقفل الجلازة . وفش القفل اذا عالجه بشئ يحشوه به فيفتحه من غير مفتاح .

(ادوات النجارين وآلاتهم)

لايخفى ان لهذه الصناعة ادوات كثيرة لايمكننا استيعابها فى مثل هذا المقام وانما نذكر بعضاً منها استدلالاً على مقصدنا . فمن آلاتهم (الفأس) وهى مؤنثة وجمعها افؤس وفؤس (والخصين) بالخاء معجمة

والصاد غير معجمة فأس ذات خلف واحد (والحدأة) ذات رأسين والجمع حدأ. قال الشماخ .

يباكرن العضـاة بمقنعات * نواجذهن كالحدأ الوقيع

اى المحدود المضروب بالمطارق (والصاقور) الفأس العظيمة التى لها رأس واحد دقيق تكسر به الحجارة وهو المعول ايضاً . وقد صقرت الحجارة صقراً اذا كسرتها بالصاقور (والكرزن) والكرزين بالكسر فأس عظيمة يقطع بها الشجر ومثله الكرزم والكرزيم والكرزوم قال جرير .

واورثك القين العلاة ومرجلا * واصلاح اخرات الفؤس الكرازما

(والقدوم) الفأس الصغيرة وهى مخففة قال الشاعر .

تنيف برأس فى الزمام كأنه * قدوم فؤس ماج فيها نصابها

وقال الجوهرى والقدوم التى ينحت بها مخففة . والجمع قدم قال الاعشى

اقام به شـاهبور الجنـو * د حولين تضرب فيه القدم

وجمع القدم قدائم مثل قلص وقلائص . والخرت ثقب الفأس ونصابها خشبتها . ويسمى الفعال وانشد ابن الاعرابى .

اتته وهى جانحة يداهـا * جنوح الهبرقى على الفعال

وغرابها حدها . والوشيظة والنخاسة عويد يجعل فى خرتها اوفى فتق نصابها ليضيق . وذلك اذا ضمر النصاب ولم يتماسك يقال وشظته ونخسته . وقلقت الفأس وماجت اذا اتسع خرتها واضطربت فى نصابها فان خرجت منه قيل نصلت تنصل نصولا . قال الراعى .

في مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤس اذا اردن نصولا

ومنها (المنشار) وهو ماينشر به الخشب اى يقطع ويقال لشرته واشرته ووشرته . ولذلك يقال ايضاً مئشار والنشارة ماسقط منه ومنها (المحفرة) وهى آلة يحفر بها الخشب . ومثلها المنقار ونقرت الشيء اذا ثقبته بالمنقار ومنها (المسحل) وهو مبرد اخشن من مبرد الحديد . وهو الذى يسحل به الخشب اى ينحت . والصغير من ذلك مسرد ومنها (المثقب) وهى آلة يثقب بها الخشب ومنها (الكلبتان) وهى آلة يجذب بها النجار المسمار من الخشب . ويأخذ بها الحداد الحديد المحمى ومنها (العتلة) وهى آلة من حديد كأنها رأس فاس (وبيرم النجار) وتطلق ايضاً على العصا الضخمة من الحديد لها رأس مفلطح يهدم بها الحائط . الى غير ذلك من الآلات والادوات المفصلة فى كتب اللغة . ولولا معرفتهم بهذه الصناعة لم يستعملوا تلك الاسماء لهذه الادوات .

(ومنها الحدادة)

وهذه الصناعة ايضاً من ضروريات الامم ولا يمكنهم الاستغناء عنها بوجه . ومنافع الحديد للناس فى معائشهم ومصالحهم ليست بخفية على احد . اذ ما من صنعة من الصنائع ولا عمل من الاعمال الا والحديد او ما يعمل به آلتها . وفى التنزيل وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله ان الله قوى عزيز . وهذه الصناعة

من الصنائع القديمة فى العالم . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزل مع آدم عليه السلام الميقعة والسندان والكلبتان . وروى انه نزل ومعه المر والمسحاة . وفى خبر نزل ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والابرة والمطرقة والميقعة وفسرت بالمسن وتجئ بمعنى المطرقة او العظيمة منها اوما تحد به الرحى . وفى حديث ابن عباس نزل آدم عليه السلام من الجنة بالباسنة وهى آلات الصناع اوسكة الحرث وليس بعربى محض . وكانت العرب تسمى صاحب هذه الصنعة القين . قال الجوهرى القين الحداد والجمع القيون . وعن ابن السكيت يقال للحداد ماكان قين ولقد قان يقين قينا . يقال قن اناءك هذا عند القين . وقنت الشئ اقينه قينا لممته واصلحته وانشد .

ولى كبد مجروحة قدبدا بها * صدوع الهوى لوكان قين يقينها

وفى المثل «اذا سمعت بسرى القين فانه مصبح» وهو سعد القين صار مثلا فى الكذب والباطل . يقال دهدرين . سعد القين . ويقال لبنى القين من بنى اسد بلقين كما قالوا بلحرث وبلهجيم وهو من شواذ التخفيف . وكان القيون مختلفين فى الاعمال فمنهم من كان يعمل اللجم والازمة لدوابهم وهى مشتملة على اجزآء كثيرة واوصال مختلفة . قال ابو عبد الله الاسكافى فى كتاب المبادى فى اللجام الشكيمة وهى الحديدة المعترضة فى الفم . والفأس الحديدة المنتصبة من الشكيمة . والفراشتان جانبا الشكيمة واليهما يربط العذاران والحطاقان والشاكلتان

حديدتان معقفتان للعنان . والكلوبان خرتان يدخل فيهما طرفا العنان والحكمة الحديدة التى تستدير حول الانف والحنك الاسفل وهما حكمتان . والمسحلان حديدتان تكتنفان الشدقين . والحديدة الواقعة على الصدغ صدغ . والطرف مافى اطراف السيور وقد يكون من فضة والنكل لجم البغال . وقد اطنب فى الكلام على اللجام وما اشتمل عليه . والمقصود بيان ان هذه الصناعة كانت راسخة فيهم حتى تمكنوا من صنعة دقائقها . ومنهم من كان يعمل لهم السيوف . وقد اشتهر بهذا العمل رجل منهم اسمه سريج كان ماهراً فى صنعتها متقناً لها . والسيوف السريجيات نسبة اليه . وكانوا يسمون الذى يطبعها اى يعملها الطباع والصيقل هو الذى يصقلها . وفى ذكر اسماء مااشتمل عليه السيف يعلم دقة صنعته وما يحتاج اليه من زيادة المعرفة فى هذه الصناعة . فحديدته هى النصل والسيلان سنخه فى القائم ومتن السيف ظهر النصل يقال سخن متنه اى احماه . وصدر السيف مقدمه . وعرضاه وصفحاه وصفحتاه واللاه بطنه وظهره . فاما حداه فهما الذلقان والذبابان والغراران والشفرتان . ومضربه ماتضرب به الضريبة وظبته طرف المضربة . وشباته طرف الظبة وصيبا السيف ناحيتا الشباة وعيراه حرفان مرتفعان وسط متنه يقال سيف معير . والعرصان مابين العير الى الحدين . ورونقه ماؤه وفرنده . واثره كدبيب النمل فى متنه وهو مأثور . وسيف مشطب ومشطوب فى متنه شطبة وهى طريقة

فيه مرتفعة عنه . وتسمى سفسقة السيف . او السفسقة ما بين الشطبتين على صفحة السيف طولا . وللسيف القائم وهو مقبضه . وفي القائم القبيعة وهي الفضة او الحديدة في طرفه كالكرة . ويسمى اعلى القبيعة القلة يقال سيف مقلل . قال الهذلي .

ولقد شهدت الحي بعد رقادهم * تفلى جماجمهم بكل مقلل

والمسمار الذي في طرفي القبيعة وفي القائم الكلب والحرباء . والشعيرتان طرفا الحرباء . وفي احداهما حلقة فيها السير الذي يسمى القلس والنعفة والذؤابة والعلاقة . والمسمار الذي في وسط القائم ايضاً حرباء وكلب وفي كل قائم كلبان . والسفن الجلد الاحرش المحبب الخشن يلبس القائم . والرأس من فضة او حديد يجمع بين طرفي السفن . وقد يسمى القائم رأساً . قال معقر بن حماد البارقي .

هما بطلان يعثران كلاهما * يريد رأس السيف والسيف نادر

وغاشية القائم فضة او حديدة توارى رأس الجفن اذا اغمد . وشارباه طرفا الغاشية . وما تحت الغاشية من الجفن الرافر . والاساين جمع اسينة وهي سيور ادخل بعضها في بعض وضفرت على القائم . والجفن الغمد والقراب . وازاده الجلد الذي يلبس ظاهراً . وخلته جلد يبطن به . والنعل حديدة اسفل الجفن . والمحمل والحمالة النجاد وهو السير الذي يركب العاتق ويحمل به قال الشاعر .

الى ملك لا تنصف النعل ساقه * اجل لا وان كانت طوالا محامله

اى لا تبلغ نعل سيفه نصف ساقه لطول قامته قال الشاعر .

كأن عليها خلة فارسية * يقطعها بين الجفون الصياقل

لان الخلة كانت جلوداً منقوشة . والرصائع جمع رصيعة وهى سيور تضفر بين الجفن والنجاد . قال الشنفرى .

هتوف من الملس المتون يزينها * رصائع قد نيطت اليها ومحمل

والبكرات الحلق التى فى النجاد كفتوخ النساء وهى مدورات فى اطراف الحمائل تمسك القيود . والقيود حلق فى احد جانبى الجفن . والزوائد اطراف القيود . وقد يشد فيها السيور . فاذا سهل خروجه من غمده قيل سلس ودلق . وان تعسر قيل لصب ولحج فان ارتد عن الضريبة قيل نبا . فان انكسر قيل انقصف . وقيل صابيته املت طرفه نحو الارض كصاباة الرماح وهززته فاهتز اى اضطرب «ومنهم» من كان يصنع لهم النبال والمسامير والسكاكين والاوانى وسائر الادوات والالات والكلام فى بسط ذلك يطول . وقد اطنب فى بيان ذلك ابو عبد الله الاسكافى فى كتاب المبادى وكذا غيره من ائمة اللغة .

(ادوات الحدادين وآلاتهم)

من جملة آلاتهم وادواتهم (القرزم والعلاة) وهى السندانة . وعن ابن دريد ان القرزم بالقاف مضمومة لوح الاسكاف المدور . (والمطرقة) وهى آلة يضرب بها الحديدة والفطيس اكبر منها وهى المتقعة ايضاً . يقال وقعت الحديدة اقعها وقماً (والمبرد) الذى يبرد

به الحديد . والبرادة ماسقط منه . وفسالة الحديد ماتناثر منه عند الضرب اذا طبع (والمشحذ) مبرد للحديد اعظمها واخشنها . وقال الجوهري المشحذ المسن (والمفراص) للحديد كالمقراض للثوب . وقال الجوهري والمفرص والمفراص الذي يقطع به الفضة . قال الاعشى .

وادفع عن اعراضكم واعيركم * لسانا كمفراص الخفاجي ملحبا

(والخفاجي) نسبة الى خفاجة بالفتح حي من بني عامر مشهورين بهذه الصنعة (والمنفاخة) ماينفخ به الكير . والكير الذي ينفخ فيه. وفي الصحاح كير الحداد زق اوجلد غليظ ذوحافات . واما المبني من الطين فهو الكور (والمشرجع) مطرق لاحروف لنواحيه ومطرقة مشرجعة اى مطولة لاحروف لنواحيها . واذا كان الشئ مربعاً فامرت بنحت حروفه قلت شرجعه (والعسقلان) آلة للصائغ وهو اصغر مطرقاته . والغداف الحديدة التي يدخل في احد طرفيها الخاتم ويركزها على الجبأة وهي الخشبة التي بين يديه قال الشاعر * كوقع العسقلان على الغداف * والحلاج منفاخه وهو حديدة مجوفة ينفخ فيها الصائغ اذا اراد النفخ في كيره وله الكلبتان والمثقب .

(ومنها الحياكة والنسج)

هذه الصناعة من الصناعات التي كانت من مكاسب العرب وهي ايضاً من ضروريات الامم . فان كل امة ولا سيما اهل الحاضرة يحتاجون لهذه الصناعة لاجل لبوسهم وفرشهم وحمل اثقالهم ونحو

ذلك . وقد امتن الله تعالى عليهم بقوله ومن الانعام حمولة وفرشاً الآية وبهذه الصناعة يعرف كيفية نسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سداً فى الطول والحاماً فى العرض لذلك النسج بالالحام الشديد فيتم منها قطع مقدرة . فنها الاكسية من الصوف للاشتمال . ومنها الثياب من القطن والكتان للباس . وبلاد العرب من العمران المعتدل فالحف ضرورى لهم ولابد لهم من سرابيل تقيهم الحر والبرد . وربما استغنى عن هذه الصناعة اهل البلاد المنحرفة الى الحر كما ينقل عن كثير من السودان انهم عراة فى الغالب . وسيجئ ان شاء الله ذكر ما كان ينسجه العرب . وكان من المستجاد لديهم نسج اليمن .

(ادوات الحياكة والنسج)

كل حرفة من الحرف وصناعة من الصناعات لابد لها من آلات تخصها وادوات تتوقف عليها فمن آلات هذه الصناعة عند العرب (الحف) وهو الذى تلمظ به اللحمة اى تلقم ويصفق ليلتقمها السدى والجمع الحففة . وقال الجوهرى نقلا عن الاصمعى الحمة (المنوال) وهو الخشبة التى يلف عليها الحائك الثوب . قال والذى يقال له الحف هو المنسج . ونقل عن ابى سعيد الحفة المنوال ولا يقال له حف وانما الحف المنسج . ومن ادواتها (الوشيعة) وهى المنسج وهى قصبة فى طرفها قرن يدخل الغزل فى جوفها وتسمى السهم . وقال الجوهرى الوشيعة لفيفة من غزل وتسمى القصبة التى تجعل

النساج فيها لحمة الثوب للنسج وشيعة قال ذو الرمة .

به ملعب من معصفات نسجنه * كنسج اليمانى برده بالوشائع

(والمشيعة) مايلف عليه الغزل (والثناية) التى يثنى عليها الثوب (والعدل) خشبة لها اسنان كاسنان المنشار يقسم بها السدى ليعتدل (والصيصة) عود من طرفاء كلما رمى بالسهم فالحمه اقبل بالصيصة وادبر بها . وفى الصحاح الصيصة شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة . قال دريد بن الصمة .

فجئت اليه والرماح تنوشه * كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

ومنه صيصة الديك التى فى رجليه (والنير) الخشبة المعترضة التى فيها الغزل وثوب منير ذو نيرين مضاعف النسج . ومن اللغويين من يقول النير لحمة الثوب فاذا نسج على نيرين كان اصفق وابقى (والمداد) عصاً فى طرفيها صنارتان يمدد بها الثوب (والصنارة) رأس المغزل (والكفة) الخشبة المعترضة فى اسفل السدى (والحماران) يوضعان تحتها ليرفع السدى من الارض والمهرة والرفيد يقال لها بالفارسية تله (والمثلث) قصبات ثلاث تسمى بالفارسية سكانه (والمبرم والبريم) الحبل الذى جمع بين مفتولين ففتلا حبلاً واحداً . والمبرم من الثياب المفتول الغزل طاقين ومنه سمى المبرم وهو جنس من الثياب . وسدّى الثوب تسدية اذا مد الغزل ليسقيه الخزيرة وهى كالحساء من دقيق (والشفشقة) والشفاشق قصب يشق ويوضع فى السدى عرضاً

ليتمكن به من السق (والدعائم) خشبات تنصب ويمد عليها السدى والسدى والستى واحد وسدى مبرم وسدى سحيل . واللحمة بالفتح ما يلحم به واداة الحائك المنصوبة تسمى (المنوال) وهو النول ايضاً قال قائلهم

حوكت على نولين اذ تحاك * وتخبط الشوك ولا تشاك

(ومنها الخياطة)

وهذه الصناعة ايضاً من ضروريات العمران وكانت من مكاسب العرب واحد اسباب معائشهم . وعرفها ابن خلدون بانها تقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل قطعاً مناسبة للاعضاء البدنية . ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلاً اوتنبيتاً اوتفسحاً على حسب نوع الصناعة . قال وهذه الصناعة مختصة بالعمران الحضرى لما ان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالاً . وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها . ثم بين سر تحريم المخيط فى الحج وقدم هذه الصنعة والتى قبلها ومن ابتدأ بها . ومن وقف على كسوة العرب وما كانت تلبسه وتفترشه وما ورد عنهم فيها من الاسماء تبين له كمال وقوفهم على هذه الصناعة وهذه نبذة منها .

(كسوة العرب)

الكسوة هى الثياب التى تلبس . وقد ذكرنا اوائل الجزء الاول من هذا الكتاب ان اهل البادية من العرب وهم الرحل الذين لا يقيمون

بمحل كان شعارهم لبس المخيط فى الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤسهم . وربما القوا ردآء على ظهورهم واتزروا بازار . واما اهل الحضر وسكنة المدن منهم . فكانوا يتفننون فى لبوسهم . ويختلفون فى كسوتهم . فكان الكاهن لايلبس المصبغ . والعراف لايدع تذييل قيصه . وسحب ردائه . والحكم لايفارق الوبر . والشاعر منهم كان اذا اراد الهجاء دهن احدى شقي رأسه وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة . وكان لحرائر النساء زى . ولكل مملوك زى . ولذوات الرايات زى . وكانت سيماء اهل الحرم اذا خرجوا من الحرم ان يتقلدوا القلائد . ويعلقوا عليهم العلائق . واذا اوذم احدهم الحج تزيا بزى الحاج . واذا ساق بدنة اشعرها . حتى انهم خالفوا بين سمات الابل والغنم . واعلموا البحيرة بغير علم السائبة . واعلموا الحامى بغير علم الفحول . وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم . وكذلك سائر الاغنام السائمة . واذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا فى اسنمتها الريش والخرق . ولذلك قال الشاعر .

يهب الهجان بريشها ورعائها * كالليل قبل صباحه المتبلج

واذا بلغت الابل الفاً فقؤا عين الفحل فان زادت فقؤا العين الاخرى فذلك هو المفقأ والمعمى . وقال شاعرهم .

فقأت لها عين الفحيل تعيفا * وفيهن رعلاء المسامع والحامى

« وقال الآخر »

وهب لنا وانت ذوامتنان * تفقأ فيها اعين البعران

(وقال الآخر)

فكان شكر القوم عند المنن * كيّ الصحيحات وفقء الاعين

والمقصود انهم مختلفين فى اللباس والزيّ والسيماء . حتى انهم اعتبروا ذلك فى غيرهم مما يخصهم . ولو بسطنا الكلام على ملابسهم وما قالوا فيها من الشعر . وما ورد عنهم من الاسماء لادى ذلك الى سفر كبير وكذلك الكلام على فرشهم وارائكهم وما يتصل بذلك فانه يطول جداً . ونخص الكلام على ماورد عنهم فى العمائم والنعال وكان ذلك من زيهم العام .

(العمائم وما ورد عنهم فيها من الشعر)

كانت العمائم تيجانهم وبها عزهم . وفى الحديث كانت عمائم العرب محنكة اى طرف منها تحت الحنك ومن اسماء العمامة العصابة والمقطعة والمجر والمشوذ والكوارة . وفى الحديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سرية فامرهم ان يمسحوا على المشاوذ والتساخين . وهى العمائم والخفاف وفلان حسن الشيذة اى حسن العمة . وفى كتاب لباب الاداب وكانت السادة من العرب تلبس العمائم المهراة وهى الصفرة قال الشاعر .

وايتك هرت العمائم بعدما * عمرت زماناً حاسرا لم تعمم

فزعم الازهرى ان تلك العمائم المهراة كانت تحمل الى بلاد العرب

من هراة فاشتقوا لها وصفاً من اسمها . واحسبه اخترع هذا الاشتقاق تعصباً لبلده هراة كما زعم حمزة الاصبهانى ان السام الفضة وهو معرب عن سيم . وانما تقوّل هذا التعريب وامثاله تكثيراً لسواد المعربات من لغات الفرس وتعصباً لهم . وكان الزبرقان يصبغ عمامته بصفرة وذكره الشاعر فقال .

واشهد من عوف حلولاً كثيرة * يحجون سب الزبرقان المعصفرا

وكان ابو احيحة سعيد بن العاصى اذا اعتم لم يعتم معه احد هكذا فى الشعر ولعل ذلك ان يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس . وقال ابو قيس ابن الاسلت .

وكان ابو احيحة قد علمتم * بمكة غير مهتضم ذميم
اذا شد العصابة ذات يوم * وقام الى المجالس والخصوم
فقد حرمت على من كان يمشى * بمكة غير مدخل سقيم
وكان البخترى غداة جمع * يدافعهم بلقمان الحكيم
بازهر من سراة بنى لوى * كبدر الليل راق على النجوم
هو البيت الذى بنيت عليه * قريش السر فى الزمن القديم
وسطت ذوائب الفرعين منهم * فانت لباب سرهم الصميم

وقال غيلان بن خرشة للاحنف يا ابا بحر مابقاء مافيه العرب قال اذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم واستجادوا النعال ولم تأخذهم حمية الاوغاد . قال وما حمية الاوغاد . قال ان يعدوا التواهب ذلا .

قال الجاحظ واذا قالوا سيد معمم فانما يريدون انكل جناية يجتنيها الجانى فى تلك العشيرة فهى معصوبة برأسه . انشد دريد بن الصمة .

ابلغ نعيما واوفى ان لقيتهما * ان لم يكن كان فى سمعيهما صمم
فلا يزال شهابا يستضاء به * يهدى المقانب مالم تهلك الصمم
عارى الاشاجع معصوب بلمته * امر الزعامة فى عرنينه شمم

« وقال الكنانى »

تخبتها للنسل وهى غريبة * فجاءت به كالبدر خرقا معمما
فلو شاتم الفتيان فى الحى ظالما * لما وجدوا غير التكذب مشتما

ولذلك قيل لسعيد بن العاصى ذو العصابة . وقد قال القائل .

كعاب ابوها ذو العصابة وابنه * وعثمان ما اكفاؤها بكثير

وقيل لاعرابى انك لتكثر لبس العمامة . قال ان شيئا فيه السمع والبصر لجدير ان يوقى من القر . وذكرت العمامة عند ابى الاسود الدوئلى . فقال جنة فى الحرب . ومكنة من الحر . ومدفأة من القر . ووقار فى الندى . وواقية من الاحداث . وزيادة فى القامة . وهى تعد عادة من عادات العرب . قال عمرو بن امرئ القيس .

يامال والسيد المعمم قد * يبطره بعد رأيه السرف
نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأى مختلف

وكان من عادة فرسان العرب فى المواسم والجموع وفى اسواق العرب كايام عكاظ وذى المجاز وما اشبه ذلك التقنع الا ماكان من ابى سليط

طريف بن تميم احد بني عمرو بن جندب فانه كان لايتقنع ولا يبالي ان يثبت عينه جميع فرسان العرب . وكانوا يكرهون ان يعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم هم غيرهم . فكان هذا من شأنهم . وربما مع ذلك اعلم الفارس منهم نفسه بسيماء . كان حمزة يوم بدر معلماً بريشة نعامة حمرآء . وكان الزبير معلماً بعمامة صفرآء . ولذلك قال درهم بن زيد .

انك لاق غدا غواة بني الـ * ـملكاء فانظر ماانت من دهف
يمشون في البيض والدروع كما * تمشي جمال مصاعب قطف
فابد سيماك يعرفوك كما * يبدون سيماهم فتعترف

« وقال آخر »

اذا المرء اثرى ثم قال لقومه * انا السيد المفضى اليه المعمم
ولم يعطهم شيئاً ابوا ان يسودهم * وهان عليهم زعمه وهو الوم

« وقال آخر »

اذا كشف اليوم العماس من استه * فلا يرتدي مثلي ولا يتعمم

قالوا وكان مصعب بن الزبير يتعمم العقدآء وهو ان يعقد العمامة في القفاء وكان منهم من يعتم الميلاء . قال الفرزدق في محمد بن سعد ابن ابي وقاص

ولو شهد الخيل ابن سعد لقنعوا * عمامته الميلاء عضباً مهندا

« وقال سحلة بن اخضر الضبي »

جلبنا الخيـل من اطراف فلج * ترى فيها من الغزو اقورارا

بكل طمرة وبكل طرف * يزين سواد مقلته العذارا
حوالى عاصب بالتاج منا * جبين اغر يستلب الدوارا
رئيس ماينازعه رئيس * سوى ضرب القداح اذا استشارا

« وانشد »

اذا لبسوا عمائمهم طووها * على كرم وان سفروا انارو ا
يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار
اذا ماكنت جارنى لوى * فانت لاكرم الثقلين جار

وربما جعلوا العمامة لوآء الا ترى ان الاحنف بن قيس يوم مسعود ابن عمر حين عقد لعبس بن طلق اللوآء انما نزع عمامته من رأسه فعقدها له . وعلى ذلك قول زيد بن كثوة العنبرى .

منعت من العهار اطهار امه * وبعض الرجال المدعين زناء
فجائت به عبل القوام كأنما * عمامته فوق الرجال لوآء

وربما شدوا بالعمائم اوساطهم عند الجهدة واذا طالت العقبة . ولذلك قال شاعرهم .

فسيروا فقد جن الظلام عليكم * فبأست الذى يرحو القرى عند عاصم
دفعنا اليه وهو كالذيخ حاظياً * نشد على اكبادنا بالعمائم

« وقال الفرزدق »

بنى عاصم ان تلحبوها فانكم * ملاحى للسوآت دسم العمائم

« وقال آخر »

خليلى شدالى بفضل عمامتى * على كبد لم يبق الا صميمها

وقد ورد فى العمامة شعر كثير . وفى العمامة الكور والجمع اكوار وهى الطرائق التى يعصب بها الرأس . ولاثها ادارها حول رأسه والصوقعة مدخل الرأس فى العمامة . والذوابة ماارسل منها على الظهر والقفدة اعلى العمامة . واعتم القفدآء كفها على رأسه ولم يسدلها . واعتم عمة عجرآء اى ضخمة . وتلحاها ادار دوراً منها تحت الذقن وهو المأمور به . واقتعطها لاثها على رأسه ولم يدرها تحت الحنك وهو المنهى عنه . فاذا ادارها على بعض فمه فذلك اللثام . واذا ادارها على فمه فهو اللفام . فان بلغ بها اصل فمه فذلك النقاب . فاذا لم يظهر منه الا العينان فهو الاحتجار والتوصيص .

(ماورد عنهم من الشعر فى النعال)

العرب لم تزل تلهج بذكر النعال والفرس تلهج بذكر الخفاف . وفى الحديث المأثور ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر . ويقولون هو من زينة نساء آل فرعون . واما قول شاعرهم .

اذا اخضرت نعال بنى غراب * بغوا ووجدتهم اسرى لئاما

فلم يرد صفة النعل وانما اراد بانهم اذا اخضرت الارض واخصبوا طغوا وبغوا كما قال الآخر .

واطول فى دار الحفاظ اقامة * واوزن احلاما اذا النعل اخضلا

« ومثله قوله »

يا ابن هشام اهلك الناس اللبن * فكلهم يسعى بسيف وقرن

« واما قول الاخر »

وكيف ارجى ان اسود عشيرتى * وامى من سلمى ابوها وخالها
رأيتكم سوداً جعاداً ومالك * مخصرة بيض سباط نعالها

فلم يذهب الى مديح النعال فى انفسها . وانما ذهب الى سياطة ارجلهم واقدامهم ونفى الجعودة والقصر عنهم . وقال النابغة .

رقاق النعال طيب حجزاتهم * يحيون بالريحان يوم السباسب
يصونون اجساداً قديماً نعيمها * بخالصة الاردان خضر المناكب

وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ولم تلبس نعلاً قط اذا نقبت . وقد قال قائلهم .

ونلقى النعال اذا نقبت * ولا نستعين باخلاقها
ونحن الذؤابة من وائل * الينا تمد باعناقها

وهم رهط خالد بن معمر . الذى يقول فيه شاعرهم .

معاوى آمر خالد بن معمر * فانك لولا خالد لم تؤمر

« وقائلهم يقول »

اغاضبة عمرو بن شيبان ان رأت * عديدين من جرثومة ودخيس
فلو شاء ربى كان اير ابيكم * طويلا كاير الحارث بن سدوس

« واما قول الاخر »

يا ليت لى نعلين من جلد الضبع * وشركا من استها لا تنقطع
* كل الحذآء يحتذى الحافى الوقع *

فهذا كلام محتاج والمحتاج يتجوز . وقال النجاشى لهند بن عاصم .

اذا الله حيا صالحاً من عباده * كريماً فحيا الله هند بن عاصم
وكل سلولىّ اذا ما لقيته * سريع الى داعى الندى والمكارم
لا يأكل الكلب السروق نعالهم * ولا تنتقى المخ الذى فى الجماجم

قال يونس كانوا لا يأكلون الادمغة ولا ينتعلون الا بالسبت . وقال كثير

اذا نبذت لم تطب الكلب ريحها * وان وضعت فى مجلس القوم شمت

« وقال قتيبة بن الحارث »

الى معشر لا يخصفون نعالهم * ولا يلبسون السبت مالم يخصر

وقال الاحنف استجيدوا النعال . فانها خلاخل الرجال . واذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل ان يمدحها . ومعنى قول قائلهم .

قام بناتى بالنعال حواسرا * والصقن وقع السبت تحت القلائد

ان النساء ذوات المصائب اذا قمن فى المناحاة كن يضربن صدورهن بالنعال . وقال خلف الاحمر .

سقى حجاجنا نوء الثريا * على ماكان من مطل وبخل
هم جمعوا النعال فاحرزوها * وسدوا دونها بابا بقفل
اذا اهديت فاكهة وشاة * وعشر دجائج بعثوا بنعل

ومسواكين طولهما ذراع * وعشر من ردى المقل خشل
فان اهديت ذاك لتحملونى * على نعل فدق الله رجلى

« وقال كثير »

كان ابن ليلى حين يبدو فتنجلى * سجوف الخباء عن مهيب مشمت
مقارب خطو لايغير نعله * رهيف الشراك سهلة المتسمت
اذا طرحت لم تطب الكلب ريحها * وان وضعت فى مجلس القوم شمت

« وقال بشار »

اذا وضعت فى مجلس القوم نعلها * تضوع مسكا ما اصابت وعنبرا

ولما قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان فى المنذر الجارود ماقال . قال صعصعة ياامير المؤمنين لئن قلت ذاك انه لنظار فى عطفيه . تفال فى شراكيه . تعجبه حمرة برديه . وذم رجل ابن التوأم فقال رأيته مشحم النعل . درن الحورب . مغضن الخف . دقيق الجرمان . وقال الهيثم يمين لايحلف بها الا الاعرابى ان يقول لااورد الله لك صادراً . ولا اصدر لك وارداً . ولا حططت رحالك . ولا خلعت نعلك . وقال آخر .

علق الفؤاد بريق الجهل * وابر واستعصى على الاهل
وصبا وقد شابت مفارقه * سفهاً وكيف اصابة الكهل
ادركت معتصرى وادركنى * حلمى ويسر قائدى نعلى

« وقال آخر »

كم ارى من مستجب من نعال * ورضائى منها بلبس البوالى
كل جرداء قد تحيفها الخصف * باقطارها بسرو النعال
لا تدانى وليس تشبه فى الحلقة * ان ابرزت نعال الموالى
لا ولا عن تقادم العهد منها * مليت لا ولا لكر الليالى
ولقد قلت حين اوثر ذا الود * عليها بثروتى وبمالى
من يغالى من الرجال بنعل * فسوائى اذن بهن يغالى
او يغالين للجمال فانى * فى سواهن زينتى وجمالى
فى اخائى وفى وفائى ورأيى * وعفافى ومنطقى وفعالى
ما وقانى الحفا وبلغنى الحا * جة منها فاننى لا ابالى

وشعر العرب المشعر بانسهم للنعال وايثارهم لها على غيرها مما يلبس بالارجل لا يمكن استيعابه فى مثل هذا المقام . وما ذكرناه واف بالمقصود

(ومنها الفلاحة)

وهى من اسباب معائش العرب العامة لاسيما سكنة اليمن والبحرين وعمان وهجر وغالب بلاد نجد . فسكنة هذه البلاد كلها غالب معائشهم من الحرث والغرس . ولهم فى غرس النخيل اهتمام واى اهتمام وما ورد عنهم فى شأنه كلام طويل . ومعرفتهم بشؤنه كمعرفتهم بالخيل . وحيث ان ارضهم وبلادهم صالحة لانبات اكثر نبات العالم وشجر الدنيا . اتسع نطاق معارفهم فى هذه الصناعة . ومن تتبع الكتب المؤلفة فى النبات والشجر لاسيما كتاب ابى حنيفة الدينورى اعترف

بما ذكرناه مع مافى لقتهم من الشهود العدول عليه. وغالب من تعاطى
هذه الصناعة سكنة البوادى منهم . وبين السبب فى ذلك ابن خلدون
فقال اعلم ان اختلاف الاجيال فى احوالهم . انما هو باختلاف نحلتهم
من المعاش فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله . والابتداء بما
هو ضرورى منه . ونشيط قبل الحاجى والكمالى . فمنهم من يستعمل
الفلح من الغراسة والزراعة . ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان
من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود . لنتاجها واستخراج فضلاتها
وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد
الى البدو لانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح
للحيوان وغير ذلك . فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امراً ضروريا
لهم . وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم فى حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم
من القوت والكن والدفء انما هو بالمقدار الذى يحفظ الحيوة ويحصل
بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك. ثم اخذ بذكر اسباب
الحضارة وموجباتها . والحاصل ان ماذكرناه غالب مدار معائش
العرب . وما يقوم بدفع ضرورياتهم . وما تمس اليه حوائجهم .
ولهم اسباب اخر كالغوص على اللؤلؤ . والى اليوم سكنة البحرين
وهجر وغير ذلك من سكنة السواحل يعتاشون عليه . والبحث
على اللؤلؤ والاصداف وكيفية صيده وما ورد عن العرب
فى ذلك مما لا يسعه المقام . ومنهم من كان يعيش على صيد البر والبحر .

ولهم فيه مذاهب وعوائد مفصلة فى كتب الحديث . ومنهم من كان يعتاش بالمواشى والانعام كالغنم والبقر والابل . ولهم فى القيام عليها وتربيتها قدم راسخة وعلم واسع

(مااوجب تقدم العرب)

من وقف على احوال العرب وتصفح كتب اخبارهم وعرف شؤنهم على احتلاف طبقاتهم وازمانهم . تبين له ان العرب امة قديمة مضى عليها امد طويل . واتى عليها حين من الدهر لايعلم له مبدأ معين . وهم فى كل ذلك مابين ارتفاع وانحطاط . وترق وهبوط . وائتلاف واختلاف . وسعادة وشقاء . وعز وذل . وعسر ويسر . ومن استقرآء احوالهم تبين ان مدار تقدمهم وارتقائهم على منصة السودد وذروة العز امور (منها العلم) فان العلم على اختلاف فنونه . وتشعب غصونه . من اعظم اسباب سعادة الانسان . وهو نور محض به يهتدى اولو البصائر والعرفان . ولا نعنى به الا العلم النافع الدافع لحاجات النوع الانسانى وضرورياته فدخل فيه جميع العلوم العقلية والنقلية . الفرعية منها والاصلية . واما الجهل فهو اساس كل بلاء . واصل كل جهد وعناء . فلذا ترى كل امة استنارت عقولها بالعلم . وتحلت بحلى الفضل . لم تزل تتدرج فى مدارج الارتقاء . وتتلألأ منها انوار الهداية لسلوك سوآء السبيل . وكل امة امتد عليها رواق ظلام الجهل . واستحكم فيها دآء الغباوة انسدت عيون بصائرها . وفسدت

نتائج افكارها . فضلت عن سلوك الجادة . وحرمت من اجتناء ثمار السعادة. واتصفت بالصفات الذميمة. وتخلقت بالاخلاق الغير المستقيمة. وتاهت فى بيدآء الحرمان . وجاءها موج البلاء من كل مكان . فبالعلم النافع تكون الثروة . وبالعلم تهذب الاخلاق . وبالعلم يسود الذليل . وبالعلم ينتصر على العدو . وبالعلم يقهر الخصم الالد . وبالعلم تفك اغلال الاعناق من اسر التقليد . وبالعلم تدرك الامانى وينال كل مقصد بعيد . ومن باد من العرب وهلك انما كان من الجهل بعد العلم والغى بعد الهدى . الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد . وهكذا من بقى منهم انما تفرق جمعهم. وتشتت شملهم. وادركهم الذل والهوان. والفقر والخسران . بعد ان ضاقت عنهم الحزون والسهول . ودوخوا البلاد والاقطار بسيوف لم يصبها فلول . لما خيم عليهم غمام الجهل . وعصفت عليهم عواصف الغواية واتباع الاهوآء . كما هو مفصل فى كتب التفسير والحديث. هؤلاء اولاد اسمعيل عليه السلام ولا سيما قريش منهم انما كانوا من العز بمكان مكين . ومن السودد بحصن حصين. بسبب ما كان لهم من العلم اوفر نصيب . فاززن منه بالقدح المعلى والرقيب . فذلت لهم يومئذ القبائل . ودانت لهم البلاد . فلم يكن

دونها حائل . وبذلك سموا قريشاً كما قال الشاعر .

وقريش هى التى تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا * تترك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا فى البلاد حى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا

ولم يزالوا على عزهم ومجدهم واقبالهم وشرفهم الى ان تناقص منهم العلم وتقلص عنهم ظل المعارف والفضائل . وذلك قبيل الاسلام بنحو ثلاثمائة سنة . وهو المعنى بزمن الجاهلية على قول منصور . فحينئذ شاع فيهم الجهل . واختلت منهم الاحوال . وفسد منهم اكثر الخلق المحمود . وارتفعت منهم البركات . وفشى فيهم المنكر . وتقاعدت منهم الهمم . وفترت منهم العزائم . وتفرق منهم الشمل . وكثرت فيهم البدع والاهوآء . الى ان اشرقت عليهم انوار بدر الاسلام وبعث الله تعالى من انفسهم رسولاً مويداً بالآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة مكرما بطهارة الاعراق مشرفا بما جبل عليه من مكارم الاخلاق التى نقض بها عوائد الفطر وباين لها جميع البشر . من فروسيته وشجاعته وبأسه ونجدته وعزمه وهمته وعلمه وحلمه وزهده وعبادته ورضاه وصبره وحمده وشكره وذكره وفكره واعتباره وتبصره وخوفه وخشوعه وتواضعه وخضوعه وكرم آبائه وجدوده وسخائه وجوده وفصاحته وصدق لهجته ورعايته العهد ووفائه بالوعد وامانته وشفقته وحسن خلقه وخلقه

وحيائه ولينه وثقته ويقينه وعفوه ورحمته وصفحه ورأفته الى غير ذلك من الصفات الحميدة والشمائل السديدة . فوجدهم اذذاك مابين عابد اوثان . ومستمر على ايقاد النيران . وجاهد فى تخريب البلاد . وتعذيب العباد . وجاثم على السجود للشجر . والخضوع للحجر . الى غير ذلك من الضلال والمنكر . هذا مع ماكانوا عليه من الاستعداد . والقابلية لقبول الخير . ورجاحة الاحلام . وصحة العقول . فجد حينئذ بدعائهم الى مافيه سعادتهم. وكابد ما كابد فى تغيير عوائدهم. لاسيما قومه وعشيرته . فقد نال منهم ماتشيب منه النواصى. وتنهد له الصياصى . فان العرب ولا سيما قريشاً كما وصفهم الكتاب الكريم . كانوا من الدهاء واللدد عند الخصومة وخلابة الالسنة وبلاغة المنطق . والتمسك بما الفوه من العوائد على جانب عظيم . الى ان جمعهم على كلمة الايمان وعلمهم من المعارف والكمالات مافيه سعادتهم دنياً واخرى . ومرنهم على محاسن الاخلاق . وحثهم على السعى والتكسب. واصلح لهم ماافسدوه وجددلهم مابدلوه وغيروه. حتى نبعت من قلوبهم ينابيع الحكم الجمة . والمعارف النورانية . وفاضت على الصدور والالسنة . وامتلأ منها الكتب والدفاتر . واصبحوا اعلم من فى الارض . فما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الاوكان لهم به علم ومعرفة . وبذلك تقدموا يومئذ ذلك التقدم الذى بهر العقول . واستولوا على غالب اقطار المعمورة

وجلوا عن القلوب ظلماتها . واشادوا الدين الحق على امتن اساس وانقذوا العالم من لجج الفساد .

(ومن اسباب تقدمهم اتفاق كلمتهم)

من المعلوم الذى لايستراب فيه ان القوم متى اتفقت اراؤهم . واجتمعت كلمتهم . صاروا يداً واحدةً على من سواهم وانتصروا على عدوهم . وتشيد بنيان مجدهم وهابهم من سواهم . وكان العرب ايام جاهليتهم لاتجمعهم كلمة . ولا ينظمهم سلك نظام . وعادى بعضهم بعضا . وانتشرت بينهم الحروب والمنازعات . كما اخبرت بذلك كتب ايامهم فلذلك فشى فيهم يومئذ الذل والصغار . وعمهم الهوان الى ان اخذت العناية الالهية بايديهم من ذلك العناء وجمع شملهم بكلمة الحق . واوجب عليهم الدين المبين الاعتصام بحبل الله وان لايتفرقوا وامرهم ان يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . وكالجسد الواحد اذا شكا عضو منه شكا جميعه . وكان بين الاوس والخزرج حروب ايام الجاهلية تطاولت نحو مائة وعشرين سنة حتى قارب ان يفنى الحيان . فلما جاءهم الاسلام وتشرفوا به ارتفعت الشحناء من بينهم واصبحوا يداً واحدةً على من سواهم . وذلك قوله عز اسمه . ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار

فانقذكم منها . كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون . فلما الف الله تعالى كلمة العرب على الاسلام وتوجهوا لطلب مافى ايدى الامم من الملك لم يكن دونه حمى ولا وزر . فكان لهم من الملك الواسع ماهو معلوم لمتتبعى كتب الاخبار . فلذلك كان خطباؤهم وحكماؤهم ينادون عليهم بالالفة ويحذرونهم من التفرق واختلاف الكلمة . وينذرونهم بما يستتبع ذلك من العواقب الوخيمة والنتائج الفاسدة . وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب مادل على ذلك من شعرهم وخطبهم ووصاياهم مافيه الكفاية .

(ومنها العدل)

العدل اذا كان شاملا فهو احد قواعد الدنيا التى لاانتظام لها الا به ولا صلاح فيها الامعه وهو الداعى الى الالفة والباعث على الطاعة وبه تتعمر البلاد وبه تنمى الاموال ومعه يكثر النسل وبه يأمن السلطان. وليس شئ اسرع فى خراب الارض ولا افسد لضمائر الخلق من الجور . لانه ليس يقف على حد ولا ينتهى الى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل . والعرب لما استناروا بنور الدين المبين وجمعت متبدد شملهم كلمة الحق ودان لهم من دان من الامم . شملوا الناس بالعدل فى احكامهم. اذ كان من اهم مقاصد الشريعة الغراء واعظم مطالبها واجل قضاياها . وبذلك نطقت آيات التنزيل . منها ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس

ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا .
وفي الحديث بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد . الى غير ذلك
من النصوص التى يضيق عنها المجال . ومن وقف على سير الخلفاء
الراشدين وغيرهم من امراء العدل من العرب تبين له ان ما كان
من استقامة ملكهم واتساعه انما هو بالعدل الشامل ووضع الامور
في مواضعها « والعدل باب واسع » يجرى في امور كثيرة ومرجعه الى
عدل الانسان في نفسه ثم عدله في غيره . فاما عدله في نفسه فيكون
بحملها على المصالح وكفها عن القبائح . ثم بالوقوف في احوالها على
اعدل الامرين من تجاوز او تقصير . فان التجاوز فيها جور والتقصير
فيها ظلم . ومن ظلم نفسه فهو لغيره اظلم . ومن جار عليها فهو على
غيره اجور . واما عدله في غيره فهو على اقسام . منها عدل الانسان
فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته ويدخل فيه الرجل
مع اهل بيته والاستاذ مع تلامذته والسيد مع خدامه وارقائه . ففى
الحديث كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته . والعدل ههنا يكون باتباع
الميسور وحذف المعسور وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في الميسور .
فان اتباع الميسور ادوم وحذف المعسور اسلم وترك التسلط اعطف
على المحبة وابتغاء الحق ابعث على النصرة . وهذه امور ان لم تسلم
للزعيم المدبر كان الفساد بنظره اكثر . والاختلاف بتدبيره اظهر .
وفي الحديث اشد الناس عذابا يوم القيمة من اشركه الله في سلطانه فجار

فى حكمه . وعن بعضهم ليس للجائر جار . ولا تعمر له دار . وعن آخر اقرب الاشياء صرعة الظلوم . وانفذ السهام دعوة المظلوم . ومنها عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها . والصحابة مع رئيسها . وعائلة الرجل معه وغير ذلك . فقد يكون باخلاص الطاعة وبذل النصرة . وصدق الولاء . فان اخلاص الطاعة اجمع للشمل وبذل النصرة ادفع للوهن . وصدق الولاء انفى لسوء الظن . وهذه امور ان لم تجتمع فى المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه . واضطر الى اتقاء من يتقى به قال البحترى .

متى احوجت ذا كرم تخطى * اليك ببعض اخلاق اللئام

وفى استمرار هذا حل نظام جامع وفساد صلاح شامل . قال بعض الاكابر اطع من فوقك يطعك من دونك . ومنها عدل الانسان مع اكفائه وذلك بترك الاستطالة ومجانبة الادلال وكف الاذى . لان ترك الاستطالة آلف ومجانبة الادلال اعطف وكف الاذى انصف . وهذه امور ان لم تخلص فى الاكفاء اسرع فيهم تقاطع الاعداء ففسدوا وافسدوا . وهذا كلام اجمالى على العدل واقسامه والمتكفل بتفصيله واستيعاب جزئياته كتب الشريعة . والمقصود هنا بيان ان من جملة ما اوجب تقدم العرب بعد انحطاطهم لزومهم جادة العدالة والانحياد عن مسالك الظلم والبغى والعدوان . وقد تنبه بعض اكابرهم ايام الجاهلية لما يترتب على العدل من المصالح فتعاهدوا بينهم على مجانبة

الظلم والمباعدة عن الجور وترك البغي على الناس فعقدوا حلف الفضول وغيره في مكة على ماسبق بيانه او آتي الكتاب . وقد اعرضت عن ذكر امور اخر اوجبت تقدمهم فانها تترتب على ماذكر من الاصول الثلاثة التي هي منشأ كل خير وبالله التوفيق .

(سكنة البوادي من العرب وما امتازوا به عن الحضريين)

البادية هي الارض التي ليس فيها بناء من دور وقصور وغير ذلك . وهي البدو ايضاً والنسبة اليه بدوي . وفي الحديث من بدا جفا اي من نزل البادية صار فيه جفاء الاعراب . والبداوة الاقامة بالبادية وهو خلاف الحضارة . والمبدى خلاف المحضر . ولما كان سكنى البادية تقتضي صيانة العز والشرف رجحها غالب العرب على الحضر وكثر حنينهم اليها وذكر وحشها وطيرها ورياضها ونبتها وشجرها واغوارها وانجادها ورياحها ومياهها . ولا زالوا يفخرون في شعرهم بسكناها قال القطامي .

ومن تكن الحضارة اعجبته * فاي رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فان فينا * قنا سلبا وافراسا حسانا
وكن اذا اغرن على جناب * واعوزهن نهب حيث كانا
اغرن من الضباب على حلول * وضبة انه من حان حانا
واحيانا على بكر اخينا * اذا مالم نجد الا اخانا

وقال آخر من قصيدة يمدح بها قوما من سكنة البادية .

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز فى الحضر

« وقال آخر »

هذا ابو الصقر فرداً فى محاسنه * من نسل شيبان بين الضال والسلم

وروى ان ميسون بنت بجدل لما اتصلت بمعاوية ونقلها من البدو الى الشام . وكانت تكثر الحنين الى اناسها . والتذكر لمسقط رأسها . فاستمع عليها ذات يوم وهى تنشد هذه الابيات .

لبيت تخفق الارواح فيه * احب الىّ من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عينى * احب الى من لبس الشفوف

واكل كسيرة فى كسر بيتى * احب الىّ من اكل الرغيف

واصوات الرياح بكل فج * احب الىّ من نقر الدفوف

وكلب ينبح الطراق دونى * احب الىّ من قط الوف

وبكر يتبع الاظعان صعب * احب الىّ من بغل زفوف

وخرق من بنى عمى نحيف * احب الىّ من علج عنيف

فلما سمع معاوية الابيات قال لها مارضيت ابنة بجدل حتى جعلتنى علجاً عنيفاً . وهذا من حنين اهل البادية اليها والتبرية من الحضر . وذكر الراغب ان امرأة ضبية تسمى حسانة قعدت على بركة فى روضة بين الرياحين والازهار فى الطف وقت . فقيل لها كيف حالك هنا اليس هذا اطيب مما كنت فيه بالبادية فاطرقت ساعة ثم تنفست وقالت .

اقول لادنى صاحبى اسره * وللعين دمع يحدر الكحل ساكبه

لعمرى لنهر باللوى نازح القذى * بعيد النواحى غير طرق مشاربه
احب الينا من صهاريج ملئت * للعب ولم تملح لدى ملاعبه
فياحبذا نجد وطيب ترابه * اذا هضبته بالعشى هواضبه
وريح صبا نجد اذا ماتنسمت * ضحى اوسرت جنح الظلام جنائبه
واقسم لاانساه مامت حية * وما دام ليل من نهار يعاقبه
ولا زال هذا القطر يسفر لوعة * بذكراه حتى يترك الماء شاربه

وقال آخر وقد تذكر بعض اودية البوادى فصبا اليه .

وحبذا حين تمسى الريح باردة * وادى اشي وفتيان به هضم
ياليت شعرى عن جنبي مكسحة * وحيث تبنى من الحناءة الاطم
عن الاشاءة هل زالت مخارمها * وهل تغير من ارامها ارم
وجنة مايذم الدهر حاضرها * جبارها بالندى والحمل محتزم

وقال اعرابى انتقل من البداوة الى الحضارة فرأى المكاء وهو طائر يرى فى الحضر وكان قدعهده يفرخ على شجر الآلاء والارطى . فقال لهذا الطائر فارق هذا المكان فانه ليس لك فيه الشجر الذى تمشش عليه . واشفق من ان تمرض كما مرضت وذلك معنى قوله .

الا ايها المكاء مالك ههنا * آلاء ولا ارطى فاين تبيض
فاصعد الى ارض المكاكى واجتنب * قرى المصر لاتصبح وانت مريض

وقال عبد لبنى قريظ يقال له مطير اشتاق الى ارضه .

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * وصدآء منى واليباض بعيد

بواد من العباء اعلاه عوسج * واسفله رمث عليه جهيد
وهل اسمعن الدهر اصوات قتية * بذى الهوزرى من ناشئ ووليد

« وقال آخر »

اياجبلى غورى تهامة كلما * تطالات نجدا اشرقت لى ذراكما
عدمتكما الا يونس الناظر الذى * به الشوق شيئاً دونه قلتاكما
اصابكما من حب نجد حرارة * وغل فلا يروى بماء صداكما

« وقال قائد بن حكيم متشوقا الى ارضه »

متى العيس من مصر بنا رافعاتنا * الى نجد اوباد لعينى قلالها
ومزج اليها الطرف حتى يرده * قتوس القرى فى البعد يخفق آلها
على متن عادى كأن اماره * رجال تنادى افلتها جمالها

« وقال »

خليلى ان حانت بمصر منيتى * وازمعتما ان تحفرالى بها قبرا
فلا تنسيا ان تقرآ لى على الغضا * ونجد سلاما لا قليلا ولا نزرا
وان سرت ياسجان ربى بالغضا * اوالمرت من نجد مخيسة صعرا

« وقال آخر »

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بصحرآء ما بين الجثوم الى شعر
وهل اردن العين والشمل جامع * مقيم النوى قد حان ذاك على قدرى
وهل ارين الرمل ياام خالد * رميث اللوى من قصد مطلع الفجر
فكيف ولم اصبح احدث فتية * كرام المساعى من ربيعة اووبر

حمي سربهم في كل يوم كريهة * مصاعيب امثال المعبدة الزهر

« وقال آخر »

الا يادبار الحي والحي جيرة * بحيث تهنت في العروق جبوبها
سقتك نجاء من ربيع تتابعت * عليك وهبت غير نحس جنوبها
الا ليت شعري هل يعودن مامضى * لنا فيك ام هل تغفرن ذنوبها

« وقال آخر »

لقد كان بالدهنا حيوة لذيذة * ومحتطب لا يشترى بالدراهم .

وقال صدقة بن نافع العقيلي متشوقا الى دياره وكان بالجزيرة .

ارقت بحران الجزيرة موهنا * لبرق بدا لي ناصب متعال
بدا مثل تلماع الفتاة بكفها * ومن دونه نأى وغبر قلال
فبت كأن العين تكحل فلفلا * وبي عس حمى بين وملال
فهل يرجعن عيش مضى لسبيله * واظلال سدر يانع وسيال
وهل ترجعن ايامنا بمتالع * وشرب باوشال لهن ظلال
وبيض كامثال المها يستبيننا * بقيل وما مع قيلهن فعال

الى غير ذلك من الشعر المشتمل على الحنين الى البادية وما فيها .
والشعراء الاسلاميون سبقوا الجاهليين اذ سلكوا مسلكهم ومناهجهم .
والاموى في نجدياته وعراقياته اتى بما لم يسبق اليه . من ذلك قوله .

واسرى بعيس كالاهلة فوقها * وجوه من الاقمار ابهى وانور
ويجنبني نفح العرار وربما * شممت بسرنبي وقد فاح عنبر

ويخدش غمدي بالحمى صفحة الثرى * اذا جر من اذياله المحضر
فاالعيش الى الضب يحرشه الفتى * وورد بمستن اليرابيع اكدر
بحيث يلف المرء اطناب بيته * على العز والكوم المراسيل تنحر
ويغشى ثراه حين يستتم القرى * ويسمو اليه الطارق المتنور

« وقوله »

خليلي هذا ربع ليلى بذى الغضا * سقى الله ليلى والغضا وسقاكما
وقد كنتما لى مسعدين على البكا * فما لكما لا تسعدان اخاكما
اظل وحيداً لا ارى من احبه * فهل بالحمى لى من خليل سواكما
ولو غاب عنى واحد منكما وهت * قوى الصبر لا اوهى الزمان قواكما
فكيف اذود الهم عنى تجلداً * وقد غبتما عن ارض نجد كلاكما

« وقوله »

بعنشط الشيح من نجد لنا وطن * لم تجر ذكراه الا حن مغترب
اذا رأى الافق بالظلماء معتجراً * امسى وناظره بالدمع منتقب
ونشقة من عرار هز لمته * رويحة فى سراها مسها لغب
تشفى غليلا بصدرى لا يزحزحه * دمع تهيب به الاشواق منسكب

« وقوله »

ونفحة من ربى ذى الاثل قابلنى * بها نسيم يزيد القلب احزانا
ولم يطب تربها من روضة انف * فهاج رياه اطرابا واشجانا
لكن دنا الاثل طاب الواديان به * حيث الرباب تجر الذيل احيانا

ولم يكن لى أكناف الحمى وطناً * ولا الفوارس من نبهان جيرانا

الى غير ذلك مما يطول ذكره . وقد اطنب المسعودى فى اختيار العرب سكنى البوادى وسببه «وهذا ملخص ماذكره» قال ورأت العرب ان جولان الارض وتخير بقاعها على الايام اشبه بالعز والبق بذى الانفة. وقالوا نكون محكمين فى الارض نسكن حيث نشاء اصلح من غيره . قال وذكر آخرون ان القدماء من العرب لما زكيهم الله من سمو الاخطار. ونيل الهمم والاقدار . وشدة الانفة والحمية من المعرة والهرب من العار . بدأت التفكر فى المنازل والتقدير للمواطن فتأملوا شأن المدن والابنية فوجدوا فيها معرة ونقصا . ومنهم من قال ان الارضين تمرض كما تمرض الاجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب احوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى فاضر باجسام سكانه. واحال امزجة قطانه . ومنهم من قال ان الابنية والتحويط حصر عن التصرف فى الارض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف. ولا خير فى اللبث على هذه الحالة. وقالوا ان الابنية والاظلال تحصر الغذآء . وتمنع اتساع الهوآء . وتسد سروحه عن المرور . وقذاه عن السلوك . فسكنوا البر الافيح الذى لا يخافون فيه من حصر . ولا من منازلة ضر . هذا مع ارتفاع الاقذآء . وسماحة الاهوآء . واعتزال الوباء . وتهذيب الاحلام فى هذه المواطن . ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن . وصحة الامزجة

وقوة الفطنة. وصفاء الالوان. وصيانة الاجسام. فان العقول والاراء. تتولد من حيث تولد الهوآء. وطبع الهوآء الفضاء. وفى هذا امن من العاهات والاسقام. والملل والآلام. فآثرت العرب سكنى البوادى والحلول فى البيدآء. فهم اقوى الناس هما. واشدهم احلاما. واصحهم اجساما. واعزهم جارا. واحماهم ذمارا. وافضلهم جوارا. واجودهم فطنا. لما اكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء. لان الابدان تحتوى اجزاؤها على متكاثف الاكدار. وعناء الاقذار. بما يرتفع اليه ويتلاطم فى عرصاته واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه. ففى اكنافه جميع مايتصعد اليه. وكذلك تراكيب الاقذاء والادواء والعاهات فى اهل المدن وتركبت فى اجسامهم وتضاعفت فى اشعارهم واثارهم. ففضلت العرب على سائر ماعداها من بوادى الامم المعترضة. لما ذكر من تخيرها الاماكن وارتياد المواطن. قال المسعودى وكذلك جانبوا فضاضة الاكراد. وسكان الجبال. من الاجيال الجافية وغيرهم الذين سكنوا خروت الارض ودهاسها وذلك لان هذه الامم الساكنة هذه الجبال والاودية تناسب اخلاقها مساكنها فى انخفاضها وارتفاعها لعدم استقامة الاعتدال فى ارضها. فلذلك كانت اخلاق قطانها على ماهى عليه من الغلظ. وقد وفد على كسرى انوشروان بعض خطباء العرب فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها واختيارها البدو. فقال ايها الملك ملكوا الارض ولم تملكهم

وامنوا من التحصين بالاسوار . واعتمدوا على المرهفات الباتره . والرماح الساحره . فمن ملك قطعة من الارض فكانها كلها له يردون منها خيارها . ويقصدون الطافها . قال فاين حظوظهم من الفلك قال من تحت الفرقدين ورأس المجرة وسعد الجدي . مشرفين على الارض بحسب ذلك . قال فارياحها قال اكثرها النكباء بالليل والصبا عند انقلاب الشمس . قال فكم الرياح قال اربع فاذا انحرفت واحدة منهن قيل نكباء . وما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما بازائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال . وما جاء من وراء الكعبة فهى دبور . وما جاء من قبل ذلك فهى صبا . قال فما اكثر غذائهم قال اللحم واللبن والنبيذ والتمر . قال فما خلائقهم قال العز والشرف والمكارم وقرى الضيف واذمار الجار واجارة الخائف واداء الحمالات . وبذل المهج فى المكرمات . وهم سراة الليل وليوث القيل . وعمار البر . وانس القفر . الفوا القناعة . وسبقوا الضراعة . لهم الاخذ بالثار . والانفة من العار . والحماية للذمار . قال كسرى لقد وصفت هذا الجيل كرما ونبلا . وما اولانا بانجاح ذلك فيهم . فتخيرت العرب البرارى والمهامه والمصاف . فنهم المنجدو المتهم ممن سكن اغوار الارض كغور بيسان وغور غزة من ارض الشام من بلاد فلسطين والاردن ومن سكنه من لخم وجذام . ولجميع العرب مياه يجتمعون عليها وقطع من الارض يعرجون عليها كالرها والسماوة والتهائم والانجاد

الارض والبقاع والقيعان والوهاد . ولست ترى قبيلا من العرب توغل عن الاماكن المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم كماء ضارج وماء العقيق والسباط وما اشبه ذلك من المياه . وقد استوفاها الزمخشرى وابو لغدة الاصفهانى وغيرهما من الائمة فى كتبهم المشهورة .

(ماامتاز به عرب البوادى عن اهل الحضر)

الفرق بين سكنة البوادى وبين سكان البلاد والقرى مما يظهر لكل احد . وذلك فى الاجسام والحواس الظاهرة والباطنة والصور والاخلاق والقوة والضعف ولهجة اللسان وسماحة اليد والجرأة والشجاعة . وغير ذلك مما يطول ذكره حتى ان من وازن بين نبات البادية ونبات البلد وجد بينهما فرقا من وجوه مختلفة . وكذلك وحشه ودوارجه وطيره وسائر مايكون فى البر فانه يمتاز عما يتكون فى البلد فى الخواص والاوصاف . وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته عدة فصول مشتملة على فروق بين الفريقين « منها » ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية اصل العمران والامصار مدد لها لان البدو هم المقتصرون على الضرورى فى احوالهم العاجزون عما فوقه . وان الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال فى احوالهم وعوائدهم . ولا شك ان الضرورى اقدم من الحاجى والكمالى وسابق عليه . ولان الضرورى اصل والكمالى فرع ناشئ عنه فالبدو اصل للمدن والحضر وسابق عليهما لان اول مطالب الانسان

الضرورى ولا ينتهى الى الكمال والترف الا اذا كان الضرورى حاصلا فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة . واطال الكلام فى بيان ذلك « ومنها » ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر . وذلك لان النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول مايرد عليها وينطبع فيها من خير اوشر . وبقدر ماسبق اليها من احد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقت الى نفسه عوائد الخير وحصات له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه . وكذا صاحب الشر اذا سبقت اليه ايضاً عوائده « ومنها » ان اهل البدو اقرب للشجاعة من اهل الحضر وذلك لان اهل الحضر القوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة وانغمسوا فى النعيم والترف ووكلوا امرهم فى المدافعة عن اموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذى يسوسهم . والحامية التى تولت حراستهم . واستناموا الى الاسوار التى تحوطهم والحرز الذى يحول دونهم . فلا تهيجهم هيعة ولا ينفر لهم صيدفهم غارون آمنون قدالقوا السلاح . وتوالت على ذلك منهم الاجيال . وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على ابى مثواهم حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة . واهل البدو لتفردهم عن المجتمع وتوحشهم فى الضواحى وبعدهم عن الحامية وانتباذهم عن الاسوار والابواب . قائمون بالمدافعة عن انفسهم لايكلونها الى سواهم ولايثقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون

السلاح ويتلفتون عن كل جانب فى الطرق . ويتجافون عن الهجوع الاغراراً فى المجالس وعلى الرحال وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبات والهيعات ويتفردون فى القفر والبيداء مدلين بباسهم واثقين بانفسهم قدصار لهم الباس خلقا والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داع اواستنفرهم صارخ . واهل الحضر متى خالطوهم فى البادية اوصاحبوهم فى السفر فهم عيال عليهم لايملكون عليهم شيئاً من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى فى معرفة النواحى والجهات وموارد المياه ومشارع السبل « ومنها » ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم . وان الحضر لايمكنه سكنى البدو بل لايمكن ان يسكنه الا القبائل . وان الصريح من النسب انما يوجد لاهل البادية من العرب لااهل الحضر منهم . وان اهل البادية اقدر على التغلب ممن سواهم. وان الامة اذا كانت بدوية وحشية كان ملكها اوسع . وان اهل البادية من العرب لايتغلبون الا على البسائط . وان البدويين اذا تغلبوا على الاوطان اسرع اليها الخراب بخلاف اهل الحضر . وان اهل البادية من العرب ابعد الامم عن سياسة الملك . وان اهل البادية من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار. وان اهل البادية قاصرون عن سكنى المصر الكثير العمران. وقد اطنب فى الكلام على بيان اسباب هذه الفروق مما لاحاجة الى نقله . ومن امعن النظر ودقق فى احوال الفريقين ظهر له فروق

اخر . وسبحان من ميز كل قوم بخصائص لا توجد فى غيرهم . وصفات لاتتعداهم الى من سواهم . ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين .

(خاتمة الكتاب)

هذا آخر مايسره ولى التوفيق والانعام . من بيان ماكان عليه العرب قبل الاسلام . وقد جاء بحمد الله تعالى بهجة للناظرين . ونزهة للقارئين . بيد ان ماوردته فى كل باب . درة من عقد نحر وقطرة من بحر عباب . فان احوال طبقة واحدة من طبقات اولئك الاخيار . لايقوم باستيعابها عدة اسفار . ولو سلك القلم سبيل الاختصار . وعسى الله تعالى ان يقيض لانجاز هذا المرام . بعض ذوى الهمم العلية من ائمة الادب الاعلام . فقد سهل الطريق . على من ساعده التوفيق . فالعرب ممن ينبغى الاعتناء بذكرهم . ويفحص عن طيب خبرهم . فهم اهل المآثر . واصل الفضائل والمفاخر . بمزاياهم تزينت صفحات الطروس . وبحميد سجاياهم تبسم وجه الدهر العبوس . وسنفرد ان شاء الله تعالى احسن كتاب . يستوعب احوال من بقى اليوم من اولئك القوم الانجاب . وقد انتشروا فى البلاد . وملؤ الاغوار والانجاد . وفيهم مما كان عليه اسلافهم بقايا . وفيهم من هاتيك المكارم والسجايا . ولست اعنى بهم كل من تكلم بلغتهم . اوسكن فى خطتهم واتسم بسمتهم .

فما كل مخضوب البنان بثينة * ولا كل مصقول الحديد يمانى

واسأل الله تعالى الاجر الجزيل . والذكر الجميل . اذا فى الجسم. ونسى منى الاسم. والحمدلله ذى الانعام . فى البدء والختام . وهو الاول بلا عدد والاخر بلا امد. الحكيم بغير توقيف من احد. الذى احسن لما ادب . واجزل لما وهب . حمداً متصل المدد . جاريا على الابد . وصلى الله على النبى الامى .ذى الاصل الزكى. والقلب الذكى. والكف الندى. والزند الورى. ذى الرسالة الصادعة. والمقالة الناصعة. والعترة الصالحة . والاسرة الناصحة . صلوة جامعة بينه وبين آله الطاهرين الابرار . الطيبين الاخيار . وكان الفراغ من تسويده غرة جمادى الآخرة من السنة الرابعة بعد الثلاثمائة والالف من الهجرة ومن طبعه لثمان عشرة ليلة خلت من شعبان من السنة الثامنة عشرة بعد الثلاثمائة والالف. هذا مع كال الاعتناء بتصحيحه . وبذل المجهود فى تنقيحه .

وذلك فى بغداد المحميه فى مطبعة

« دار السلام » المرضيه

وآخر دعوانا ان

الحمد لله رب

العالمين

(وعند ختام الطبع انشد هذه القصيدة الغرآء. والخريدة الحوراء.)
(فريد الذات بين اقرانه. فى ادبه وعرفانه. جناب معروف افندى)
(لازال مصونا من كل مايردى وهى)

بشرى لقد تم مايعلو به الادب * ومنه لامن سواه تبلغ الارب
سفر اذا سافرت عشر العقول الى * ادنى معانيه اعياها به الطلب
حق علينا على لوح كتابته * من فضة صيغ لكن نقسه الذهب
بل نقسه من سواد العين نكتبه * فوق البياض ومنها المزبر الهدب
لله من فقرات ضمنه افتقرت * لها الاعاجم واستغنت بها العرب
كانما الذوق فى الآذان فهو اذا * يتلى يصب على آذاننا الضرب
يفوح من دفتيه نشر معرفة * كأنما هو حق طيبه الادب
يبدى محاسن قوم عز جارهم * وحل فى كل من عاداهم العطب
لايستباح حريم فى مواطنهم * ولا يراع اناس منهم قربوا
هم الاعزآء ماحلوا وما ارتحلوا * فى ساحة الذل لم يضرب لهم طنب
ساؤهم ام كل المكرمات كما * هم فى الخصال لكل المكرمات اب
هم فى المروئة قوم ناشؤن كما * فيهم لها ولهم فيها علا حسب
الثابتو الجاش هم كالراسيات اذا * دارت عليهم رحى الهيجاء ماهربوا
بل هم ثقال اذا لاقوا مصادمهم * وهم خفاف اذا للحادث انتدبوا
والكر والفر شئ ليس يحسنه * قوم سواهم وهم فى كرهم كرب
سل الجياد بذا كم فى الحروب اذا * صالوا على الخصم فى مضمارها غلبوا

فصح اذا نطقوا اسد اذا اقتتلوا * الف اذا حلوا خس اذا حسبوا
لم يخف قرن عليهم في العراك وان * من عثير الخير حالت دونه حجب
كان اسيافهم في الحرب هاوية * على رؤس شياطين العدا شهب
كم مر للطعن يوم في القتال وما * لبوسهم فيه الا الدرع واليلب
سل عنه خرصانهم تنبيك وهي بما * تنبيك تعضدها الهندية القضب
كم اثخنوا الطعن في يوم النزال بها * ومالهم غير ارواح العدا سلب
هم الكرام فلا تعدل بهم احداً * من غيرهم فهو لا نبع ولا غرب
الاذكياء اذا تلقى الرموز لهم * والاسخياء اذا للممتنى وهبوا
كم قام فيهم لفسطاط الندى عمد * به السماح اليهم جاء ينتسب
وكم تسيل عطاياهم اذا انتجعوا * انى تجاريهم في ودلها السحب
وما شكى العدم ذو عسر لموسرهم * ١/١ ركان لديه المال والنشب
يستبشرون اذا ضيف الم بهم * وهم بذلك هم مامرت الحقب
اليس كان قرى الاضياف دينهم * اما الذمار لديهم حفظها يجب
قد احرزوا قصبات السبق اجمعهم * في حلبة الفخر مذ در الملا حلبوا
وما البلاغة الا فيهم بلغت * حد الكمال وعنها زالت الريب
سل الفصاحة هل في غيرهم نشأت * وهل لها في البرايا غيرهم سبب
وسل بذاك عكاظاً فيه كم تليت * اشعارهم فيه كم كانت لهم خطب
يكفيهم شرفا في الفخر انهم * من بينهم خير رسل الله منتخب
هاك الكتاب فطالع كم حوى لهم * من المحامد مايقضى به العجب

كأن اسطر ماتحوى صحايفه * اسلاك تبر عليها اللؤلؤ الرطب
قد طرزته بوشى من محاسنهم * اقلام اعلم من تحدى له النجب
ذاك الذى صدره البحر الخضم اذا * ماقاض وافتر عن در فلا عجب
ذاك الذى قد ترقى وهو تخدمه * كل الكواكب حتى السبعة الشهب
ذاك الذى رغبة فى نيل رؤيته * اضحى يشد اليه السرج والقتب
ذاك الاديب الاريب العالم الفطن * الشهم النجيب اللبيب العاقل الدرب
يرتد رائيه رعبا من مهابته * نعم ويرتد منها العسكر اللجب
لكن محياه طلق من تواضعه * حتى كأن الذى يأتى اليه اب
اعيى الافاضل طراً نيل رتبته * وكيف لاوهى امر دونه الرتب
شكرى له وهو محمود كما كثرت * فيه المحامد وازدانت بها الكتب
دارت عليه المعالى وهو مركزها * فى الدور فهو اذا دارت لها قطب
لله درك فيما حزت من شرف * ياسيداً دمه يشفى به الكلب
هذا كتابك قد تم الفخار به * وللافاضل قد نيلت به الارب

(تقريظ شيخ الادب . وفارس ميدان فصحاء العرب .)
(السيد الشريف . واللوذعى الظريف . ذى الفضل)
(والفضيله . والمناقب الجمية الجليله . آلوسى زاده .)
(السيد الحاج على افندى اناله الله تعالى من الخير مراده)

هذا بلوغ الارب * احيى رسوم العرب

وجاء من اخبـارهم * بكل قول طيب
لله ماأعجبـه * سـفراً اتى بالعجب
ينبيك عمن ذكرهم * قلد جيـد الكتب
اولئك القوم الأُولى * كانوا جمـال الحقب
ان ذكر الجود فهم * فى جودهم كالسحب
وهم هم الأُولى لهم * يضاف كشف الكرب
قـدخلد الله لهم * مجـداً قويم السبب
وخصـهم بفطنـة * تأتيـك بالمسـتغرب
فليهن اهل الفضل فى * هذا الكتاب المعجب
وليشكروا شكرى الذى * وفّى لنـا بالمطلب
فقرب الاقصى بلفظ * موجز مسـتعذب
اعجـز فى ايجـازه * كل لسان ذرب
وراح فى ابداعـه * سباق هذا الموكب
ابان عن علم غدا * عن غـيره فى حجب
فمن يرم لحوقـه * لم يلق غير التعب
ذاك الهمام الطيب * ابن الطيب ابن الطيب
وراثة العـلم له * من خـير جد واب
وكابر عن كابر * وانجب عن انجب
ونشء متصـل * الى وصى ونبى

والفخر لى بفضله * انا شريكا نسب
قدجد في العلم الى * ازنال اعلى الرتب
وجاد في مؤلف * منقح مهذب
كأنما سطوره * سبائك من ذهب
اوعقد در فاخر * نيط باحلى لبب
حوى علوماً جمة * عزيزة المكتسب
فمخض الكتب لها * وجاء بالمنتخب
فياله من اثر * اقر عين العرب
خلد فيه مجدهم * على ممر الحقب
فهو الكتاب المقتنى * لكل اهل الادب
جزاه ربى عنهم * خير الجزاء الاطيب

(وقد قرظه غصن دوحة الادب . الذى ورث المجد والكمال)
(من اب بعد اب « عبد الحميد بك » الشاوى العبيدى الحميرى)
(لازالت ميازيب الرحمة والرضوان على مثواه تجرى . وذلك قوله)

باسمه سبحانه

ان العرب وان هدمت اليوم قواعد مجدها وشرفها . ولم يبق رسم لاركانها ولاشرفها . قدخصها الله تعالى من المعالى مازاحمت به السماك . ومن الفضائل ماطاولت به الافلاك . وكتاب بلوغ الارب في معرفة احوال العرب قدعرف الناس بذاك . الا وهو لمعدن

الانصاف والحق . كما انه مجمع الفضل والصدق .

همام اذا رقد الغافلون * عن الخير والمجد لا يرقد

هو الحلو طعماً لاحبابه * وللشانیء الارقم العربد

اعني به محمود المساعي ومشكور الايادي « السيد محمود شكري افندي الا لوسي البغدادي » ادامه الله تعالى كهفاً للعلوم والاداب . وملاذاً لاولى الالباب . ولا زالت الدنيا مشرقة بانوار فضائله . وازهار خمائله فلقد قلدها قلائد الكمال لا العقيان . وحباها بفرائد الجمال لا الجمان . وانه لهو هو علما . وحزما وعزما . واحسانا وحلما . ومكارم اخلاق . وكرم اعراق . وفخراً للعراق واهل العراق .

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

« عبد الحميد بن احمد الشاوي ... »

٢١ م ١٣١١

(تقريظ ورد من البحرين للاديب الماهر . الناظم الناثر)
(الشيخ عبد المحسن الباهلي كان الله تعالى له خير معين وناصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة الامام القدوه . العلم العيلم . حبر الزمان . وبحر العرفان . بقية المجاهدين في الله . والحامين لسنة رسول الله « السيد محمود شكري الا لوسي البغدادي » ايده الله تعالى بايده . واعز نصره من عنده . وجعله من حزبه وجنده . سلام عليكم ورحمة الله

وبركاته . اما بعد فقدتشرف الحقير . بورود الجزء الاول من كتابكم الخطير . ولقدسرنا . وابهج علانيتنا وسرنا . حيث كشف الحجاب ، عما كان عليه العرب من الفضائل والآداب . اسأل الله تعالى ان يبقيكم . ويعمركم ويمهلكم . جمالا للايام . وركنا قويا للاسلام . فان هذا الكتاب جمع ماتناثر من درر مآثرهم . وحوى ماتفرق من غرر مفاخرهم . مع ان اولئك الكرام . كما وصفهم شاعر الاسلام .

قوم اذا حاربوا اضروا عدوهم * اوحاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لادنى سبقهم تبع
لايرقع الناس ماأوهت أكفهم * عندالدفاع ولا يوهون مارقعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم * اووازنوا اهل مجد بالندى متعوا
لايبخلون على جار بفضلهم * ولا يمسهم من مطمع طبع
لايفخرون اذا نالوا عدوهم * وان اصيبوا فلاخور ولا هلع

اللهم انا نمد اليك يد السؤال . ونضرع مع الخضوع والابتهال . ان تعلي جدهم . وتعيد مجدهم . وتوفقهم لصالح العمل والقول الفصل . ليلتحق الفرع منهم بالاصل . هذا ونرجو ان تتحفونا بفرائد فوائدكم على الدوام . وعليكم منا التحية والسلام .

المخلص المود

١٤ ربيع الثاني ١٣١٤ عبدالمحسن بن عبدالعزيز الباهلي

(وبعد وصول الكتاب الى محل الطلب)
(وردت هذه الرساله المشتمله من الفصاحة على مايستوجب العجب)

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمود افندى شكرى الآلوسى البغدادى حفظه الله .

السيد ادام الله زينه . واقرّ بالمسرة عينه . واجرى بالحكمة اقلامه . وثبت فى مواقف المعارف اقدامه . واطلع من بدائعه فى سماء الادب بدراً منيراً . ورفع له فى ملاء العرفان ذكراً كبيراً . وردنا مؤلفه الموسوم «ببلوغ الارب فى معرفة احوال العرب» فسرنا صنيعه المحمود وبشرنا بنوال المقصود . اذ تبينا منه غيرة مؤلفه حفظه الله على العلوم . وتصديه لنشرماهو [illegible] مكتوم . كيف لا وموضوعه من الاهمية بمكان . لايقوم بالتعبير عن جلالته اللسان . فالعرب هم من عرفنا رجال اللسن والفصاحه . ومظهر [illegible] السماحه . حميتهم مشهوره . وحماستهم غير منكوره . ولكن وا اسفاه لويجدى الاسف . على ما آلم لنا الم باحوالهم من التلف . فانّ جبّ الاسلام ماقبله . استلزم بالمرة جهله . خصوصا وقداشتغل اهل القرن الاول وبعض الثانى بالغزوات والفتوح . لما وجدوه فى انفسهم من حلاوة الايمان الممنوح . فتلقوا ذلك بصدر رحيب . وقابلوا الكفار من القتال بكل نوع عجيب . حتى استقام عماد الدين . وذلت اعناق

المضادين. فكان ذلك عن التأليف شغلا شاغلا. وحجابا عن الاهتداء الى سابق الامور حائلا . لان النفس كما لايخفى على البصير الناقد . لاتقوى على شيئين فى آن واحد . ثم جاء الخالفون فدونوا ماوصل اليهم من الانباء . الا انهم حفظوا شيئاً وغابت عنهم اشياء . فان فى مائتى سنة . مايكفى لضياع اكثر الامور ولاسيما اذا تعذرت الوصل وتباعدت الدور . فنحن نشكر السيد على هذه الهمة المحموده . والغيرة العلمية المشهوده . فلاشك انه اجهد نفسه فى البحث والتنقاب . حتى استخلص من بين تلك القشور ذلك اللباب . فهكذا تكون الهمم . ولمثل ذلك فليعمد رجال الحكم . فاما الكتاب المذكور فسنتروى فيما جاء ضمنه ثم نبعث به لاخوانا اعضاء اللجنه . مؤملين ان سيحظى بالقبول . ويعامل من الرضا بما هو المأمول . هذا وانا ليسرنا كل مؤلف مهما كان موضوعه. فكيف بكتاب الاستاذ وفضله شفيعه. فليطلق لهمته عنانها . وليقوم من غيرته سنانها . ثم ليطعن فى نحور الجهالة برماح اقلامه . حتى تتألف دولة متبدد الادب مستظلة باعلامه . لازال للخيرات موفقاً . وللآمال فيه محققاً . والسلام عليه ورحمة الله

الكنت

تنس فى ٤ يوليو سنه ١٨٨٢ كرلودى لندبرج